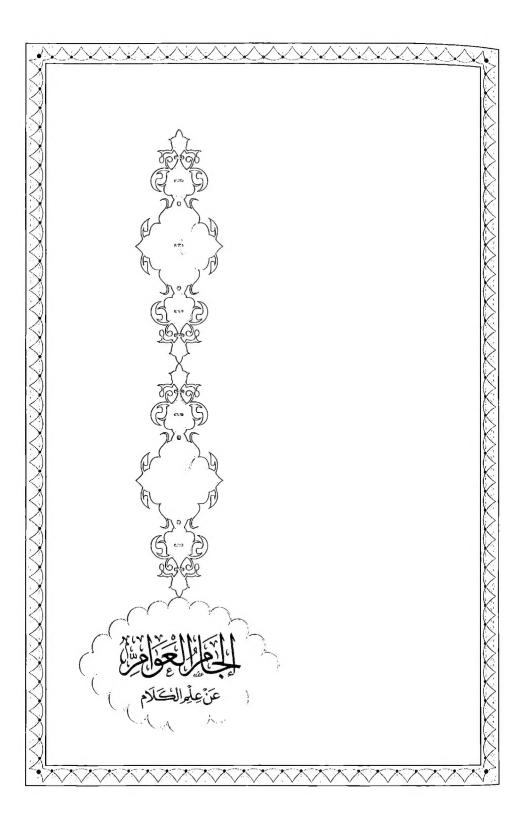
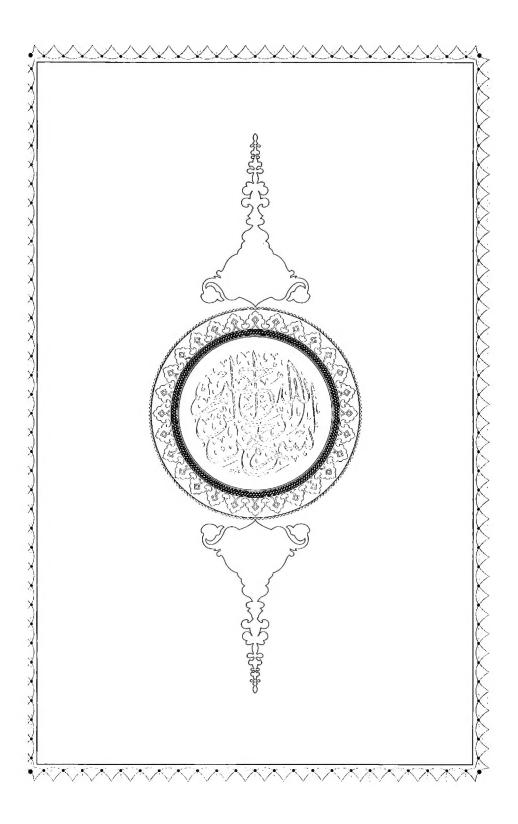
الإِمَامِ الْجُدِّدِ، حُجَّةِ الإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمِينَ زَيْزَالدِّيْنِ ، أَدِرْحَتُ مِنْ مُجَكَدِبْنِ مُجَكَدِبْنِ مُحَكَدِبْنِ أَيْحِمَدَ الْغَزَالِيّ الظُّوْسِيّ الطَّابَرَانِيّ الشَّافِعِيُّ رَضِوَ اللهُ عَنْهُ (٥٠٠هـ)





عن عالمالكام

تَسْرَفَتْ بَحْدِمته والعناية به اللَّجِنْة العِلْميت بَمِركِز دار المنِحتُ ج للدّراسات ع انتَّحَت بن العلميّ



الطّبْعَة الأولى ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٧م جَمَيْع الحُقوة كَنْ فُوظَة للنَّاشِرَ

عدد الأجزاء: (١)

ا عدد المجلدات: (١)

الله العاموا فاخر الماموا فاخر

ا الله نوع التجليد: مجلَّد كرتوناج

ي عدد الصفحات: (١٩٢ صفحة)

الله عدد ألوان الطباعة : لونان

اسم الكتاب : إلجام العوام

المؤلف: الإمام الغزالي (ت٥٠٥ هـ)

🗦 الإعداد: مركز دار المنهاج للدراسات

موضوع الكتاب: العقيدة الإسلامية

أ مقاس الكتاب: (٢٢ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (١٨٩٠١٢)

التصميم والإخراج: مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناشر .



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 57 - 0



كالليتانة

لبنان _ بیروت

هاتف: 806906 05 _ فاكس: 813906 05

كَارُالْمِينَ فِي النَّهِ فِي النَّالِي النَّهِ فِي النَّهِ فِي النَّهِ فِي النَّالِي النَّالِي النَّائِيلِي النَّائِقِي النَّائِقِي النَّائِقِي النَّائِيلِي النَّائِقِي الْمُعْلَ

لِصَاحِبَهَا عُهُرُسُكَ اللهِ بَاجْحُخَيَفَ وَصَاحِبَهَا عُهُرُسُكَ اللهِ تَعَالَى

المملكة العربية السعودية _ جدة حي الكندرة _ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون هاتف رئيسي 6326666 _ الإدارة 6320392 المكتبة 6322471 _ فاكس 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب من المعرب من السعوديين عضو في إدارة جمعية الناشرين في لبنان عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

الموزّعون كمغندون داخل كممكنة العرسب الشعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة مانف 6510421.6570628

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 لاكس 5473939

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

مانف 5273037.5570506 مانف

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

ماتف 8383226 فاكس 8383226

المدينة المنورة

دار البدوي

ماتف 0503000240

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

ماتف 4654424 فاكس 2011913

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

ماتف 4626000 . فاكس 4656363

الدمام

مكتبة المتنبى

مانف 8432794. فاكس 8432794 مانف 8432794. الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 فاكس 4937130

عرعر

مكتبة المتنبي العلمية

ماتف 6628586

الطائف

مكتبة أم هاني

ماتف 7320809

الموزعون لمعتمدون خارج المملكنه العرست بالسعودتيذ

دولة قطر مكتبة الثقافة ـ الدوحة

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت هاتف 418130 ـ ناكس 418130

الجمهورية اليمنية

هاتف 44421132. فاكس 44421131 الإمارات العربية المتحدة

جمهورية مصر العربية

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي ماتف 5593007 . فاكس 5593007 مكتبة الإمام البخاري ـ دبي ماتف 2977766 ـ فاكس 2975556 دار السلام ـ القاهرة مانف 22741578 ـ ياكس 22741750 مكتبة نزار الباز ـ القاهرة مانف 25060822 ـ جوال 0122107253

المملكة المغربية

دولة الكويت

دار الأمان ـ الرباط متف 0537723276 ـ ناكس 0537723276 الدار العالمية ـ الدار البيضاء متف 052282882 ـ ناكس 052283354 مكتبة دار البيان ـ حَوَلي نلفاكس 22616490 ـ جوال 99521001 دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلي مانف 22658180 ـ ناكس 22658180

الجمهورية اللبنانية

مملكة البحرين

الدار العربية للعلوم ـ بيروت مانف 786237 ـ ناكس 786230 مكتبة التمام ـ بيروت مانف 707039 ـ جوال 707039 مكتبة الفاروق ـ المنامة مانف 17272204 ـ ناكس 17256936 مكتبة الريان ـ المنامة مانف 0097339247759

الجمهورية العربية السورية

المملكة الأردنية الهاشمية

مكتبة المنهاج القويم ـ دمشق هاتف 2242340 . ناكس 2242340 دار محمد دنديس ـ عمّان مانف 4653380 ـ ناكس 4653380

جمهورية الجزائر

جمهورية العراق

دار البصائر ـ الجزائر ماتف721773627. ناكس 021773627 مكتبة دار الميثاق ـ الموصل منف7704116177.ناكس7481732016

جمهورية الصومال جمهورية تشاد مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو مكتبة الشيخ التيجاني . أنجامينا ماتف 0023599978036 مانف 002525911310 جمهورية أندونيسيا ماليزيا دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا مكتبة توء كنالي ـ كوالا لمبور ماتف 0062313522971 مانف 00601115726830 جوال 00623160222020 جمهورية داغستان دار الكتاب العربى ـ كير لا مكتبة دار الرسالة . محج قلعة ماتف 0091483274003 ماتف 0079285708188 جوال 00919946476748 مكتبة نور الإسلام ـ محج قلعة مكتبة الشياب العلمية ـ لكنهو ماتف 0079882124001 ماتف 00919198621671 جمهورية جنوب أفريقيا الجمهورية التركية مكتبة الإرشاد. إستانبول دار الإمام البخاري ماتف 0027114210824 ماتف.02126381633.فاكس 02126381633 إنكلترا جمهورية فرنسا دار مكة العالمية. برمنجهام مكتبة سنا ـ باريس هاتف0753317739309 جوال0753317739309 نامر01217723600 ماتف0148052927. فاكس 0148052927 الولايات المتحدة الأمريكية أستراليا المكتبة الإسلامية مكتبة الإمام الشافعي ـ جورجيا ماتف 0017036723653 ماتف 0061297584040 فيرجن وفروعها في العالم العربي جميع إصداراتنا متوافرة على

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

Furat.com حَوَاتِ موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات ال

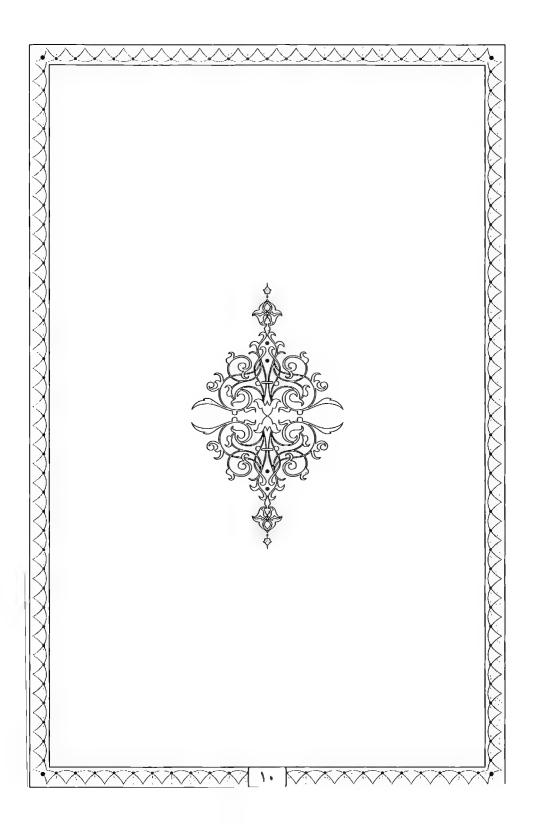
www.furat.com

الحمدُ للهِ ، يقولُ كاتبُهُ فقيرُ عفوِ اللهِ تعالىٰ : أحمدُ بنُ ناصرِ الباعونيُّ الشافعيُّ يمدحُ الشيخَ الإمامَ ، عَلَمَ الأئمةِ الأعلام ، حُجَّةَ الإسلام محمد بنَ محمد الغزاليّ : [من الكامل]

لِللهِ دَرُّكَ حُجَّةَ ٱلْإِسْلَامِ مِنْ سَيِّدٍ عَلَّامَةِ ٱلْأَعْلَامِ قُطْبُ ٱلشَّرِيعَةِ بَحْرُ عِلْم زَاخِرِ حَبْرُ ٱلْأَئِـمَّةِ فَخْرُ كُلِّ إِمَام عَمَّا يَجُولُ بِفَاسِدِ ٱلْأَوْهَام إِذْ كَانَ يَعْلُوهُ سَوَادُ ظَلَام نَحْوَ ٱلْهُدَىٰ فَغَدَا بِدَارِ سَلَام لِقَوَاعِدِ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْإِسْلَام سَهْلَ ٱلتَّنَاوُلِ سَائِغَ ٱلْإِفْهَام مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ بِحُسْنِ لِجَام نَحْوَ ٱلْهُدَىٰ لُطْفاً بِخَيْرِ زِمَام فَهْوُ ٱلشِّفَاءُ لِمُعْضِلِ ٱلْآلَام فَلْيَقْصِدَنْهُ يَا ذَوِي ٱلْأَسْقَام وَحَبَاهُ بِٱلْإِنْعَامِ وَٱلْإِكْرَامِ

قَدَّسْتَ لِلهِ ٱلْعَظِيمِ مُنَزِّها غَادَرْتَ نَهْجَ ٱلدِّينِ أَبْيَضَ وَاضِحاً وَعَدَلْتَ بِٱلْمَغْرُورِ عَنْ طُرُقِ ٱلرَّدَىٰ وَدَحَضْتَ حُجَّةً ذِي ٱلْعِنَادِ مُمَهِّداً أَوْضَحْتَ بُرْهَاناً عَلَىٰ بُطْلَانِهَا وَلَجَمْتَ عَنْ عِلْمِ ٱلْكَلَامِ نَصِيحَةً عَالَجْتَهُ حَتَّىٰ غَدَوْتَ تَقُودُهُ يَا قَوْمُ حَيَّ عَلَىٰ تَعَلُّم عِلْمِهِ مَنْ كَانَ أَعْجَزَهُ ٱللَّوَاءُ لِدَائِهِ فَجَزَاهُ رَبُّ ٱلْخَلْقِ أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ

⁽١) أثبتنا هاذا التقريظ من خاتمة النسخة (ب).



بين يد ليالناب

الحمدُ للهِ الذي كَلَّتِ الألسنُ عن بلوغِ حمدِهِ ، وتقاصرَتْ خُطا العارفينَ في فسيحِ ميدانِ معرفتِهِ ، وصلواتُهُ وسلاماتُهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ إلى يوم الدِّينِ .

وبعر ككار:

فقضيةُ التنزيهِ والتقديسِ للخالقِ جلَّ وعلا مِنْ أعظمِ المسائلِ الإلهيةِ التي تُعنى بها كتبُ الاعتقاداتِ عندَ المسلمينَ وغيرِهِم ؛ لكونِها الفارقَ الأهمَّ في التمييزِ بينَ الحُدوثِ والقِدَمِ ، وبينَ الخالقِ والمخلوقِ ، أو قلْ : بينَ اللهِ جلَّ وعزَّ وما سواهُ .

وقد تنوَّعَتْ آراءُ المُتألِّهينَ فيها بينَ :

تفريط سارَ بأتباعِهِ إلى عبادةِ إله شاركَ خلقَهُ في صفاتِ الحدوثِ .

وإفراطٍ كادَ يُصيِّرُ ذاتَ الإلهِ مِنَ المُجرَّداتِ .

واقتصادٍ أثبتَ ما جاء بصريحِ النقلِ ، ونَزَّه المولى عمَّا لا يليقُ بهِ سبحانَهُ كما تُقرِّرُهُ أدلةُ الشرعِ ومقتضياتُ العقلِ ، وهاذا هوَ الصراطُ المستقيمُ ، والنهجُ السليمُ ، الذي تناقلَهُ الخَلفُ عنِ السلف .

ولا يخفى الدورُ الكبيرُ في تاريخِ الإسلامِ لعلماءِ الكلامِ الذينَ استضاؤوا بهدى اللهِ وبنورِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الذَّبِ عن عقائدِ المسلمينَ ؛ إذ لم يُوفِّروا طريقةً أو خُطَّةً أو مسلكاً ؛ برهانياً كانَ أو إقناعياً ، في إحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ ، وما زالَ هلذا دأبَهُم حتىٰ جاءَتْ مسالكُهُمُ القديمةُ طافحةً بالحُجَجِ والبراهينِ التي قطعَتْ أعناقَ المبتدعينَ .

ومثارُ الخلافِ بينَ أهلِ الكلامِ وغيرِهِم: هوَ تلكَ الآياتُ الكريمةُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ ـ ومثلُها الأحاديثُ الشريفةُ الثابتةُ في السنةِ النبويةِ ـ التي يَفهمُ العامِّيُّ مِنْ ظاهرِها معنى غيرَ المقصودِ ؛ لأنَّها مُوهِمةٌ للتشبيهِ كما قالَ صاحبُ «الجوهرةِ »:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ ٱلتَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا

وقد أجمعَتِ الأمةُ على تأويلِ قولِهِ تعالى في (سورةِ الحديدِ): ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامِ ثُمَّ السَّوَىٰ عَلَى الْعَرْشُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعُرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمُ أَيْنَ مَا كُنتُمُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ .

لقد جمعَ اللهُ تعالىٰ في هاذهِ الآيةِ بينَ قولِهِ سبحانَهُ: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۞ ﴾ وقولِهِ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُم ۞ ﴾ والأخذُ بالظاهرينِ تناقضٌ ، فدلَّ علىٰ أنَّه لا بدَّ مِنَ التأويلِ ، والإعراضُ عنِ التأويلِ اعترافٌ

بالتناقضِ ؛ ولهاذا قالَ السلفُ : (هوَ معَكُم بعلمِهِ) (١).

وللكنْ . . مَنْ هوَ هلذا العامِّيُّ ؟ وما هوَ خطؤُهُ ؟ وما منشؤُ هلذا الخطأ ؟

أوَليسَ القرآنُ العظيمُ قد نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ؟! فكيفَ نحجبُ المُخاطَبَ عن فهمِهِ ؟!

ومَنْ قالَ : إنَّ الظاهرَ غيرُ مرادٍ ؟

وما هوَ مذهبُ سلفِ الأُمةِ لنتبعَهُ ؟

وهل مَنْ سرىٰ لهُ داءُ التشبيهِ يُداوىٰ بالتأويلِ ؟

كلُّ هـُذهِ الخواطرِ والإشكالاتِ التي قد يعسُرُ دفعُها وتعصِفُ بالفِكرِ . . تصدَّىٰ حُجَّةُ الإسلامِ الغزاليُّ للإجابةِ عنها في هـٰذا الكتاب اللطيفِ .

وأبرزُ معالمِهِ: أنَّهُ بَيَّنَ أنَّ لفظَ (العامِّيِّ) الذي يجبُ إلجامُهُ يشملُ الأديبَ والنحويُّ والمُحدِّثُ والمُفسِّرَ بل والمُتكلِّمَ النَّظَّارَ نفسَهُ.

فالعوامُّ في كتابِهِ : هم ما سوى العارفينَ الراسخينَ أولي الألبابِ المُتخصِّصينَ في هاذا الميدانِ .

⁽۱) انظر « الإقناع في مسائل الإجماع » (۱۲۹/۱) ، « والأسماء والصفات » للبيهقي (ص ٤٣٠) ، وقد استفدنا هذذا النقل عن (منهج أهل السنة في بناء العقائد) للدكتور فاروق حمادة ؛ وهو بحث قدم للمؤتمر العلمي الإسلامي من الإنسانية _ إستانبول في (١٤٣١/١١/١٥ هـ) .

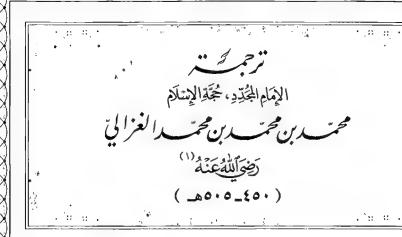
ومنها: أنَّهُ رتَّبَ وظائفَ سبعةً لا بدَّ مِنَ التلبُّسِ بها لِمَنْ أرادَ الفهمَ الصحيحَ والسلامةَ مِنَ التردِّي في أوحالِ الأوهامِ ، لم يَسبِقْ إلى ترتيبِها وبيانِها أحدٌ قبلَ الإمامِ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

وعلى عادة دار المنهاج في اهتمامِها الحثيثِ بكتبِ الإمامِ الغزاليِّ ونشرِها . . تبعثُ به إلجامِ العوامِّ » لأروقةِ العلمِ ودُورِ الغزاليِّ ونشرِها . . تبعثُ به إلجامِ العوامِّ » لأروقةِ العلمِ ودُورِ البحثِ بحلَّةِ جديدةٍ ، وعنايةٍ علميةٍ رائعةٍ رصينةٍ ، نرجو مِنَ المولى الكريم بها الرضا والقَبُولَ ؛ إنَّهُ جلَّ شأنهُ خيرُ مسؤولٍ .

وصلى الأعلى ستبدنا محقرٍ وآله وصحبه وسلم

التاليز

یوم الأربعاء (۵) جمادی الأولی (۱٤٣٨ ه) (۱) شباط / فبرایر (۲۰۱۷ م)



هوَ الإمامُ حُجَّةُ الإسلامِ زينُ الدِّينِ ، أبو حامدٍ ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ الطُّوسيُّ الطَّابَرَانيُّ ، الشافعيُّ ، الغزاليُّ .

وُلِدَ بطُوسَ سنة (٤٥٠ هـ) ، وتُوفِّيَ أبوهُ وهوَ صغيرٌ ، وكانَ قد أوصى بهِ وبأخيهِ أحمدَ إلى صديقٍ لهُ ، فرعاهُما حتى أدخلهُما المدرسة يتعلَّمانِ إلى أن كبرا فيها .

ثمَّ بدأت مرحلةُ التحصيلِ العلميِّ على أكابرِ شيوخِ العصرِ فقراً الإمامُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ على الشيخِ الإمامِ أحمدَ بنِ محمدٍ الرَّاذَكانيِّ بطُوسَ.

وسافرَ إلى جُرجانَ ، فقرأَ على الشيخِ الإمامِ أبي القاسمِ الإسماعيليّ ، وعَلَّقَ عنهُ « التعليقةَ » .

⁽۱) أهم مصادر الترجمة : « تاريخ دمشق » (٢٠٠/٥٥) ، « سير أعلام النبلاء » (٣٢٢/١٩) ، « طبقات الشافعية الكبرئ » (١٩١/٦) ، « إتحاف السادة المتقين » (٦/١) .

ثمَّ قدمَ نيسابورَ ، ولازمَ الإمامَ أبا المعالي الجُوَيْنيَ إمامَ الحرمينِ وتخرَّجَ بهِ ، وعرضَ عليهِ باكورةَ مُؤلَّفاتِهِ « المنخولَ » في أصولِ الفقهِ .

ولمَّا تُوفِّيَ الإمامُ الجُويْنيُّ . . خرجَ إلى المعسكرِ ، وسمعَ بهِ الوزيرُ نظامُ المُلْكِ ، فقدَّمَهُ في مجلسِهِ ، وحَظِيَ عندَهُ بالقَبُولِ ، وبرعَ في المناظرةِ حتى ظهرَ اسمُهُ في الآفاقِ ، فأُرسِلَ إلىٰ بغدادَ للتدريسِ في المدرسةِ النِّظَاميةِ سنةَ (٤٨٤ هـ) .

وفي أثناءِ تدريسِهِ ببغدادَ تفرَّغَ للتأليفِ ؛ فكَثُرَتْ مُؤلَّفاتُهُ ، وعَلَتْ شهرتُهُ ؛ حتى أضحى يُشارُ إليهِ بالبَنانِ .

ثمَّ جاءَتُهُ السعادةُ الحقيقيةُ ؛ فسلكَ طريقَ الزهدِ والتألُّهِ ، وخرجَ مِنْ جميعِ ما كانَ فيهِ ، وتركَهُ وراءَ ظهرِهِ ، وقصدَ بيتَ اللهِ الحرامَ ؛ فخرجَ إلى الحجّ سنةَ (٤٨٨ هـ) .

ثمَّ دخلَ دمشقَ سنةَ (٤٨٩ هـ) ، فأقامَ بها نحوَ عشرِ سنينَ ، أخذَ نفسَهُ فيها بالرياضةِ والمجاهدةِ والخلوةِ ، وأَلَّفَ فيها كتابَهُ العظيمَ « إحياءَ علوم الدِّينِ » .

ثمَّ عادَ إلىٰ طُوسَ ، فاستدعاهُ فخرُ المُلْكِ إلىٰ نيسابورَ ، فدرَّسَ بها في المدرسةِ النِّظَاميةِ .

ثمَّ تركَ المدرسة ، وعادَ إلى بيتِهِ مُوزِّعاً أوقاتَهُ بينَ تلاوةِ

القرآنِ ، والتدريسِ والإفادةِ ، والنُّصحِ والإرشادِ ، إلى أن وافَتْهُ المنيةُ بطُوسَ سنةَ (٥٠٥ هـ) .

تركَ الإمامُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ مُؤلَّفاتٍ مشهورةً لم يُسبَقْ إليها ، مَنْ تأمَّلَها . علمَ فضلَهُ وقَدْرَهُ في فنونِ العِلْمِ ، وقد قيلَ : (أُحصِيَتْ كتبُ الغزاليِّ التي صَنَّفَها ، ووُزِّعَتْ علىٰ عمرِهِ ؛ فخَصَّتْ كلَّ يوم أربعُ كراريسَ ، وذَلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ) (١).

ومِنْ هاذهِ المُؤلَّفاتِ النافعةِ: «إحياءُ علومِ الدِّينِ »، و«الاقتصادُ في الاعتقادِ »، و«مقاصدُ الفلاسفةِ »، و«بدايةُ الهدايةِ »، و«تهافتُ الفلاسفةِ »، و«المُنقِذُ مِنَ الضَّلالِ »، و«مِحَكُّ النظرِ »، و«معيارُ العِلْمِ »، و«القسطاسُ المستقيمُ »، و«المنخولُ »، و«المستصفىٰ »، و«البسيطُ »، و«الوسيطُ »، و«الوسيطُ »، و«الوجيزُ »، و«الخلاصةُ »، و«فيصل التفرقة »، و«أيّها الولدُ »، و«إلجامُ العوامّ »، وهو كتابُنا هاذا ، وغيرها الكثيرُ (٢٠).

⁽۱) الكراريس _ جمع كُرَّاسة _ : وهي عبارة عن مجموع من الأوراق المزدوجة المتداخلة فيما بينها بحدود عشر ورقات ، فكان ما يكتبه رضي الله عنه يقارب أربعين ورقة يومياً ، وهذا راجع للبركة في الوقت ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

⁽Y) وقد أكرم الله سبحانه وتعالى دار المنهاج بخدمة بعض كتب هذا الإمام الجليل ؛ وأهمُّها: « إحياء علوم الدين » ، و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، و« بداية الهداية » ، و« المنقذ من الضلال » ، و« الخلاصة » ، و« معيار العلم » ، و« محكُّ النظر » ، و« القسطاس المستقيم » ، ونسأل الله أن يتمم نعمته علينا بخدمة جميع كتب هذا الإمام العبقري رضى الله عنه .

ومِنْ ثناءاتِ أهلِ العِلْمِ في حقِّهِ :

قَالَ فيهِ شيخُهُ الإمامُ الجُوَيْنيُّ : (الغزاليُّ بحرٌ مُغْرِقٌ) .

وقالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (كانَ إماماً في عِلْمِ الفقهِ مذهباً وخلافاً ، وفي أصولِ الدِّياناتِ) .

وقالَ الحافظُ ابنُ النجارِ : (إمامُ الفقهاءِ على الإطلاقِ ، وربَّانيُّ الأمةِ باتفاقِ ، ومُجتهِدُ زمانِهِ) .

وقالَ الحافظُ الذهبيُّ : (الشيخُ الإمامُ البحرُ ، حُجَّةُ الإسلامِ ، أُعْجُوبةُ الزمانِ) .

وقالَ الإمامُ ابنُ السبكيِّ : (حُجَّةُ الإسلامِ ، ومَحَجَّةُ الدِّينِ التي يُتوصَّلُ بها إلىٰ دارِ السلامِ ، جامعُ شتاتِ العلومِ ، والمُبَرِّزُ في المنقولِ منها والمفهوم).

رضي التدعنه وأرضاه ، وُاكرم نزله ومثواه ، ونفع بعلومه إنّه حنبيرمسؤول آمين

كناب « اربجام العوام »

« إلجامُ العوامِّ » مِنْ كتبِ الإمامِ الحُجَّةِ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ تعالى التي ثارَ حولَها جدلٌ كبيرٌ ، لا مِنْ حيثُ نسبتُهُ لمصنفِهِ ؛ فنسبتُهُ لهُ مقطوعٌ بها ؛ فقد حَدَّثَ بهِ تلميذُ المصنفِ أبو سعيدٍ الجاوليُّ العراقيُّ في بغدادَ قديماً وانتشرَ عن طريقِهِ ، ونقلَ عنهُ كبارُ العلماءِ (١) ، بل إنَّ مثارَ الجدلِ هوَ مِنْ حيثُ الموضوعُ الذي أفردَ لهُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ كتاباً خاصًا لأهمِّيتِهِ .

وقدِ ادَّعىٰ بعضُ مَنْ لا علمَ لهُ في كتبِ الحُجَّةِ الغزاليِّ . . وجودَ تبايناتٍ جوهريةٍ بينَ قديمِها ومُتأخِّرِها ؛ وذلكَ مِنْ دونِ برهانٍ .

والحقُّ أنَّ كتبَ الإمامِ متظافرةً يشدُّ بعضُها بعضاً ، وليسَ هاذا دعوىٰ تُطلَقُ ، بل هوَ استقراءٌ نشأَ عن تقليبِ أوراقِ تصانيفِهِ قديمِها وحديثِها .

بلِ الناظرُ لا يخفاهُ أنَّ العقائدَ مادَّةٌ غيرُ قابلةٍ للاجتهادِ حتى ندَّعيَ تغيُّرَ الاجتهادِ فيها عندَهُ ، وإنَّما وظيفةُ العلماءِ نحوَها: تدوينُها بالجليِّ مِنَ القولِ ، وإقامةُ البراهينِ والحُجَجِ الدوافعِ ، ومعالجةُ كلِّ طارئ مِنْ شبهاتِ الخصوم بالمنقولِ والمعقولِ .

⁽١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٦١/٣٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (١٥٣/٦) .

لقد ألَّفَ الإمامُ كتابَ « الإلجامِ » لسؤالِ رُفِعَ إليهِ حولَ مسألةِ التنزيهِ ، ووظيفةِ المُكلَّفِ عندَ سماعِهِ وقراءتِهِ للآياتِ والأحاديثِ المُوهِمةِ معنى باطلاً عندَ الجهلةِ ، وكانَ ذلكَ قبلَ وفاتِهِ بأيامِ يسيرةٍ .

وها هوَ « الإلجامُ » بينَ أيدينا معَ « الإحياءِ » و « الاقتصادِ » و « المشكاةِ » وغيرها ، فلا تباينَ في مضامينِها إطلاقاً!!

لقد حَذَّرَ الإمامُ في « إلجامِهِ » أشدَّ التحذيرِ مِنَ القولِ بالتشبيهِ الذي يظنُّهُ البعضُ أنَّهُ مذهبُ السلفِ ، وجرىٰ علىٰ قولِهِ اللطيفِ الذي ذكرَهُ في « الإملاء علىٰ مشكل الإحياء » : (كنْ يهودياً صِرْفاً ، وإلّا . . فلا تلعبُ بالتوراةِ ؛ أي : تتلبَّسُ بدينِهِم وتريدُ ألَّا تُنسَبَ إليهِم ، وتعتكفُ علىٰ قراءةِ التوراةِ ولا تعملُ بها ؟!) (١) ، وردَّ فيهِ علىٰ مَنْ أثبتَ صورةً لا كالصورِ ، وهوَ عينُ ما ذكرَهُ هنا حينَما وظَفَ على المُكلَّفِ ابتداءً التقديسَ والتنزية وعدمَ الخوضِ فيما تعجزُ عنهُ عقولُ المهرةِ الخيرةِ .

وسترىٰ في ثنايا « الإلجامِ » وتعليقاتِهِ الترابطَ الوثيقَ بينَ نصِّهِ هنا وما دَوَّنَهُ مِنْ قبلُ ؛ وهيَ كلُّها تنضحُ بالحقِّ مُؤيَّدةً بالبراهينِ القاطعةِ ، والأدلةِ الساطعةِ ، فجزاهُ اللهُ تعالىٰ خيرَ ما يجزي الصالحينَ .

⁽١) الإملاء (ص ٣٢٦).

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ هاذا الكتابَ الأصوليَّ الفذَّ كانَ سبباً في استثارةِ العلماءِ مِنْ بعدِ الغزاليِّ لمناقشةِ هاذهِ القضيةِ على حدةٍ ؛ كما فعلَ الإمامُ الرازيُّ في « تأسيس التقديس » الذي شرحَ وجارى فيهِ « الإلجامَ » بلغتِهِ الكلاميةِ المسهبةِ ، وليأتيَ العلماءُ مِنْ بعدِهِ محيلينَ على أبحاثِهِ التي لم يُسبَقْ إليها بحقٍّ .

قالَ العلَّامةُ الزركشيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في « البحرِ المحيطِ » وهوَ يُحدِّثُ عن تنزيهِ الحقِّ عنِ الزمانِ والمكانِ مطلقاً ، وإمساكِ اللسانِ عنِ الخوضِ في المتشابهِ مِنَ النصوصِ المُقدَّسةِ : (حتى البحمَ آخراً في « إلجامِهِ » كلَّ عالمٍ وعامِّيٍّ عمَّا عداها . . . ، وهوَ آخرُ تصانيفِ الغزاليِّ مطلقاً ، أو آخرُ تصانيفِهِ في أصولِ الدِّينِ ، وَثَّ فيهِ علىٰ مذهبِ السلفِ ومَنْ تبعَهُم) (١) .

51/2 Al

⁽١) البحر المحيط (٤٤٠/٣) نقلاً عن الحافظ ابن الصلاح .

وصف النئخ الخطبت

تم اعتماد ست نسخ خطية في إخراج هلذا الكتاب ؛ بعضها مفرد وبعضها ضمن مجاميع نفيسة ، جاء في هوامش بعضها تعليقات في غاية الإفادة ؛ وهلذه النسخ هي :

النسخة الأولى: نسخة مكتبة شهيد على باشا بإستنبول ، ذات الرقم (١٧١٢) ، وهي تامة ، قريبة العهد من المصنّف ؛ إذ بينها وبين وفاة المصنف ثلاث سنوات فقط .

جاء في ختامها: (نجز كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام»، وهو آخر تصانيف الإمام المطلق حجة الإسلام الغزالي رحمه الله، فرغ هو منه أوائل جمادى الآخرة، سنة خمس وخمس مئة، وفرغ كاتبه من نسخه منتصف شعبان سنة سبع وخمس مئة (۷۰۷ه)، الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله وحده وكفى).

وفي هامشها: (ذكر ابن كثير في « تاريخه » وفاة الإمام حجة الإسلام في سنة خمس وخمس مئة في يوم الاثنين ، الرابع من جمادى الآخرة ، فبموجب ذلك يكون فراغه من هلذا الكتاب قبيل وفاته بيُوَيْمَاتٍ رحمة الله تعالىٰ عليه ، كان من ابتداء العمر إلى نهايته مشغولاً بالتصنيف حتى جمعة ماتَ . أين الهمم

يا أهل هاذا الجيل ، اللهم وفقنا للعلم والعمل) .

وهي ضمن مجموع مؤلف من (٧١) ورقة ، تصدَّرها «الإلجام» ، وينتهي في الورقة (٣٣) منه ، وهي بخط عالِمٍ محدِّث عرفت له نسخ لمؤلفات الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، وهو عبد المجيد بن الفضل بن علي بن حسين القَزَّازي الطبري ، وله رواية عن المبارك بن سعيد كما ذكر العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تبصير المنتبه» (١١١٠/٣) .

ورمز لها به (أ).

النسخة الثانية: نسخة مكتبة فيض الله أفندي بإستنبول ، ذات الرقم (٤/٢١٢٣) ، وهي تامة ، يظهر أن كاتبها ذو عِلم ؛ لما فيها من بعض الزيادات والإيضاحات التي ليست في غيرها من النسخ .

فرغ ناسخها من نسخها: في سابع عشر صفر الخير من سنة (٦٦٠ هـ).

وهي ضمن مجموع أيضاً ، يبدأ الكتاب في الورقة (٢٢) ، وينتهي في الورقة (٦٠) منه .

كتبت بخط نسخي معتاد ، ووقع شَكْلٌ لبعض كلماتها ، وتمَّت الإفادة منها كثيراً .

ورمز لها به (ب) .

النسخة الثالثة: نسخة إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بدولة الكويت ، ذات الرقم: خ (١٥٧) (٣) عقائد، وهي تامة.

كتبت ضمن مجموع ، بدأ الكتاب في الورقة (٩١) ، وانتهى في الورقة (٩١) ، منه .

خطُّها نسخي معتاد ، وكتبت عناوينها بلون مغاير .

ورمز لها به (ج) .

النسخة الرابعة: نسخة مكتبة حجي بشير آغا بإستنبول، ذات الرقم (٦٥٠)، وهي تامة.

كتبت ضمن مجموع كبير ضمَّ جملة من رسائل المصنف، بدأ الكتاب في الورقة (٢٨٢)، وقد صُدِّرت بصورة السؤال المرسل للإمام المصنف الذي كان سبباً في تأليف هاذا الكتاب.

خطُّها نسخي معتاد ، وقد كتبت عناوينها بلون مغاير .

وقد وقع الفراغ من نسخها: في ذي القعدة المحرم يوم الاثنين ، سنة (٨٠٦ هـ) ، وتظهر مغايرتها في بعض المواضع اليسيرة لغيرها من النسخ .

وقد تمَّت الإفادة منها كثيراً ، وكتب في خاتمتها: (قوبل) . ورمز لها بر(د).

النسخة الخامسة: نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، ذات الرقم (٧٨٣٩) ، وهي نسخة مفردة تامة ، صُدِّرت بصورة السؤال المرسل للإمام المصنف كما في النسخة (د) .

كتبت بخط نسخى معتاد.

ووقع الفراغ من نسخها: في شهر ربيع الأول الأنور يوم الخميس ، سنة (٨٨٨ هـ) ، ووقعت في (٤٤) ورقة .

ورمز لها به (هـ) .

النسخة السادسة: نسخة مكتبة جامعة برنستون (مجموعة يهودا) ، ذات الرقم (٤١٨١) .

وهي ضمن مجموع لبعض رسائل المصنف رحمه الله تعالى ، بدأ الكتاب فيها في الورقة (٢١ ب) ، وانتهى في الورقة (٤٩ ب) .

وكان الفراغ من نسخها : سنة (٧٠٤ هـ) ، ووقع في هوامشها : (قوبل) .

وكتبت بخط نسخي معتاد ، وبلونين متغايرين .

ورمز لها به (و) .



تمَّ حيازةُ ستِّ نسخ خطية لهنذا الكتاب الفذِّ ، وكان السعي حثيثاً أن تكون متباعدة الرواية ؛ في محاولةٍ لإخراج النص أكمل ما يكون ، مع دراسة الفروق والمغايرات ، وإثبات العبارة المألوفة عن الإمام المصنف رحمه الله تعالىٰ .

وقد كان لكلِّ نسخة شأنٌ في إخراجه ؛ فمنها ما عُني بالضبط ، ومنها ما هو قريب عهد بالمصنف ، وأخرىٰ فيها زيادات توضيحية ذات شأن ، تعاونت في مجموعها علىٰ صناعة نص « الإلجام » ، وأتىٰ ذلك على النحو التالى :

- فبعد نسخ الكتاب: تمَّت معارضتُه على النسخ الخطيَّة المعتمدة، وإثباتُ المغايرات المفيدة، أو الزياداتِ التي تُظهر معنى السياق.

- _ تخريج الأحاديث والآثار المرفوعة وغيرها من مصادرها الأم .
- ضبط الكتاب بالحركات الإعرابية وبالصرفية عند وجود حاجة تستدعى ذلك .
- ضبط الكتاب بعلامات الترقيم حسب المنهج العلمي المعتمد لدى مركز دار المنهاج للدراسات .
- _ أثبتنا الآيات القرآنية بالرسم العثماني من رواية حفص عن

عاصم رحمهما الله تعالى ، وخرَّجناها بذكر رقم السورة مع رقم الآية هاكذا: (رقم السورة الله الآية) .

- التعليق العلمي على بعض مفاصل الكتاب ، وربط بعض عباراته بكتب الإمام المصنف ، وشرح ما يحتاج إلى بيان .

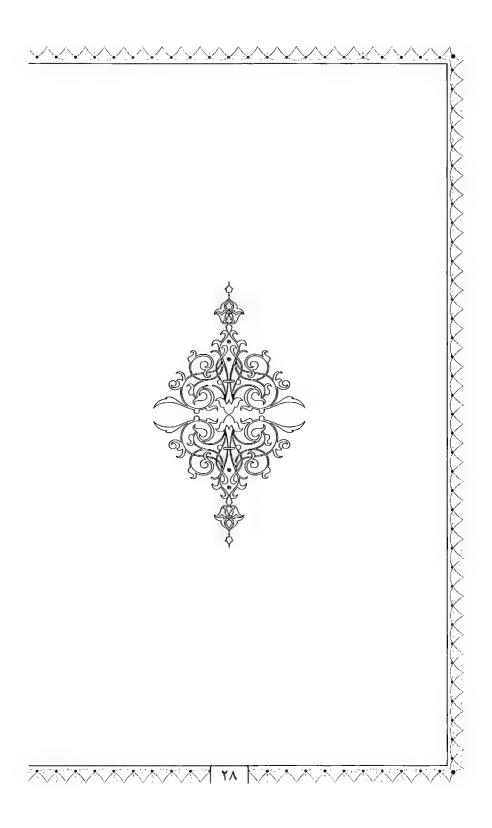
- وضع ترجمة وجيزة أول الكتاب للمصنف الحجة الغزالي تلائم حجم الكتاب .

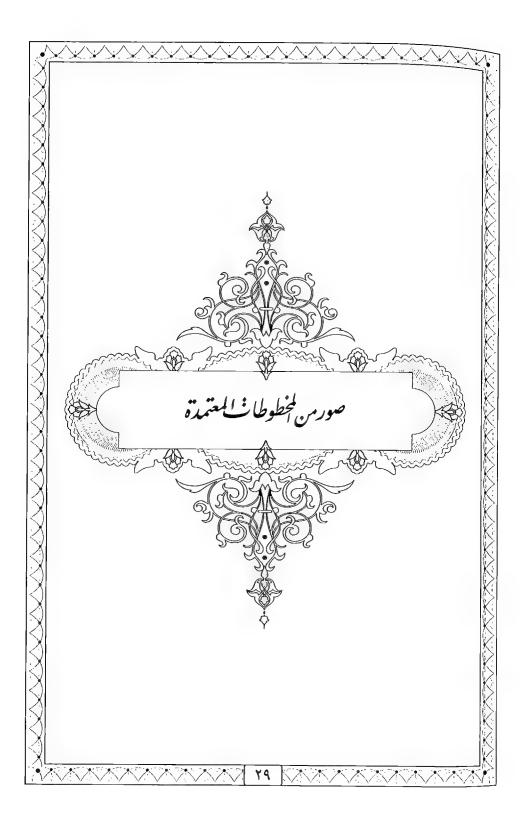
_ تقسيم الكتاب إلى مقاطع رئيسة ؛ ليكون قريب المتناول .

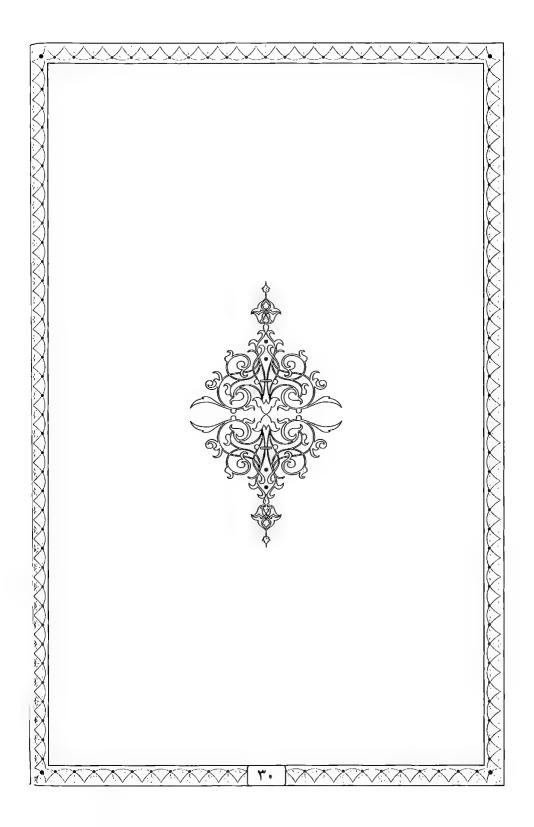
هذا ؛ والرجاء منعقد برحمة الله تعالى الواسعة ، والآمال نازلة بساحته سبحانه . . أن يتقبل من الجميع الجهد المبذول ، وأن يقرَّ عين مصنفه به ؛ لتعود علينا ببركاته نفحات المعارف الربانية ، والصلات الرحمانية ، وهو سبحانه الكريم ، والكريم لا تتخطاه الأمال .

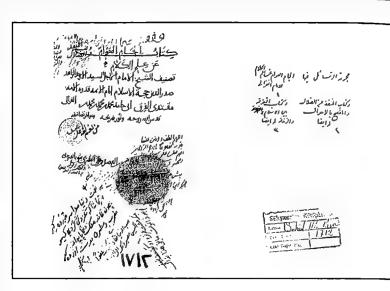
وصلّی الله وسلّم علی تحبیب المصطفی المجتبی الأمبن سسیّدنا محدّ وآله وصحبه کلّ وقدتٍ وحین واتحمستند ربّ لعالمین

اللَّجْةُ الْعِلْمِيتُ مَركَزُ دَارَ أَمْنِعِتُ إِلِمَّاتِ النِّحْقِ يَنِ الْعَلَمِيِّ مَركَزُ دَارَ أَمْنِعِتُ إِلْمَاتِ النِّحْقِ الْعَلَمِيِّ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللللِّهُ اللللِّهُ اللَّهُ اللَّلَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ الللِّهُ الللِّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللْمُلْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُلِمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُلْمُل









راموز ورق العنوان للنسخ (أ)

الاستان حقيقة مدقد السّاف فيه الأخراج و أن مناه السّاف فيه الأخراج عداد على المستان السّاف فيه الأخراج عداد عداد المستان المس

راموزالورت الأولى للنسخت (أ)

५५

رِّهُ الْمُنْفِرِ مِنْ الْمُنْكِلُ وَالْفِصِ بِالْأَجُوالِ مَا مُنْفِي بِالْأَجُوالِ مَصْفِيرُ الْمُنْكِمِ مِن صفير المام المطالبات المتعلجية المسلام الوحامد على مجارتها الغزال فيساله دوجه

عدالجين الفضالة ايخالط برى پتوياله بعال فيكه

وارشانسی دفوع وادهایی دفوع و انصانسی 1 فوع ادو دولری فزادن اوز ارسازائد سی محط عین قد دواری ادو دولری فزادن وانفسسطانماستنم صفن وادر کرانسسا در درصا می ادفرن

دریدان ادفران کاخاص کی والمديورا لجكة الرالحة فوج وبالموعظة الحسنة فوم اخرعل الموعظة الحسنة فوم اخرعل الموجسة فوم اخرعل الموجسة فوم اخرعل الموجسة فوم اخرعل الموجسة والموجسة الموجسة والموجسة والموجسة الموجسة والموجسة والموجس

independent

راموزالورف الأخيرة للنسخف (أ)

؞ؚؚالجَسَّامُ الْحَ<u>وَا</u>ُم عِنْ عِلْمِ الْحَكَلَامِ مَنْ مَنْ السِّحَةِ الْمُلْمِينَ الْمَاتِينِ بِيُغَلِّمُ الْمِنْ الْمِينِ الْمُلْمِينِ اللَّهِ الْمُلْمِينِ اللَّهِ الْمُلْمِينِ اللْمُلْمِينِ اللَّهِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ اللْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ اللْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمُلْمِينِي الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمُلْمِينِ الْمِلْمِينِ الْمِلْمِينِ

3013 30

راموز ورفت العنوان للنسخت (ب)

والشرعات والمداولة والندون بأوسنط إلا تدفك الشؤة عن المالة بدر المجاوزة والهود والمؤلف والمتعالم المسلوط المداولة والمسلوط المسلوط ال

سيند الارتفاق المترسات وسفان التأثير ويتشامين الرئيس ويا الصدار الأولي المساورة المؤون المتحدة الأولي والمتحدة الأولي والمتحدة المتحدة المتحد

راموزالورف الأولى للنسخ (ب)

الدس موركاند فقي عدد الدسال إلى ناساباع كان المحلس معدد الدين على الادالعلام عدد الدالا المحلسال المحلسال المعلسال المحلسال ال

الله و الكراك الموسكة المدار المنافع و كليه الحالية و المستحدة في المستحدة و المستحدة

ى مەرىقىي ئامۇرىيى ئامىرىدى ئامىرىدى ئىلىنىڭ ئەندىن ئەندىن ئىلىنىڭ ئامۇرىيىلىدى ئامۇرىدى ئامۇرىيىلىدى ئامۇرىيىلىدى ئامۇرىيىلىدى ئامۇرىيىلىدى ئامۇرىيىلىدى ئ مەمۇرىيىلىدىلىق ئامۇرىيىلىدىلى ئامۇرىياسىيەت ھىندىلەق ئىلىدىلىدى ئامۇرىيىلىدىلى ئامۇرىياسىيەت

راموزالورف الأخيرة للنسخف (ب)

المجال العربي الموادية الم

المنافعة العامر كاجوالت و متعالى المرتبعة المنافرة التحد متشكا المرتبع علمان و لوسر والإجرافي المرتبعة المنافعة المنافعة و و منافعة المنافعة و من المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة و وقف دن تن تن ان لا به ع والارتبد والرئيس والرئيس المارتيس نوزيده المبرئة وتونونوا ووقف بيله في المبرئة الفائل الفائل المرئة وقال بيله في المسائل الفائل والمرئة في المرئ وقال عن المرئة والمرئة المرئة المرئة والمرئة المرئة الم



X

راموزالورف الأولى للنسخت (ج)

ع ۱۲۰ (۲) ما فی ا

وقف دمع تعال لاياع ولا يوهب ولا يوريث

واونيا ما يحبال والمؤوان المناصرة المبالية ويناتجان فيتدان المناصرة المراب سعا وودا من المناصرة المنا

نیخ الاسام حِنّالِلالْ دحمّان علیہ تم قالکذا ڈیکو

راموزالورت الأخيرة للنسخة (ج)

C 01

حقه شطة الدال الذكائب مالية إلا ماء إبوالتم عبدا دس وحدارتسلااللغاء بيش المرادكية بدري بأجواب حفا الكتاب الوسع الجماء من أخراس دفول يتراعث بألاعادا فات المنهجية الجماع للرام من خواسد دفول يتراعث بألاعادا فات المنهجية عليه السلام القيوم فاعده التثبيب شلية لبنزل الله وولت وابت دينا بالماحث معلة وقولس عجز وفولس، على إدم يعضله أبَّ خلف ادع علىمونة وندحت توقوله وحق يطع فلمنز أدرب والرحيق العدش أرتوه وموانناه دنوف عباده بناسته لوف إديهم فنا العسبج من حله الاخبار و الازه جب بول دة الذه بجب وده ومناهم بطلاق وادنا على وابعه شاعلى واعتل والالمان ادله ومن على المان ووعواليدعلى اعتدعيده وسام فهؤكده عالم مرماان فيجز إجراده على فاعره معان النب عليد المسلام علم الناس تطول الفراع وعالم منها المنتبئيسه ودلع يا دوطنه الففائك أكلؤه الللفابلاس التصف المط مادل عليه الاخظة وخع النفت تبيس والكث وزبيات الناويك المناث اعتنادا لظاهرنا خرابيات مت ونت الماجة ولمع فنحلك لا بليز باصلىب الشوع وليدخع لنا غاة لكالم حيث المسلف الصائح وكما م اد مالالكارغاد أخ وصاف مبنا اعتقاده إث الرتدنعالاء

راموز ورفت العنوان للنسخت (د)

بجب علِد يشد بعد: (مود) أَعَلَابِتُ أَمَّ النَّعَلِيثُ أَمَّا اعْتِطَابَ الْهِرَأُمُ الْسَابُ غُ ٱللَّذِي فَمْ لَا سَكِلُ فُمَّ السَّاعِ العَلْمَ المَرْبُ لَسَّاءً وَكُلِيهِ وَاعْلَمُ مُونِهِ الدب نشاآ عشنا بنسسية وفوا بصادات أكتصوب المصطليبات والأرخى عليه وسلم وإن ما ذكره عن وموجّا كأله صا وقد مواله عن حادة الإطافة. فالدوالادولسائل عتراف الجوذيوات بكيَّ إن سوءًة مألاء فيشهف خدما فتددان وكارب من شائده حد فتدواسا فكوش فأن إبال عن معناه وقاعوش يتره ويعلمون سوال وند وحة والرأ خوف وأس عاطرة شدوات وشكران كلتر توقاض بدس حث وابده معاسا 14 سكل فات لا يتعرف ٤ كلساة نتاظ باختوات والبيديل بلغوائرة والزادة يت و المتممان من والحج والتغريث لما إنتاف إلا يَعْلَمُ المتناط رعام وَكُلُّ (دجه مت المراد والم عراب وا متعرب والمسيفة واسا الكذيان كف باشته عن البحث عنه والمنكورته وسائلتهم لأعله فان لا يعنك أن خاف ان خفي عليه ويزه ويورخ بي الرسول وب السفاع إرعاض البيا (د ومدرتيت ووادياء ثرله سيع وفاليف احتدد كالمنة (أسطف وجوساعل كل السام لا يَهِ فَإِنْ وَعَلَى إِلَّ سَاعَتُ الْقَالَا فَ وَ خُوْمَ مِنَا لَمُنْسُّرِهِا وَعَهِمَا ء كليف الدوسيه (و 1 التفليس ومعناه الشاط اليلد و المياد الم المرج غَاق الما على الله عليه وسلم ات المته تعلل فالرياسة (ويهيده مَا فَ مَلْهُ * بيناهين أت اماع الولات إراق لنويل الاله وطات و البارية وموا أوقع الإمياات اضوم كب ست في وعالم وعصب واللع والعلال جع خدوص بنعنات الأيوه والجلم بهاوة ان ساول الدطول الأخطاف ويُع فيرو مثاث يوجل المست حواقًا إنْ شيع عِن 3 لك اخطات و لا يسلما و صلااللات الاعدادية الدراب تُعَكَّدُ لعدَ بِلَهِم اصلاكا يَعَالُ المِلْهِ فَ وَلَا مُرْ قان فلك دنيوم مات كأث كا سيرمنطح اليق شلا نعلالمعا بدر فراها إين تناما و بشيئان الدسول فيسسال وان كم يرد ذكك مو مضو مكب شاخ و وفحًا

بسرابقدال ون الرحيم ربسها الجدائشالذء تفاتر أكافة عباده بصنابتهد اساء ويشاعتوا الطالبن با بدر كراد وتحساج وبالفكاد ووتحى عز عواللا الإلال عنان يوك الأنباع كنده فتينت واسترة فالريب ادلياب وهاحت واستوز أناأا حَدَا وَقَا بِالْهِمِثِ وَلَهُ وَلَهُ اصْرَافَ الْوَاوَعَلَىٰ وَجَدِمَتِ الْسَهَمِ عَلَىٰ على الله عرض المارا اسبع من العمد وحدّد وإنه الإيطاليات ومولده معلجر خلينت هد المتحليده وعاراه صاب وعشرته أسابعله نغلبان اوشلكا متدعده الاخاد المرجمة للنشبيد عنا لأغيج والمياك مالمنط والالاوش اعتقلا فيلتدو أصنأت ابتعلا وتفص عت الضما هاليدوالندم والنزوك إاتفال والجاور عل الدرر الماستزاده ما عرب ميراه طاخذه سنخاعولاخباره صديعاوالم ذعراان ستنادم يثب منتذالساف وادث ان اشره كالمعتناد السلت وان وبرياج على يم المات ان يعتدوه إ عله الم خياد واكشت بشه اللطاعث الحف وابرّ واجب ابعث عنه عاعب لاساكهاكف عن المرض بن فاستكناه المسكن عدا الماشتقا (بالإماران الصبح من فيراعت وما قيلة برا بساوما قط على تعقب لذهب ويدهب فاعتلده بالماتية والصاف والنمات اصلها ضافتك عليها واستلامت تعاع التسلابه والترنيف وحرابسات واعير حيَق وحاانا (وب الكتاب على للثناءات بالآيّات ومعت وحبر البلن إصله الإنبا و بالهيّال على المعتمد العرب بهياليلن وال س عاليم لروبال وا المصول سنرجة الناد ، عمّا الفت ؟ البالهول بآيا تهمينة استادا لسلاء عدد لاجار أعسلمان المت الصدع الأيانامة يتعفذا علىالصادح أعب السن أعل وحب العماة والنابث وما فمثرون بإنَّه وَيَا خُرُوا مَا مُعَامِّرُ وَالْعَامِ وَالْعَامِ وَالْعَامِ وَالْعَامِ السلت وجالمت عناداً ان كلين بلنه حديث سن حدَّه الماحاتين عام المثن

راموزالورف الأولى للنسخت (د)

(1/2

-12/5/2014

غي منذا المفادس المعادات (ايدلعات يخ بابدا وكالم جه (الكافة تا ف المعرفة) المتعلق عندا المعرفة كل المتعلق الم

قبلر

⋖

ķ

ĸ

K

×

K K

راموزالورف الأخيرة للنسخف (د)

راموز ورف العنوان للنسخت (هـ)

<u> おした たた たんだん たんだん</u>

Mark Market

وارد اناشج كلاعتماد السكن وأدابين الجريها وأكل المرتبط المرتب

مراسي التحيا المتميالها المجمد التمال وكواين الموطعة المتحدد المتحدد التحديد التعليم المواجعة التمال وكواين المعطعة المحدد وقرص مده وقد المتحدد المت

راموز الورق الأولى للنسخ (هـ)

نديدة فرالاسخ بميلان تيالونت قداين الولادة الاولاد والاندو بالاندو بالاندواد الاخواد الميلاد بيالة الميلود الميلاد بيالة الميلود الميلود بيالة الميلود الميلود بيالة الميلود الميلود

فابول في معيرة لعنب عكواتنا خبرعياض الوول الوجل الزكري في يعله عجاله

على دو تالايلياي في عن النبده (امنع شخصه بعيدة ما تالت نوكل وجد حلى العالمية في الانتساء (امنع شخصه بعيدة ما تالت نوكل وجد حلى العالمية في المناقبة على موات ويدال المناقبة على موات المناقبة على موات المناقبة على المناقبة المناقبة على المن

٠,

•

¥

Ý

×

كا امرادة خالي دنيته في ذاسيطيد وسط حبث ذال ادع اليسيل بهايل كم برا لدخاليست موادلهم الترجياسان والمدعة بالحكم أليلين انساميرً توم وبالمدعظ دقوم خرون علي افضائاً في تاب

الغسطاس المستقيم الله تم عالم الكلام موجا الكلام المستقيم العوام عوجا الكلام الموام عوجا الكلام الموام عوجا الكلام الموام الموام الموام الكلام الموام الكلام الموام الكلام الكلا

مادي اذاع براسة المداني بها يلى النير الدكانا النتيم المرانشراني بي النير (شك للنائي الدح الفردك المرتب المولول والمهم المرتب على المرتب المر

راموزالورف الأخيرة للنسخف (هـ)

٣٧

No. 1

مِنْ الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَالِمُ الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهَا الْهِي الْمُنْ الْمُنْ الْهِيْرِةِ لَكُمْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّا اللَّالِي الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّل

مريكان الدران وساله المتابعة والسالة منازع من الاستار عن المادة والموسنية والمادة عالى المتازع الموسنية والمادة عالى المتازع الموسنية والمادة عالى المتازع الموسنية عاملة الاستارة والعالمة المنازع ا

طالعما انعبل العقالي الله تعالي عنقل غاخيد سيدا تهذا مها ابن ليبسوق كنيش الشاخي صد حين السيداوت بلاتن شفرته

راموز ورقت العنوان للنسخت (و)

للاولية نشرح اعتقاد السلدفي هذا للخبار إزاعة الصريح الذكيا برافية عنداه والبصابر هومذه والسلف اعتى ذعب المصابة والنابعيز وحائخز فؤرد بيائ أئ وبيات برهاله يحقبقه هاوس السلف وحوالحق عندينا انتطاح وبلفة حداث مزهدة الاحادث مزعوام الخاف يحب عليه فيه سبعه امورة النقديس في النصا فوافنا ليجزئ والسكوت فعالكف فعرا لاسعال لغرالنسد الالاهواللحرفه أما التقديس اعنيه تدريه الرب تعلع والحشير توابعها وإما التصديق فموالايانها فالدالبى طاله عليه رساوان ماذكره حؤوانه فيما فالدصادق وأندحق على لوجه الذب قاله وأراره والمالكاعتواف بالتحريض انتربان مرفع ساده ليرعل فزوانته وازذلك ليريز بنانه وحرفته ولما الشكوت فازلاسالهن معناهٔ ولا عوض وبع إن سواله عنه بدعه وانه في خوصه واره ياطر بدينه وانه بوينزلز ليفولوخاص من من ينك بشعر و أن المزاهد ؟! فازكا بنصرف في لك الالفاظ والنصريف والنبد وبالطف اخرى والزواده فيها والثقصان شهاوالهع والنفرفيق الابتطف الآبولك اللفظ وعلى كالوجه حزلا براد والاعراب والنصويف والصيغدة وأمنا المستنف فانطكف بالمبار عزاليجنزعنه والنفكوفية وإما النساي بمعنى غازة بعنقذاؤة لك ازخفي عليه لعجن ولندخ في طال موال معلى عدوسيا ادعلى الإنبيكا وعلى الصديقة والاوليا مؤده سب وطايف اعتلاالتاريجوما عوطلاهراد ولايدي إن بطر بالساد الخلاف غرض اعلنت وظير وظيفه الوظيف للوطي الماقر البيري

إسالاحرائي للورسها لذى يجسل ليكافية عباده بصفائة وأسمامه ووثبه عقول الطاليب له فريدار كروابيه وفعاضف الافكاردون عي زيد ومعالى الله عزار فيرك الافهام كنه حقيقته واستوافي تلوث اصله واستعق ا وواحدت إحترفو بنارعمستة كوده توافيات وأقيانوا وعظمته وحيث السنتم عزالتنا إعلى الحضونية الايما اسعه بمرض مداحه وصفته والبا على از رسوله تعرف وحديثة صالسعليه وعارك اله وصعبه وعارقه الما يعيل مفدسات إيتنك الله عز الإخبار الموهد النسبية عندالرماع والجهال زالحشويه الضلال حبث اعتفدوا في روفي فالم حابنعاي ويتقدير عبنه مزالعوده واليدوالقدم والنزول والانتفال للجلوس على لعرش والاستقرار وما يحري يجولة مهاخذوة منظول حوالاخبداد وصورها فانهرزعموا ان عتقاده وفيه معتقدا لنشاف واون و الماسيج كليفتة السلف وازار بنطيج بالبيث عدارعا بجب الاستاك والكف عالمخوض فيه فاجتك ليطلبنك يشقدوا الحاله بستانه باظها وللوالعسريخ غبرمواصنه ومرافيدجاب وعحافظه على عصبط فرهب وزجاناب والحق ولح المراوب والصرق والانصاف ولج المحافظة واسال السنفال المئتديد والنوفيق وحوباجا به واحه مقبق وعاانا ادنب الكابط فخانه ابواب - في أرحقيقه مركوب السّلف من الانبار . في المرود الله في الكوفي مروب السّلف وازدرخانهم فهومتندع فصوامتفونه نادمة فيهذال

راموز الورف الأولى للنسخ (و)

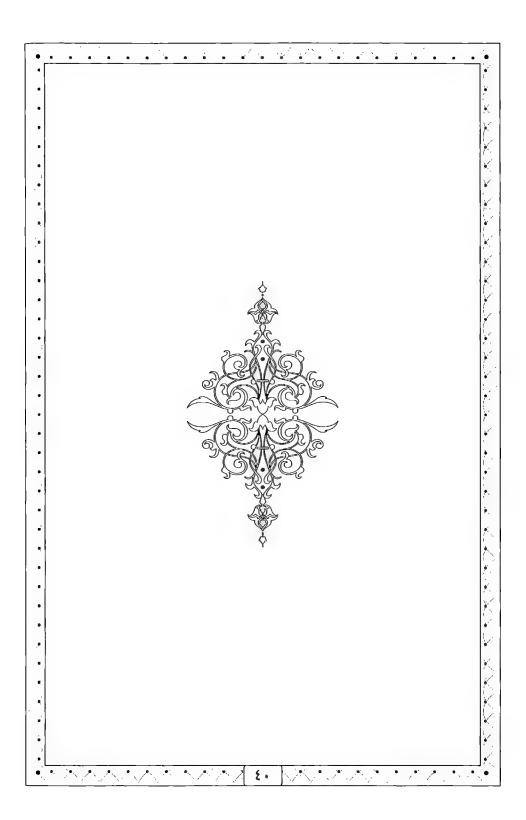
الإنسانية ولينقل تطاشي من فكر في جاجان ورقرا إن العنها للمخط المنافقة المن

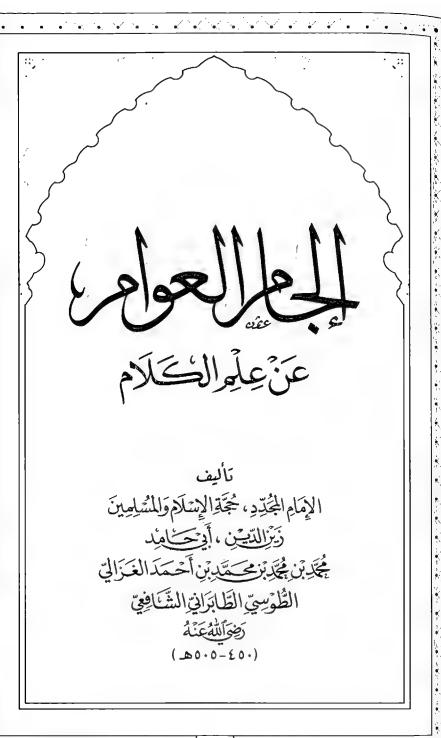
حور جذرانه والايمبز فيه الباطل عزايجة فجأ كحواب ازجذا غلطمن وعب البه بال حاده الخاق ان بعثقدوا التي على اموعليه اعتمادا جازا لينتف فلويهم بالتكووة الموافقه لخفيفه للوصح الاامانوا وألكشف لقرالغظافناء روا الامورعلما احتندوها لمبنتضعوا ولمتحترضوا بنادأ غخله والحنزيا وككوبنار عصغ ثانبًا وصودة الحق أوالتقشطا فليه ظلاينظرالمالسبب للغيالة احود لي حقيق أودشجا والتناع لوحوثول عنالاعتقاد لخسرت فايله اوفنول يجردان قلبوشغير سبب فليش المطلوب الدلول المفيد بل الغابده وحي تبقه للحق على أع عِليهُ في عُمَّا حنيقه للحو فالدمعا ومسائد وكتبه ورساله والبوم الأخرعلى هوعليه فموسميدوان لربكن لكريد لبل خرد كالماء وأربكات الله عباده الاذكره ذكريعاوم على الطوورة بجلدا خارستوا توثث وسولايه صلى الدعليه وسامل توارد الاعراب عليه وعصه الاعان عليهم وقبولهم فخال وانصرافهم الربعابه الابل وللواشي فغير تكليفه الاصرالفكرفي المعجزة ووجه كالنها والنفكر عدث العالم واثبات الصانم وفي إدلة الوحدائيه وساير الصفات بآللاكنو من اجلافاص لوگلغوا ذکر لم بنههوه و لم بزرگوه بعد طول المرة باوکار الواحد کم بعلغه ومغور بابعه انده ارسکر بسودهٔ خیفول وانند انده ارشانی بسوکه فكانضليق بمينه وبيصوف وينول الاخواذا فلاعليه ونظرانيه والعدما هذا وجد وعزاب وامنال فكك ما لاعكمي وإكان الولصا كتسط في غزاه واحده فيعصرالصحابه للافت لابغهر الاكترون الهمادله الطلام ومزيكال بمكندان مفهمها كأريحناج الحاربة وكصفاءته ويخذلف

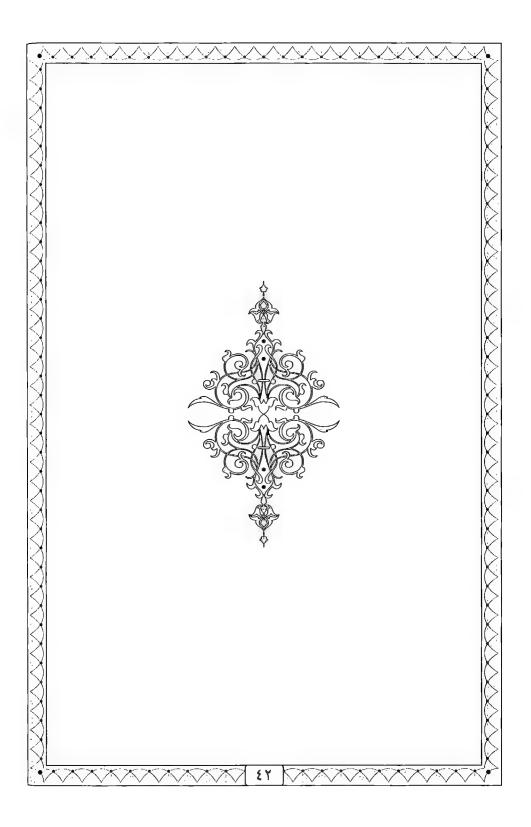
راموز الورف قبل لأخبر فللنسخ، (و)

الاذلاف وقيسا فارفرصناعاميًا عادلٌ لجوجُ اليس يقلد وليس بقعد ادلقالقواز والافاور إلجليه المقنعه الشابقه المالافهام فأذابصنع به ولذا كهذا مريخ بالطبعة عزائهم، الفطره وسلامة الخلف. الاصليه فيذخر وينه المهان الإعزائلهام الميلالقال الإطبعه لهر بحادله وتؤيرنا وجه الايوز منه الصائحة عزا في اصور أصول الأباذ وانتفوسنا فبه بالفراشه مخابا الرشار والفبول اوجا وذنا بدمن التعادم الظاهو الى تدفيق الادله عالجناه بمائية درعك مفرف كك ودا وبناة الخواز المتروالهوجان لخلو وبالجياز فعتهدا زيحادكه بالآش كالمواه نغال ووخصتنا فح خذا القدوم زالمداواه ولايداعلى نغ باب الديمان مع العنافة فازالادوميةً تسمع ل عنو الموقى وهمه الاعلوز بما بعالج بما لمربض كم العنوون عب از نوي عندالصمايح والفطوة الصحبحاء للاصليه تتعدلقبول الايجات دور الجادلة وتحدير حفامة الادلة وليسر الضررفي استعال الدوا مع الاصلة بامًا مزالصرري احمال الداواه مع المرضى فلبوطع كل يتى وضعه وعدا اسواله نعال غيب أحبث فاللاع الى تسبيل وبكيالكه والوعظه للسنه وجادلهم بالني واجسن فالمدعوا الملحق بالحنط به قوم ورا لوعظه للحسّة مؤمر الحرون وبالجيادله بالتي هر لحسن قوم على اصلنا احسامه مريح كتأب الفسطاس المستنايم فلانطول بإعادته والساعل بالصواب تم التشاب ولايد والعالم والعالم والعالم والدورة والدورة في الزام وي المادرة والعالم والعالم والدورة والدورة والمرادرة وا المادر والقيار [لفاق في الله دون عراد الرادرة والمدرة والمرادرة والمدرة والمركزة والمركزة والمدرة والمركزة والمركزة

راموزالورف الأخيرة للنسخف (و)







سب تصنيف الرّسالة

هاذه نسخة السؤالِ الذي أنهاهُ الشيخُ الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ سياهَ رحمَهُ اللهُ . . إلى الإمامِ حُجَّةِ الإسلامِ ، حتى صَنَّفَ في جوابِهِ هاذا الكتابَ الموسومَ بر « إلجامِ العوامِ عن علم الكلام » :

ما قولُهُ رضيَ اللهُ عنهُ في الأخبارِ الواردةِ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي يُوهِمُ ظاهرُها التشبية ؛ مثلُ قولِهِ : « يَنْزِلُ ٱللهُ » ، وقولِهِ : « خَمَّرَ » ، وقولِهِ : « خَمَّرَ » ، وقولِهِ : « خَلَقَ آللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَةِ « خَلَقَ آللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَةِ « خَلَقَ آللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَانِ » (*) ، وقولِهِ : « حَتَّىٰ يَضَعَ ٱلْجَبَّارُ قَدَمَهُ » ، و الرَّمْنُ عَلَى اللهُ الْعَرْشِ السَتَوَىٰ ﴿ ﴾ ، و ﴿ وَهُو الْقَاهِرُ فَرَقَ عِبَادِهِ ﴿ ﴾ ، ﴿ يَدُ اللهِ فَوَقَ عِبَادِهِ ﴿ ﴾ ، ﴿ يَدُ اللهِ فَوَقَ عَبَادِهِ ﴿ ﴾ ، ﴿ يَدُ اللهِ فَوَقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، ﴿ يَدُ اللهِ فَوَقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

فما الصحيحُ مِنْ هلذهِ الأخبارِ ؟

وما الذي يجبُ قَبُولُهُ ؟

وما الذي يجبُ رَدُّهُ ؟

ومَنْ يحكمُ ببطلانِهِ . . ما دليلُهُ عليهِ ؟ (٣) .

⁽١) وقد تفردت (د ، هـ) بنص هلذا السؤال .

⁽٢) والرواية الأولئ هي : « إن الله تعالى خلق آدم على صورته » انظر (ص ٥٣) .

⁽٣) في (د) : (ومن يحكم ببطلانه ؟ وما دليله عليه ؟) .

وما يصحُّ منها علىٰ ماذا يُحمَلُ ؟

وما دليلُ تأويلِهِ وصرفِهِ عن ظاهرِهِ ؟

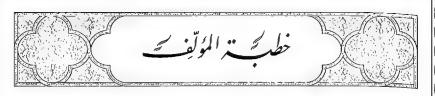
ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِمَ ذكرَهُ معَ كونِهِ مُوهِماً إن لم يَجُزْ إجراؤُهُ على ظاهرِهِ ، معَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَلِمَ أنَّ مَنْ نظَرَ إلىٰ ظواهرِها . . فَهِمَ منها التشبية ، ووقعَ في ورطةِ الضلالِ والكفر ؟

والتلفَّظُ بهاذا مع القصدِ إلى غيرِ ما دلَّ عليهِ اللفظُ في وضعِ اللغةِ . . تلبيسٌ ، والكفُّ عن بيانِ التأويلِ ومنعِ الخلقِ اعتقادَ الظاهرِ . . تأخيرُ البيانِ عن وقتِ الحاجةِ ، وشيءٌ مِنْ ذلك لا يليقُ بصاحبِ الشرع !

فليوضِّحْ لنا في ذلكَ مذهبَ السلفِ الصالحِ ، وما يجبُ علينا اعتقادُهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

تمَّ إرسالُ الكتابِ في أواخرِ رمضانَ سنةَ . . . وخمسِ مئةٍ (١) .

⁽١) في (ه) زيادة: (فصنف حجة الإسلام الكتاب المذكور في جوابه، وهو آخر كتاب صنّفه، والله أعلم)، وسقط منها: (تمّ إرسال ...) إلىٰ آخره، وفي (ج): (بسم الله الرحمني الرحمني الرحمني الشيئ الشيئ الإمام، الأجلُّ السيّد، حُجَّةُ الإسلام، قدوةُ الأمَّةِ، إمامُ الأنمَّةِ، مقتدى الفريقين _ قدّس الله روحة، ونوَّر ضريحة _ عن أخبار وآيات وردت عن الشارع وهي تشعير بالتشبيه والتجسَّم؛ مثل : خبر النزول، وخبر القدّم والصورة واليد، وآية الاستواء، والفوق، وغير ذلك، فصنّف عند ذلك هذا الكتاب، وسمَّاهُ: « إلجام العوامِ عن علم الكلامِ»، فأوَّلُ ما بدأ به بالثناء على الله ورسولِهِ صلّى الله عليه وسلّم، فقالَ: الحمدُ للهِ ...).



بِسُ اللهِ ٱلرَّمْزِ الرِّحِيَّمِ

الحمدُ للهِ الذي تجلّى لكافّة عبادِه بصفاتِه وأسمائِه ، وتَيّة عقولَ الطالبينَ في بيداء كبريائِه ، وقصَّ أجنحة الأفكارِ دونَ حمى عِزّتِه ، وتعالىٰ في جلالِه عن أن تدركَ الأفهامُ كُنْهَ حقيقتِه ، واستوفىٰ قلوبَ أوليائِهِ وخاصّتِه ، واستغرقَ أرواحَهُم حتى احترقوا بنارِ محبّتِه ، وبُهِتوا في إشراقِ أنوارِ عظمتِه ، وخرستُ ألسنتُهُم عنِ الثناءِ علىٰ جمالِ حضرتِه إلّا بما أسمعَهُم مِنِ اسمِه وصفتِه ، وأنبأهُم علىٰ لسانِ رسولِه محمدٍ خيرِ خليقتِه ، صلّى الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه وعترتِه .

أما بعسك :

فقد سألتني _ أرشدك الله _ عن الأخبار المُوهِمة للتشبيهِ عند الرَّعاع والجُهَّالِ مِنَ الحَشْويةِ الضُّلَّلِ ؛ حيثُ اعتقدوا في اللهِ سبحانَهُ وفي صفاتِهِ ما يتعالى ويتقدَّسُ عنه ؛ مِنَ الصورةِ ، واليدِ والقَدَمِ ، والنزولِ والانتقالِ ، والجلوسِ على العرشِ والاستقرارِ ، وما يجري مَجراهُ ممَّا أخذوهُ مِنْ ظواهرِ الأخبارِ وصورِها ، فإنَّهُم زعموا أنَّ مُعتقدَهُم فيهِ مُعتقدُ السلفِ .

وأردت أن أشرحَ لكَ اعتقادَ السلفِ، وأن أُبيِّنَ ما يجبُ على عمومِ الخَلْقِ أن يعتقدوهُ في هاذهِ الأخبارِ، وأكشِف فيهِ الغطاءَ عنِ الحقِّ، وأُبيِّنَ (١) ما يجبُ البحثُ عنهُ عمّا يجبُ الإمساكُ والكفُّ عن الخوض فيهِ.

فأجبتُكَ إلى طَلِبتِكَ مُتقرِّباً إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ بإظهارِ الحقِّ الصريحِ مِنْ غيرِ مداهنةٍ ومراقبةِ جانبٍ ، ومحافظةٍ علىٰ تعصُّبٍ لمذهبٍ دونَ مذهبٍ ؛ فالحقُّ أُولىٰ بالمراقبةِ ، والصدقُ والإنصافُ أُولىٰ بالمحافظةِ عليهِ .

وأسألُ الله تعالى التسديد والتوفيق ، وهو بإجابة داعيه حقيقٌ .

وهاأنا أُرتِّبُ الكتابَ على ثلاثةِ أبوابٍ:

بابٌ : في بيانِ حقيقةِ مذهبِ السلفِ في هاذهِ الأخبارِ .

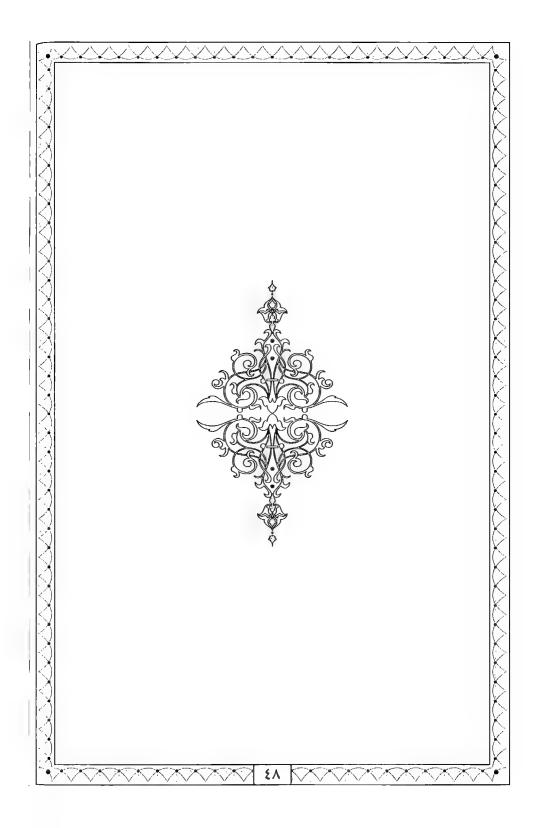
وبابٌ: في البرهانِ على أنَّ الحقَّ في مذهبِ السلفِ ، وأنَّ مَنْ خالفَهُمْ فهوَ مُبتدِعٌ .

وبابٌ : في فصولٍ مُتفرِّقةٍ نافعةٍ في هلذا الفنِّ .



⁽١) في (د) : (وأُميِّز) .





الباب الأوّل في بيان حقيقت اعتف د السّلف في هذه الأخب ار

اعلمْ: أنَّ الحقَّ الصريحَ الذي لا مراءَ فيهِ عندَ أهلِ البصائرِ . . هوَ مذهبُ السلفِ ؛ أعني : مذهبَ الصحابةِ والتابعينَ ، وها نحنُ نوردُ بيانَهُ ، وبيانُهُ برهانُهُ .

فأقولُ: حقيقةُ مذهبِ السلفِ ـ وهوَ الحقُ عندَنا ـ: أنَّ كلَّ مَنْ بلغَهُ حديثُ مِنْ هاذهِ الأحاديثِ مِنْ عوامِ الخلقِ . . يجبُ عليهِ مَنْ بلغَهُ حديثُ مِنْ هاذهِ الأحاديثِ مِنْ عوامِ الخلقِ . . يجبُ عليهِ فيهِ سبعةُ أمورِ: التقديسُ ، ثمَّ التصديقُ ، ثمَّ الاعترافُ بالعجزِ ، ثمَّ السكوتُ ، ثمَّ الكفُّ ، ثمَّ الإمساكُ ، ثمَّ التسليمُ لأهلِ المعرفةِ .

أمَّا التقديسُ . . فأعني بهِ : تنزيهَ الربِّ تعالىٰ عنِ الجسميَّةِ وتوابعِها .

وأمَّا التصديقُ . . فهوَ الإيمانُ بما قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأنَّ ما ذكرَهُ حتُّ ، وهوَ فيما قالَهُ صادقٌ ، وأنَّهُ حتُّ على الوجهِ الذي قالَهُ وأرادَهُ .

وأمَّا الاعترافُ بالعجزِ . . فهوَ أن يُقِرَّ بأنَّ معرفةَ مرادِهِ ليسَ علىٰ قدْرِ طاقتِهِ ، وأنَّ ذلكَ ليسَ مِنْ شأنِهِ وحِرفتِهِ .

وأمَّا السكوتُ . . فألَّا يسألَ عن معناهُ ، ولا يخوضَ فيهِ ، ويعلمَ أنَّ سؤالَهُ عنهُ بدعةٌ ، وأنَّهُ في خوضِهِ فيهِ مُخاطِرٌ بدينِهِ ، وأنَّهُ يوشكُ أن يَكْفُرَ لو خاضَ فيهِ مِنْ حيثُ لا يشعرُ .

وأمَّا الإمساكُ . فألَّا يتصرَّفَ في تلكَ الألفاظِ بالتصريفِ والتبديلِ بلغةٍ أُخرىٰ ، والزيادةِ فيهِ والنقصانِ منهُ ، والجمعِ والتفريقِ ، بل لا ينطقَ إلَّا بذلكَ اللفظِ وعلىٰ ذلكَ الوجهِ ؛ مِنَ الإيرادِ والإعراب ، والتصريفِ والصيغةِ .

وأمَّا الكفُّ . . فأَن يكفَّ باطنَهُ عنِ البحثِ عنهُ والتفكُّرِ فيهِ .

وأمَّا التسليمُ لأهلِهِ . . فألَّا يعتقدَ أنَّ ذلكَ إن خفيَ عليهِ لعجزِهِ . . فقد خفيَ على الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أو على الأنبياءِ أو على الصِّدِيقينَ والأولياءِ .

فهاذه سبعُ وظائفَ اعتقدَ كافَّةُ السلفِ وجوبَها على كلِّ العوامِّ ، لا ينبغي أن يُظنَّ بالسلفِ الخلافُ في شيءِ منها ، فلنشرَحْها وظيفةً وظيفةً .

الوظيفة الأولى التَّفْدُسِيس

ومعناهُ: أنَّهُ إذا سمعَ (اليدَ والإصبَعَ) في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إِنَّ ٱللهُ حَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً » (۱) ، و «إِنَّ قلْبَ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَانِ » (۱) . . فينبغي أن يعلمَ أنَّ (اليدَ) تُطلَقُ لمعنيين :

أحدُهُما _ وهوَ الوضعُ الأصليُ _ : هوَ عضوٌ مُركَّبٌ مِنْ لحمٍ وعظمٍ وعصبٍ ، واللحمُ والعظمُ والعصبُ جسمٌ مخصوصٌ بصفاتٍ مخصوصةٍ ، والجسمُ : عبارةٌ عن مُقدَّرٍ لهُ طُولٌ وعَرْضٌ وعمقٌ ، يمنعُ غيرَهُ مِنْ أن يُوجدَ بحيثُ هوَ إلَّا أن يتنحَّىٰ عن ذلكَ المكانِ .

وقد يُستعارُ هاذا اللفظُ _ أعني : اليدَ _ لمعنى آخرَ ليسَ ذلكَ المعنىٰ بجسمٍ أصلاً ؛ كما يُقالُ : البلدةُ في يدِ الأميرِ ؛ فإنَّ ذلكَ مفهومٌ وإن كانَ الأميرُ مقطوعَ اليدِ مثلاً .

⁽۱) أخرجه الآجري في « الشريعة » (871) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (971) موقوفاً على ابن مسعود أو سلمان الفارسي رضي الله عنهما ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (971) ، و« مشكل الحديث » لابن فورك (971) .

⁽٢) رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

فعلى العامِّيِّ وغيرِ العامِّيِّ أَن يتحقَّقَ قطعاً ويقيناً أَنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يُرِدْ بذلكَ اللفظِ جسماً هوَ عضوٌ مُركَّبٌ مِنْ لحمٍ ودمٍ وعظمٍ ، وأنَّ ذلكَ على اللهِ تعالىٰ مُحالٌ ، وهوَ عنهُ مُقدَّسٌ .

فإن خطرَ ببالِهِ أنَّ اللهَ تعالىٰ جسمٌ مُركَّبٌ مِنْ أعضاءٍ .. فهوَ عابدُ صنم ؛ فإنَّ كلَّ جسمٍ مخلوقٌ ، وعبادةُ المخلوقِ كفرٌ ، وعبادةُ الصخلوقِ كفرٌ ، وعبادةُ الصنمِ إنَّما كانَ مخلوقًا لأنَّهُ مخلوقٌ ، وإنَّما كانَ مخلوقًا لأنَّهُ جسمٌ ؛ فمَنْ عبدَ جسماً .. فهوَ كافرٌ بإجماعِ الأُمَّةِ ؛ السلفِ منهُم والخلف (۱).

سواءٌ كانَ ذلك الجسمُ كثيفاً كالجبالِ الصَّمِّ الصِّلابِ، أو لطيفاً كالأرضِ، أو مشرقاً لطيفاً كالأرضِ، أو مشرقاً كالشمسِ والقمرِ والكواكبِ، أو مُشِقاً لا لونَ لهُ كالهواءِ، أو عظيماً كالعرشِ والكرسيِّ، أو صغيراً كالذَّرةِ، أو جماداً كالحجارةِ، أو حيواناً كالإنسانِ ؛ فالجسمُ صنمٌ ، وبأن يُقدَّرَ حسنُهُ وجمالُهُ، أو عِظمهُ أو صفاؤُهُ ، أو صلابتُهُ ونقاؤُهُ.. لا يخرِجُ عن كونِهِ جسماً (٢).

ومَنْ نفى الجسمية عنه وعن يدِهِ وإصبَعِهِ . . فقد نفى العضوية واللحمَ والعصبَ ، وقدَّسَ الربَّ سبحانَهُ عمَّا يُوجِبُ الحدوثَ .

⁽١) وعلى هذا المعنى تحديداً يُحمَلُ عموم نصوص المذاهب الفقهية الأربعة الناطقة بتكفير المُجسِّمة ، لا على عموم المُشبّهة .

⁽٢) في (أ، د، و): (صنماً) بدل (جسماً).

فليعتقد بعدَهُ أنَّهُ عبارةٌ عن معنى مِنَ المعاني ؛ ليسَ بجسمٍ ولا عَرَضٍ في جسمٍ ، يليقُ ذلكَ المعنى بصفاتِ الجلالِ والكبرياءِ .

فإن كانَ لا يدري ذلكَ المعنى ، ولا يفهمُ كُنْهَ حقيقتِهِ . . فليسَ عليهِ في ذلكَ تكليفٌ أصلاً ؛ فمعرفةُ تأويلِهِ ومعناهُ ليسَ بواجبٍ عليهِ ، بل الواجبُ عليهِ ألَّا يخوضَ فيهِ كما سيأتي (١) .

مثالآخر

إذا سمع (الصورة) مِنْ قولِهِ: « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَةِهِ » (٢) ، و إِنِّي رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ » (٣) . . فينبغي أَن يعلمَ أَنَّ (الصورة) اسمٌ مشتركٌ ؛ قد يُطلَقُ ويُرادُ بهِ الهيئةُ الحاصلةُ في أجسامٍ مُؤلَّفةٍ مُركَّبةٍ مُرتَّبةٍ ترتيباً مخصوصاً ؛ مثلُ الأنفِ والعينِ والفم والخدِّ التي هي أجسامٌ هي لحومٌ وعظامٌ .

وقد يُطلَقُ ويُرادُ بهِ ما ليسَ بجسمٍ ، ولا هيئةٍ في جسمٍ ، ولا هوَ ترتيبٌ في أجسامٍ ؛ كقولِكَ : عرفتُ صورةَ هاذهِ المسألةِ ، وصورةَ هاذهِ الواقعةِ ، وإنَّ وزارةَ فلانٍ وولايتَهُ منتظمةٌ في أحسنِ صورةٍ ، وما يجرى مَجراهُ .

⁽١) انظر (ص ٦١) .

⁽٢) رواه مسلم (٢٦١٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

 ⁽٣) رواه الدارمي (٢١٩٥) بلفظه هنا عن سيدنا عبد الرحمن بن عائش رضي الله عنه ، وهو عند الترمذي (٣٢٣٣) وأحمد (٣٦٨/١) بلفظ مقاربٍ عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

فليتحقَّقْ كلُّ مؤمنٍ: أنَّ الصورةَ في حقِّ اللهِ تعالىٰ لم تُطلَقْ لإرادةِ المعنى الأولِ ؛ الذي هوَ جسمٌ لحميٌّ وعظميٌّ ، مُركَّبٌ مِنْ أنفٍ وفم وخدِّ وعينٍ ؛ فإنَّ جميعَ ذلكَ أجسامٌ وهيئاتٌ في أجسامٍ ، وخالتُ الأجسام كلِّها مُنزَّةٌ عن مشابهتِها وصفاتِها .

فإذا عَلِمَ هاذا يقيناً . . فهوَ مؤمنٌ ، فإن خطرَ لهُ أنَّهُ إن لم يُرِدُ هاذا المعنى . . فما المعنى الذي أرادَهُ ؟

فينبغي أن يعلمَ أنَّ ذلكَ لم يُؤمَرُ بهِ ، بل أُمِرَ بألَّا يخوضَ فيهِ ؟ فإنَّهُ ليسَ علىٰ قَدْرِ طاقتِهِ ، للكنْ ينبغي أن يعتقدَ أنَّهُ أُريدَ بهِ معنىً يليقُ بجلالِ اللهِ تعالىٰ وعظمتِهِ ؟ ممَّا ليسَ بجسمٍ ولا عَرَضٍ في يليقُ بجلالِ اللهِ تعالىٰ وعظمتِهِ ؟ ممَّا ليسَ بجسمٍ ولا عَرَضٍ في جسم .

مثالآخر

إذا قرعَ سمعَهُ (النزولُ) في قولِهِ: « يَنْزِلُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا » (١) . . فالواجبُ عليهِ أن يعلمَ أنَّ (النزولَ) اسمٌ مشتركٌ ؛ قد يُطلَقُ إطلاقاً يَفتقِرُ فيهِ إلىٰ ثلاثةِ أجسامٍ : جسمٌ عالٍ هوَ مكانٌ لساكنِهِ ، وجسمٌ سافلٌ ، وجسمٌ مُنتقِلٌ مِنَ العالي إلى السافلِ .

فهوَ إذاً عبارةٌ عنِ انتقالِ جسمٍ مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ؛ فإن كانَ مِنْ مُلْوٍ الى سُفْلٍ ؛ فإن كانَ مِنْ عُلْوٍ سُفْلٍ إلىٰ عُلْوٍ . . سُمِّيَ صُعوداً وعُروجاً ورُقِيّاً ، وإن كانَ مِنْ عُلْوٍ

⁽١) رواه مسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

إلىٰ سُفْلِ . . سُمِّيَ نُزولاً وهُبوطاً وحُدوراً . . . إلىٰ غير ذٰلكَ .

وقد يُطلَقُ على معنى آخرَ لا يفتقرُ فيهِ إلى تقديرِ انتقالٍ وحركةٍ في جسمٍ ؛ كما قالَ تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْأَنْعَلِمِ ثَمَانِيَةَ وَحركةٍ في جسمٍ ؛ كما قالَ تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْأَنْعَلِمِ ثَمَانِيَةَ أَزْرَجٍ ۞ ﴾ ، وما رُئِي البعيرُ ولا البقرُ نازلاً مِنَ السماءِ بالانتقالِ ، بل هي مخلوقةٌ في الأرحامِ ، ولإنزالِها معنى لا محالةً ، وكما قالَ الشافعيُ رحمَهُ اللهُ : (دخلتُ مصرَ فلم يفهموا كلامي ، فنزلتُ ثمَّ نزلتُ ثمَّ نزلتُ ن، ولم يُرِدْ بهِ انتقالَ جسدِهِ إلى سُفْلٍ .

فليتحقَّقِ المؤمنُ : أنَّ النزولَ في حقِّ اللهِ تعالى ليسَ بالمعنى الأَوَّلِ ؛ وهوَ انتقالُ شخصٍ وجسدٍ مِنْ عُلُو إلى سُفْلٍ ؛ فإنَّ الشخصَ والجسدَ للأجسام ، والربُّ تعالىٰ ليسَ بجسم .

فإن خطرَ لهُ أنَّهُ إذا لم يُرِدْ هلذا . . فما الذي أرادَهُ ؟

فيُقالُ لهُ: أنتَ إذا عَجَزْتَ عن فهمِ نزولِ البعيرِ مِنَ السماءِ . . فأنتَ عن فهمِ نزولِ اللهِ تعالى أعجزُ ؛ فليسَ هاذا بعُشِّكَ فادْرُجْ ، فأنتَ عن فهمِ نزولِ اللهِ تعالى أعجزُ ؛ فليسَ هاذا بعُشِّكَ فادْرُجْ ، واستغلْ بعبادتِكَ أو حِرفتِكَ ، واسكتْ ، واعلمْ أنَّهُ أُريدَ بهِ معنى مِنَ المعاني ، الذي يجوزُ أن يُرادَ بالنزولِ في لغةِ العربِ (۱) ، ويليقُ ذلكَ المعنى بجلالِ اللهِ عزَّ وجلَّ وعظمتِهِ ، وإن كنتَ لا تعلمُ حقيقتَهُ وكيفيتَهُ (۱) .

⁽١) هـنذا نصٌّ هامٌّ في كتاب « الإلجام » ، فيه تصريح المصنف بجواز تأويل هـنذه الألفاظ حسب قانون اللغة .

⁽٢) في (ب) : (حقيقته وتعيُّنَهُ) ، وفي (هـ) : (حقيقته ويقينه) .

مثالآخر

إذا سمعَ لفظَ (الفوقِ) في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ عَبَادِهِ عَالَىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوَقِهِمْ ۞ ﴿ .. فليعلمُ أَنَّ (الفوقَ) اسمٌ مشتركٌ يُطلَقُ لمعنيين:

أحدُهُما: نسبةُ جسم إلى جسم ؛ بأن يكونَ أحدُهُما أعلىٰ والآخرُ أسفلَ ؛ يعني: أنَّ الأعلىٰ مِنْ جانبِ رأس الأسفل .

وقد يُطلَقُ لا لهاذا المعنى ، فيُقالُ : الخليفةُ فوقَ السلطانِ ، والسلطانُ فوقَ السلطانِ ، وجلسَ والسلطانُ فوقَ الوزيرِ ؛ كما يُقالُ : دخلَ فلانٌ على الأميرِ ، وجلسَ فوقَ فلانٍ ، وكما يُقالُ : العلمُ فوقَ العملِ ، والصياغةُ فوقَ الدباغةِ .

والأولُ: يستدعي جسماً حتى ينسبَ إلى جسمٍ ، والثاني: لا يستدعيهِ .

فليعتقدِ المؤمنُ قطعاً: أنَّ الأوَّلَ غيرُ مرادٍ ، وأنَّهُ على اللهِ تعالىٰ محالٌ ؛ فإنَّهُ مِنْ لوازمِ الأجسامِ ، أو لوازمِ أعراضِ الأجسامِ .

وإذا عرف نفيَ هذا المُحالِ عنِ القديمِ سبحانَهُ . . فلا عليهِ إن لم يَعرفُ أنَّهُ لماذا أُطلِقَ ، وماذا أُريدَ بهِ ؟ فقد خَفَّفَ اللهُ عنهُ هاذهِ الكُلفة .

وأمثلةُ هنذا كثيرةٌ ، فقِسْ على ما ذكرناهُ ما لَم نذكره .

الوظيفة الثّانية الإنميان والتّصديق

وهوَ أن يعلمَ قطعاً: أنَّ هاذهِ الألفاظَ أُريدَ بها معانٍ تليقُ بجلالِ اللهِ تعالىٰ وعظمتِهِ ، وأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صادقٌ في وصفِ اللهِ تعالىٰ بها ، فليؤمِنْ باللهَ ، وليوقِنْ بأنَّ ما قالَهُ صِدقٌ ، وما أخبرَ عنهُ حقٌ لا ريبَ فيهِ ، وليقلْ : آمنًا وصدَّفنا ، وأنَّ ما وصفَ اللهُ بهِ نفسَهُ أو وصفَهُ بهِ رسولُهُ . . فهوَ كما وصفَهُ ، وهوَ حقٌ بالمعنى الذي أرادَهُ ، وعلى الوجهِ الذي قالَةُ ، وإن كنتُ لا أقفُ علىٰ حقيقتِهِ (۱) .

فإن قلتَ: التصديقُ إنَّما يكونُ بعدَ التصوُّرِ ، والإيمانُ إنَّما يكونُ بعدَ التصوُّرِ ، والإيمانُ إنَّما يكونُ بعدَ التفهُّمِ ؛ فهاذهِ الألفاظُ إذا لم يَفهمِ العبدُ معانيَها . . كيفَ يعتقدُ صِدقَ قائلِها فيها ؟

فجوابُكَ : أنَّ التصديقَ بالأمورِ الجُمليَّةِ ليسَ بمُحالٍ ؛ فكلُّ عاقلٍ يعلَمُ أنَّهُ أُريدَ بهاذهِ الألفاظِ المعاني ، وأنَّ كلَّ اسم فلهُ

⁽۱) وقد روى الحاكم في « المستدرك » (۱۱٤/۲) ، والبيهقي في « الشعب » (۲۰۸) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ : ﴿ فَأَلِمُنَا فِهَا عَلَى اللهُ عَنْهُ وَمَثَنَا ﴿ وَمَعَلَمُ اللهُ عَنْهُ اللَّهُ ﴾ ، قال : فكل هلذا قد عرفناه ، فما الأبُ ؟ شم نفض عصاً كانت في يده فقال : (هلذا لعمرُ الله التكلُّف ، اتَّبعوا ما تبيّن لكم من هلذا الكتاب) .

مُسمّى، إذا نطقَ بهِ مَنْ أرادَ مخاطبةَ قوم . . قصدَ ذلك المُسمّى ؟ فيمكِنُهُ أن يَعتقِدَ كونَهُ كاذباً مُخبِراً عنهُ على خلافِ ما هوَ عليهِ ، ويمكِنُهُ أن يَعتقِدَ كونَهُ صادقاً مُخبِراً عنهُ على ما هوَ عليهِ ؟ فهاذا معقولٌ على سبيل الإجمالِ .

بل يمكِنُ أن يُفهَمَ مِنْ هلذهِ الألفاظِ أمورٌ جُمليَّةٌ غيرُ مُفصَّلةٍ ، ويمكنُ التصديقُ ؛ كما لو قالَ قائلٌ : في البيتِ حيوانٌ . . أمكنَ أن يُصدَّقَ دونَ أن يُعرَفَ أنَّهُ إنسانٌ أو فَرسٌ أو غيرُهُ ، بل لو قالَ : فيهِ شيءٌ . . أمكنَ تصديقُهُ وإن لم يُعرف ذلكَ الشيءُ .

فكذالكَ مَنْ سمعَ الاستواءَ على العرشِ . فَهِمَ على الجملةِ : أَنَّهُ أُريدَ بذلكَ نسبةٌ خاصَّةٌ للعرشِ ، فيمكنُهُ التصديقُ قبلَ أن يَعرِفَ أَنَّهُ أُريدَ بذلكَ النسبةَ أهي نسبةُ الاستقرارِ عليهِ ، أو الإقبالِ على خَلْقِهِ وَإِيجادِهِ ، أو الاستيلاءِ عليهِ ، أو معنى آخرَ مِنْ معاني النسبةِ (١) ، فأمكنَ التصديقُ بهِ .

فإن قلت : فأيُّ فائدةٍ في مُخاطبةِ الخَلْقِ بما لا يفهَمونَ ؟ فجوابُكَ : أنَّهُ قصدَ بهاذا الخطابِ تفهيمَ مَنْ هوَ أهلُهُ ؟ وهمُ الأولياءُ والراسخونَ مِنَ العلماءِ ، وقد فهموهُ ، وليسَ

⁽١) انظر تحقيق هاذه النِّسَب في « الاقتصاد في الاعتقاد » للإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ (ص ١٧٤).

مِنْ شرطِ مَنْ يُخاطِبُ العقلاءَ بكلامٍ أن يُخاطِبَهم بما يفهمُهُ الصبيانُ ، والعوامُّ بالإضافةِ إلى العارفينَ كالصبيانِ بالإضافةِ إلى البالغينَ ، وللكنْ على الصبيانِ أن يسألوا البالغينَ عمَّا لم يفهموهُ ، وعلى البالغينَ أن يجيبوا الصبيانَ بأنَّ هلذا ليسَ مِنْ شأنِكُم ، ولستُم مِنْ أهلِهِ ، فخوضوا في حديثٍ غيرِهِ ؛ فقد قيلَ للجُهَّالِ : ﴿ فَسَنَاوُا أَهْلَ الدِّرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعَامُونَ ۞ .

فإذا سألوا أهلَ الذِّكرِ ؛ فإن كانوا يُطِيقونَ فهمَهُ . . فهَّموهُم ، وإلَّا . . قالوا لهُم : ﴿ وَمَا أُرتِيتُم مِنَ ٱلْمِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ ﴾ ، وها لكُم ولهاذا السؤالِ ؟! هاذهِ عَنْ أَشَياءَ إِن تُبَدَ لَكُم تَسُؤَلُم ﴿ ﴾ ، وما لكُم ولهاذا السؤالِ ؟! هاذهِ معانِ الإيمانُ بها واجبٌ ، والكيفيةُ مجهولةٌ ؛ أي : مجهولةٌ لكُم ، والسؤالُ عنها بدعةٌ ؛ كما قالَ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (الاستواءُ معلومٌ ، والكيفيةُ مجهولةٌ ، والإيمانُ بهِ واجبٌ ، والسؤالُ عنهُ بدعةٌ) .

فإذاً ؛ الإيمانُ بالجُمليَّاتِ التي ليسَتْ مُفصَّلةً في الذهنِ ممكِنٌ ، وللكنْ تقديسُهُ _ الذي هو نفيُ المُحالِ عنهُ _ ينبغي أن يكونَ مُفصَّلاً ؛ فإنَّ المنفيَّ هي الجسميَّةُ ولوازمُها .

ونعني بالجسم ها هنا: الشخص المُقدَّرَ ، الطويلَ العريضَ العميقَ ، الذي يمنعُ غيرَهُ مِنْ أَن يُوجِدَ معَهُ بحيثُ هوَ ، الذي يَدفعُ

ما يطلبُ مكانَهُ إن كانَ قوياً ، ويندفعُ ويتنحَّىٰ عن مكانِهِ بقوَّةِ دافعةٍ إن كانَ ضعيفاً ، وإنَّما شرحْنا هاذا اللفظَ معَ ظهورِهِ ؛ لأنَّ العامِّيَّ ربما لا يَفهمُ المرادَ بهِ .

الوظيفة الثّالثة الاعتراف بالعحب ز

ويجبُ على كلِّ مَنْ لا يقفُ على كُنْهِ هاذهِ المعاني وحقيقتِها ، ولم يَعرفُ تأويلَها والمعنى المرادَ بها . . أن يُقِرَّ بالعجزِ ؛ فإنَّ الصدقَ واجبٌ ، وهوَ عن دركِهِ عاجزٌ .

فإنِ ادَّعى المعرفة . . فقد كذب ، وهاذا معنى قولِ مالكِ رضيَ اللهُ عنه : (الكيفيةُ مجهولةٌ) يعني : تفصيلُ المرادِ بهِ غيرُ معلوم .

بلِ الراسخونَ في العلمِ والعارفونَ مِنَ الأولياءِ وإن جاوزوا في المعرفةِ حدودَ العوامِّ، وجالوا في ميدانِ المعرفةِ ، وقطعوا مِنْ بواديها أميالاً كثيرةً . . فما بقيَ لهُم ممَّا لم يبلغوهُ وهوَ بينَ أيديهِم أكثرُ ، بل لا نسبةَ لِمَا طُوِيَ عنهُم إلىٰ ما كُشِفَ لهُم ؛ لكثرةِ المَطويِّ وقلَّةِ المكشوفِ بالإضافةِ إليهِ .

وبالإضافة إلى المَطويِّ المستورِ: قالَ سيِّدُ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهِ عليهِ وسلامُهُ: « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسكَ » (١).

⁽۱) رواه مسلم (٤٨٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (وليس المعنى أني أعجز عن التعبير عما أدركته ، بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كُنهِ جلاله ، ولذلك قال بعضهم : « ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل ») ، وانظر تفصيل ذلك في « الإحياء » (٣٦٩/١) .

وبالإضافة إلى المكشوف : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ : « أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المَا المِلْمُلْمُلْمُ اللهُ اللهِ المُلْمُلْمُلْمُ اللهُ اللهُ المُلْمُلْمُ اللهُ

ولأجلِ كونِ العجزِ والقصورِ ضرورياً في آخرِ الأمرِ بالإضافةِ إلى منتهى الحالِ (٢). قالَ سيِّدُ الصِّدِيقينَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ: (العجزُ عن دركِ الإدراكِ إدراكُ) (٣).

فأوائلُ حقائقِ هنذهِ المعاني بالإضافةِ إلى عوامِّ الخلْقِ كأواخرِها بالإضافةِ إلى خواصِّ الخلقِ ؛ فكيفَ لا يجبُ عليهِمُ الاعترافُ بالعجز ؟!

攀 攀

⁽١) أخرجه البخاري (٢٣ ٥ ٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه بلفظ : « أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم » ، وأخرجه أيضاً (٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها بلفظ : « إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله . . أنا » ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١٩٨/٩) .

⁽٢) في (د ، ه) : (بالإضافة إلى منتهى الجلال) ومعناها ظاهر .

⁽٣) أورده الطوسي في « اللمع » (ص ٥٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٣) .

الوظيفة الرّابعة السّكوت عن السّــوُال

وذلك واجبٌ على العوامِّ ؛ لأنَّهُ بالسؤالِ مُتعرِّضٌ لِمَا لا يُطيقُهُ ، وخائضٌ فيما ليسَ هوَ أهلاً لهُ .

فإن سألَ جاهلاً . . زادَهُ جوابُهُ جهلاً ، وربَّما وَرَّطَهُ في الكفرِ مِنْ حيثُ لا يَشعُرُ .

وإن سألَ عارفاً.. عَجَزَ العارفُ عن تفهيمِهِ لقصورِ فهمِهِ عَجْزَ البالغِ عن تفهيمِ ولدِهِ الصبيِّ مصالحَ بيتِهِ وتدبيرِهِ ، بل عجْزَ الصائغِ عن تفهيمِهِ مصلحتَهُ في خروجِهِ إلى المكتبِ ، بل عجْزَ الصائغِ عن تفهيمِ النجَّارِ دقائقَ صياغتِهِ ؛ فإنَّ النجَّارَ وإن كانَ بصيراً بصناعتِهِ .. فهوَ عاجزٌ عن دقائقِ الصياغةِ ؛ لأنَّهُ إنَّما فَهِمَ دقائقَ النَّجُرِ لاستغراقِهِ العمرَ في تعلُّمِهِ وممارستِهِ ، وكذلكَ يفهمُ الصياغةَ أيضاً بصرْفِ العمرِ إلى تعلُّمِها وممارستِها ، وقبلَ ذلكَ اللهِ مفهمُها .

فالمشغولونَ بالدنيا ، أو بالعلومِ التي ليسَتُ مِنْ قبيلِ معرفةِ اللهِ تعالى . . عاجزونَ عن معرفةِ الأمورِ الإللهيةِ عجزَ كافَّةِ المُعرِضينَ عن الصناعاتِ عن فهمِها ، بل عجْزَ الصبيّ الرضيعِ عنِ الاغتذاءِ بالخبزِ واللحم ؛ لقصورِ في فطرتِهِ ، لا لعدم الخبزِ واللحم ، ولا

لأنَّهُ قاصرٌ عن تغذيةِ الأقوياءِ (١١) ، للكنْ طبعُ الضعفاءِ قاصرٌ عنِ التغذِّي بهِ .

فَمَنْ أَطْعَمَ الصَبِيَّ الضَعِيفَ الحَبِزَ واللَّحِمَ ، أَو مَكَّنَهُ مِنْ تَناولِهِ . . فقد أهلكَهُ ، فكذلكَ العامِّيُّ إذا طلبَ بالسؤالِ هذه المعانيَ . . وجبَ زجرُهُ ومنعُهُ وضربُهُ بالدِّرَّةِ ؛ كما كانَ يفعلُهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ بكلِّ مَنْ سألَ عنِ الآياتِ المتشابهةِ (١) ، وكما فعلَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الإنكارِ على قوم رآهُم خاضوا في فعلَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الإنكارِ على قوم رآهُم خاضوا في مسألةِ القَدَرِ وسألوا عنهُ ، فقالَ : « أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ ؟! » (٣) ، وقالَ عليهِ السلامُ : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ ٱلسُّؤَالِ » أو لفظٌ هاذا معناهُ كما اشتهرَ في الخبر (١٠) .

ولهاندا أقولُ: يَحرُمُ على الوُعّاظِ علىٰ رؤوس المنابر الجوابُ

⁽١) في (ب) : (ولا ؛ لأنه قاصرٌ عن الاغتذاء به) .

⁽٢) فقد روى الدارمي في « سننه » (١٤٦) عن سليمان بن يسار : أنَّ رجلاً يقال له : صَبِيغٌ قدم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين ، النخل ، فقال : (من أنت ؟) قال : أنا عبد الله صبيغ ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين ، فضربه ، وقال : (أنا عبد الله عمر) ، فجعل له ضرباً حتى دَمِي رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خسبُك ؛ قد ذهب الذي كنتُ أجدُ في رأسي ، وعنده في « سننه » أيضاً (١٥٠) : فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلي . . فقد _ والله _ برأتُ ، فأذنَ كنت تريد قتلي . . فقد _ والله _ برأتُ ، فأذنَ له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (ألا يجالسه أحد من المسلمين) ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب عمر : أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر : (أن للناس بمجالسته) .

⁽٣) رواه الترمذي (٢١٣٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجه (٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

⁽٤) رواه مسلم (١٣٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

عن هذه الأسولة (١) بالخوض في التأويل والتفصيل ، بل الواجبُ عليهِ مُ الاقتصارُ على ما ذكرناهُ وذكرَهُ السلفُ ؛ وهوَ المبالغةُ في التقديسِ والتنزيهِ ونفي التشبيهِ ، وأنَّهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ عنِ الجسميَّةِ وعوارضِها .

وللهُ المبالغةُ في هاذا بما أرادَ ؛ حتى يقولَ : كلُّ ما خطرَ ببالِكُم ، وهجسَ في ضميرِكُم ، وتَصوَّرَ في خاطرِكُم .. فاللهُ خالقُها ؛ وهوَ مُنزَّهُ عنها وعن مشابهتِها ، وأنَّهُ ليسَ المرادُ بالأخبارِ شيئاً مِنْ ذٰلكَ ، وما هوَ حقيقةُ المرادِ .. فلستُم مِنْ أهلِ معرفتِها والسؤالِ عنها ، فاشتخِلوا بالتقوى ؛ فما أمرَكُمُ اللهُ بهِ .. فافعلوهُ ، وما نهاكُم عنهُ .. فاجتنبوهُ ، وهاذا قد نُهِيتُم عنهُ فلا تسألوهُ ، ومهما سمعتُم شيئاً مِنْ ذٰلكَ .. فاسكتوا وقولوا : آمنًا وصدَّقنا ، وما أُوتينا مِنَ العلم إلَّا قليلاً ، وليسَ هاذا مِنْ جملةِ ما أُوتينا .

⁽١) حُكيَ عن ابن جني : سوال وأسوِلَة ؛ بالتسهيل ، وفي (د ، هـ) : (المسائل) .

الوظيفة الخامسة الإمساك عن التّصرّف في الألفاظ الواردة

ويجبُ على عمومِ الخَلْقِ الجمودُ على ألفاظِ هاذهِ الأخبارِ ، والإمساكُ عنِ التصرُّفِ فيها مِنْ ستةِ أوجهِ: التفسيرُ ، والتأويلُ ، والتصريفُ ، والتفريعُ ، والجمعُ ، والتفريقُ .

الأوّل: إلتّفسير

وأعني بهِ: تبديلَ اللفظِ بلغةٍ أُخرىٰ تقومُ مَقامَها في العربيةِ أو معناها بالفارسيةِ والتركيةِ (١) ، بل لا يجوزُ النطقُ إلَّا باللفظِ الواردِ ؛ لأنَّ مِنَ الألفاظِ العربيةِ : ما لا يُوجدُ لها فارسيةٌ تطابقُها .

ومنها : ما يُوجدُ لها فارسيةٌ تطابقُها للكنْ ما جرتْ عادةُ الفرسِ باستعارتِها للمعاني التي جرتْ عادةُ العربِ باستعارتِها فيها .

ومنها: ما يكونُ مُشترَكاً في العربيةِ ولا يكونُ في العجميةِ كذلكَ .

أمَّا الأوَّلُ . . فمثالُهُ : لفظُ (الاستواءِ) فإنَّهُ ليسَ لهُ في الفارسيةِ لفظٌ مطابقٌ يُؤدِّي بينَ الفُرْسِ المعنى الذي يُؤدِّيهِ لفظُ (الاستواءِ) بينَ العربِ بحيثُ لا يَشتمِلُ على مزيدِ إيهامٍ ؛ إذ فارسيَّتُهُ أن يُقالَ : (راست بإستاد) .

⁽١) في (د) : (أو بمعناها) بدل (أو معناها) .

وهاذانِ لفظانِ : الأوَّلُ : يُنبِئُ عنِ انتصابِ واستقامةٍ فيما يُتصوَّرُ أن ينحنيَ ويَعوَجَّ ، والثاني : يُنبِئُ عن سكونٍ وثباتٍ فيما يُتصوَّرُ أن ينحرَّكَ ويضطربَ ، وإشعارُهُ بهاذهِ المعاني وإشارتُهُ إليها في العجميةِ أظهرُ مِنْ إشعارِ لفظِ (الاستواءِ) وإشارتِهِ إليها ، فإذا تفاوتا في الدلالةِ والإشعارِ . لم يكن هاذا مثلَ الأوَّلِ .

وإنَّما يجوزُ تبديلُ اللفظِ بمثلِهِ المرادفِ لهُ ، الذي لا يخالفُهُ بوجهِ مِنَ الوجوهِ ، لا بما يباينُهُ ويخالفُهُ ولو بأدنى شيءٍ وأدقِّهِ وأخفاهُ .

ومثالُ الثاني: أنَّ (الإصبَعَ) تُستعارُ في لسانِ العربِ للنعمةِ ؛ يُقالُ: لفلانِ عندَ فلانٍ إصبَعٌ ؛ أيْ: نعمةٌ ، ومعناها بالفارسيةِ: (أَنْكُشْتَ) ، وما جرتْ عادةُ العجمِ بهاذهِ الاستعارةِ ، وتوشّعُ العربِ في التجوُّزِ والاستعارةِ أكثرُ مِنْ توسُّعِ العجمِ ، بل لا نسبةَ لتوسُّع العربِ إلى جمودِ العجمِ .

فإذا حَسُنَ إرادةُ المعنى المستعارِ لهُ في العربِ وسَمُجَ ذلكَ في العجمِ . . نفرَ القلبُ عمَّا سَمُجَ ، ومَجَّهُ السمعُ ولم يَمِلْ إليهِ ، فإذا تفاوتا . . لم يكُنِ التفسيرُ تبديلاً بالمثلِ ، بل بالخلافِ ، ولا يجوزُ التبديلُ إلَّا بالمثل .

ومثالُ الثالثِ: لفظُ (العينِ) فإنَّ مَنْ فَسَرَهُ إنَّما يُفسِّرُهُ بأظهرِ معانيهِ ، فيقولُ بالفارسيةِ: (جِشِمْ) ، وهوَ مُشترَكٌ في لغةِ العربِ بينَ العضوِ الباصرِ وعينِ الماءِ والذهبِ والشمسِ ، وليسَ للفظِ (جِشِمْ) هاذا الاشتراكُ .

وكذُلكَ لفظُ (الجَنْبِ) و(الوجهِ) يقربُ منهُ ؛ ولأجلِ هذا نرى المنعَ مِنَ التبديلِ ، والاقتصارَ على العربيةِ .

فإن قيلَ : هاذا التفاوتُ إِنِ ادعيتموهُ في جميعِ الألفاظِ . . فهوَ غيرُ صحيحٍ ؛ إذ لا فرقَ بينَ قولِكَ : (خبزٌ) و(نَانْ) ، وبينَ قولِكَ : (لحبزٌ) و(نَانْ) ، وبينَ قولِكَ : (لحمٌ) و(گُوشْت) ، وإِنِ اعترفتَ بأنَّ ذلكَ في البعضِ . . فامنعْ مِنَ التبديل عندَ التفاوتِ ، لا عندَ التماثل .

فالجوابُ: أنَّ الحقَّ أنَّ هاذا التفاوت في البعضِ لا في الكلِّ ؛ فلعلَّ لفظ (البدِ) ولفظ (دَسْت) يتساويانِ في اللغتينِ في الاشتراكِ والاستعارةِ وسائرِ الأمورِ ، للكنْ إذا انقسمَ إلىٰ ما يجوزُ وإلىٰ ما لا يجوزُ ، وليسَ إدراكُ التمييزِ بينَهُما والوقوفُ علىٰ دقائقِ التفاوتِ جليّاً سهلاً يسيراً علىٰ كافَّةِ الخلقِ ، بل يكثرُ فيهِ الإشكالُ ، ولا يتميّزُ محلُّ التفاوتِ عن محلِّ التعادلِ . . فنحنُ بينَ أن نحسمَ يتميّزُ محلُّ التفاوتِ عن محلِّ التعادلِ . . فنحنُ بينَ أن نحسمَ البابَ احتياطاً _ إذ لا حاجةَ ولا ضرورةَ إلى التبديلِ _ وبينَ أن نفتحَ البابَ ونقحمَ عمومَ الخلقِ ورطةَ الخطرِ .

فليتَ شعري ! أيُّ الأمرينِ أحزمُ وأحوطُ والمُتصرَّفُ فيهِ ذاتُ الإلهِ وصفاتُهُ ؟!

وما عندي أنَّ عاقلاً مُتديِّناً لا يُقِرُّ بأنَّ هـٰذا الأمرَ مُخْطِرٌ ، وأنَّ الخطرَ في الصفاتِ الإلـٰهيَّةِ يجبُ اجتنابُهُ .

كيفَ وقد أوجبَ الشرعُ على الموطوءةِ العِدَّةَ لبراءةِ الرحمِ ، والحذرِ مِنْ خلطِ الأنسابِ ؛ احتياطاً لحُكْمِ الولايةِ والوراثةِ وما يَترتَّبُ على النسبِ ؛ فقالوا معَ ذلكَ : تجبُ العِدَّةُ على العقيمِ والآيسةِ والصغيرةِ وعندَ العزلِ ؛ لأنَّ باطنَ الأرحامِ إنَّما يَطَّلعُ عليها علَّامُ الغيوبِ ؛ فإنَّهُ يعلمُ ما في الأرحامِ ، فلو فتحنا بابَ النظرِ إلى التفصيلِ . . كنَّا راكبينَ متنَ الخطرِ ؛ فإيجابُ العِدَّةِ حيثُ لا علوقَ أهونُ منْ ركوبِ هلذا الخطرِ .

فكما أنَّ إيجابَ العِدَّةِ حكمٌ شرعيٌ . . فتحريمُ تبديلِ العربيةِ حكمٌ شرعيٌ ، ثبت بالاجتهادِ وترجيحِ طريقِ الأولى (١) ، ونعلَمُ أنَّ هاذا الاحتياطَ في الخبرِ عنِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ وعمَّا أرادَهُ بألفاظِ القرآنِ . . أهمُّ وأولىٰ مِنَ الاحتياطِ في العِدَّةِ ومِنْ كلِّ ما احتاطَ الفقهاءُ فيهِ مِنْ هاذا القبيل .

أمّا التّصرّف لثّاني : التّأويل

وهوَ بيانُ معناهُ بعدَ إزالةِ ظاهرِهِ ؛ وهنذا إمَّا أن يقعَ مِنَ

⁽١) في (ب) : (وترجيح طريق على طريق من حيث الأولى) .

العامِّيِّ بنفسِهِ ، أو مِنَ العارفِ معَ العامِّيِّ ، أو مِنَ العارفِ معَ نفسِهِ بينَهُ وبينَ ربِّهِ ؛ فهاذهِ ثلاثةُ مواضعَ .

الأوّلُ: تأويلُ العامِّيِ على سبيلِ الاستقلالِ بنفسِهِ ، وهوَ حرامٌ ، يُشبِهُ خوضَ البحرِ المُغْرِقِ ممَّنْ لا يُحسِنُ السباحةَ ، ولا شكَّ في تحريمِهِ ، وبحرُ معرفةِ اللهِ تعالىٰ أبعدُ غوراً وأكثرُ معاطِبَ ومهالِكَ مِنْ بحرِ الماءِ ؛ لأنَّ هلاكَ هاذا البحرِ لا حياةَ بعدَهُ ، وهلاكُ بحرِ الدنيا لا يُزيلُ إلَّا الحياةَ الزائلةَ ، وذلكَ يُزيلُ الحياةَ الأبديَّةَ ، فشتَّانَ بينَ الخَطَرينِ !!

الموضعُ الثاني: أن يكونَ ذلكَ مِنَ العالِمِ معَ العامِّيِ (۱) ، وهوَ أيضاً ممنوعٌ ، ومثالُهُ : أن يَجُرَّ السبّاحُ الغوَّاصُ في البحرِ معَ نفسِهِ . . عاجزاً عنِ السباحةِ ، مضطرِبَ القلبِ والبدنِ ، وذلكَ حرامٌ ؛ لأنَّهُ عَرَّضَهُ لخطرِ الهلاكِ ؛ فإنَّهُ لا يقوىٰ علىٰ حفظِهِ في لُجَّةِ البحرِ وإن قَدَرَ علىٰ حفظِهِ في القربِ مِنَ الساحلِ ، ولو أمرَهُ بالوقوفِ بقربِ قَدَرَ علىٰ حفظِهِ في القربِ مِنَ الساحلِ ، ولو أمرَهُ بالوقوفِ بقربِ الساحلِ . ربَّما لا يطيعُهُ ، وإن أمرَهُ بالسكونِ عندَ التطامِ الأمواجِ وإقبالِ التماسيحِ وقد فغرَتْ فاها للالتقامِ . . اضطربَ قلبُهُ وبدنُهُ ، ولم يسكُنْ علىٰ حَسبِ مرادِهِ ؛ لقصورِ طاقتِهِ ، وهاذا هوَ المثالُ ولم يسكُنْ علىٰ حَسبِ مرادِهِ ؛ لقصورِ طاقتِهِ ، وهاذا هوَ المثالُ الحقُ للعالِم إذا فتحَ للعامِّيِ بابَ التأويلاتِ والتصرُّفِ علىٰ خلافِ الظواهرِ (۱) .

⁽١) وذٰلك بفتح باب المباحثة معه .

⁽٢) فلا ينبغي أن يخاض مع العوامِّ في حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم ◄

وفي معنى العوامِّ: الأديبُ ، والنَّحْويُّ ، والمُحدِّثُ ، والمُفسِّرُ ، والمُفسِّرُ ، والفقية ، والمُتكلِّمُ ، بل كلُّ عالِمٍ ، سوى المُتجرِّدينَ لتعلُّمِ السباحةِ في بحارِ المعرفةِ ، القاصرينَ أعمارَهُم عليهِ ، الصارفينَ وجوهَهُم عنِ الدنيا والشهواتِ ، المُعرِضينَ عنِ المالِ والجاهِ والخلقِ وسائرِ اللذَّاتِ ، المُخلِصينَ للهِ تعالىٰ في العلومِ والأعمالِ ، القائمينَ بجميعِ حدودِ الشريعةِ وآدابِها في القيامِ بالطاعاتِ وتركِ المنكراتِ ، المُفرِّغينَ قلوبَهُم بالجملةِ عن غيرِ اللهِ للهِ ، المُستحقِرينَ للدنيا ، بل للآخرةِ والفردوسِ الأعلىٰ في جنبِ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ ، فهاؤلاءِ هم أهلُ الغَوْصِ في بحرِ المعرفةِ .

وهم معَ ذٰلكَ كلِّهِ على خَطَرٍ عظيمٍ ؛ يَهْلِكُ مِنَ العشرةِ تسعةٌ إلى أن يسعدَ واحدٌ منهُم بالدُّرِ المكنونِ والسِّرِ المخزونِ ، أولئكَ الذينَ سبقَتْ لهُم مِنَ اللهِ الحسنىٰ فهُمُ الفائزونَ ، وربُّكَ أعلمُ بما تُكِنُ صدورُهُم وما يعلنونَ .

الموضعُ الثالثُ: تأويلُ العارفِ معَ نفسِهِ في سرِّ قلبِهِ بينَهُ وبينَ ربِّهِ، وهوَ على ثلاثةِ أوجهٍ ؛ فإنَّ الذي انقدحَ في سرِّهِ أنَّهُ المرادُ مِنْ لفظِ (الاستواءِ) و(الفَوقِ) مثلاً: إمَّا أن يكونَ

[◄] العبادات ، وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ، ويمالاً قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ، ولا يحرِّك عليهم شبهة . . . ، وبالجملة : لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث في المشتبهات ؛ فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ، ودوام عيش الخواص . « الإحياء » (٢١٥/١) .

مقطوعاً بهِ ، أو مشكوكاً فيهِ ، أو مظنوناً ظنّاً غالباً .

فإن كانَ قطعياً . . فليعتقده ، وإن كانَ مشكوكاً . . فليجتنبه ، ولا يَحكُمَن على مرادِ اللهِ تعالى ومرادِ رسولِهِ مِنْ كلامِهِ باحتمالٍ يعارضُه مثله مِنْ غيرِ ترجيحٍ ، بلِ الواجبُ على الشاكِ التوقَّفُ .

وإن كانَ مظنوناً . . فاعلمْ أنَّ للظنِّ مُتعلَّقينِ :

أحدُهُما: أنَّ المعنى الذي انقدحَ عندَهُ هل هوَ جائزٌ في حقِّ اللهِ تعالىٰ أم هوَ محالٌ ؟

والثاني : أن يعلمَ قطعاً جوازَهُ ، للكنْ تردَّدَ في أنَّهُ هل هوَ مرادٌ باللفظِ أم لا ؟

مثالُهُ: تأويلُ لفظِ (الفَوقِ) بالعلقِ المعنويِّ الذي هوَ المرادُ بقولِنا: (السلطانُ فوقَ الوزيرِ) فإنَّا لا نشكُّ في ثبوتِ معناهُ للهِ تعالىٰ، للكنَّا ربَّما نتردَّدُ في أنَّ لفظَ (الفَوقِ) في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ يَكَافُونَ رَبَّهُ مِن فَرَقِهِ مِن فَرَقِهِ ﴿ هُ هُ أُريدَ بهِ العلوُّ المعنويُّ ، أم أُريدَ بهِ معنى آخرُ يليتُ بجلالِ اللهِ تعالىٰ دونَ العلوِّ بالمكانِ الذي هوَ محالٌ علىٰ ما ليسَ بجسم ولا هوَ صفةً في جسم ؟

ومثالُ الثاني (١): تأويلُ لفظِ (الاستواءِ على العرشِ) بأنَّهُ أرادَ بهِ النسبةَ الخاصَّةَ التي للعرشِ (٢)، ونسبتُهُ: أنَّ اللهَ تعالىٰ

⁽١) الذي هو الأوَّل في العدِّ ؛ وهو ما تردَّد فيه أهو جائز أو محالٌ ، فليتنبه .

⁽٢) في (أ ، ب ، و) : (الحاصلة إلى العرش) .

يتصرّفُ في جميعِ العالَمِ ويُدبِّرُ الأمرَ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ بواسطةِ العرشِ ؛ فإنَّهُ لا يُحدِثُ في العالَمِ صورةً ما لم يُحدِثُهُ في العرشِ ؛ كما لا يُحدِثُ النقَّاشُ والكاتبُ صورةً وكلمةً على البياضِ ما لم يُحدِثُه في الدماغِ ، بل لا يُحدِثُ البَنَّاءُ صورةَ البِناءِ ما لم يُحدِثُ مورتَهُ في الدماغِ ، فبواسطةِ الدماغِ يُدبِّرُ القلبُ أمرَ ما لم يُحدِثُ صورتَهُ في الدماغِ ، فبواسطةِ الدماغِ يُدبِّرُ القلبُ أمرَ عالَمِهِ الذي هو بدنُهُ .

فربّما يتردّدُ في أنّ إثباتَ هاذهِ النسبةِ للعرشِ إلى اللهِ تعالىٰ هل هوَ جائزٌ: إمّا لوجوبِهِ في نفسِهِ ، وإمّا على سبيلِ أن يُقالَ: أجرىٰ بهِ سنتَهُ وعادتَهُ وإن لم يكُنْ خلافُهُ مُحالاً ؛ كما أجرىٰ عادتَهُ في حقّ قلبِ الإنسانِ ؛ بألّا يُمكّنهُ مِنَ التدبيرِ إلّا بواسطةِ الدماغِ ، وإن كانَ في قدرةِ اللهِ تعالىٰ تمكينهُ منهُ دونَ الدماغِ لو سبقَتْ بهِ وإن كانَ في قدرةِ اللهِ تعالىٰ تمكينهُ منهُ دونَ الدماغِ لو سبقَتْ بهِ إرادتُهُ الأزليَّةُ وحَقَّتْ بهِ كلمتُهُ القديمةُ التي هيَ علمهُ ، فصارَ خلافُهُ ممتنعاً ، لا لقصورِ في ذاتِ القدرةِ ؛ للكنْ لاستحالةِ ما يخالفُ الإرادةَ القديمةَ والعلمَ السابقَ الأزليَّ ؛ ولذلكَ قالَ تعالىٰ : يخالفُ الإرادةَ القديمةَ والعلمَ السابقَ الأزليَّ ؛ ولذلكَ قالَ تعالىٰ :

وإنَّما لا تبديلَ لوجوبِها ، وإنَّما وجوبُها لصدورِها عن إرادةٍ أزليَّةٍ واجبةٍ ، ونتيجةُ الواجبِ واجبٌ ، ونقيضُهُ محالٌ وإن لم يكنْ مُحالاً في ذاتِهِ ، وللكنَّةُ محالٌ لغيرِهِ ؛ وهوَ إفضاؤُهُ إلىٰ أن ينقلبَ العلمُ الأزليُّ جهلاً ، ويمتنعَ نفوذُ المشيئةِ الأزليَّةِ .

فإذاً ؛ إثباتُ هاذهِ النسبةِ للهِ تعالىٰ معَ العرشِ في تدبيرِ المملكةِ بواسطتِهِ إن كانَ جائزاً عقلاً . . فهل هوَ واقعٌ وجوداً ؟

هلذا ممّا قد يتردَّدُ فيهِ الناظرُ ، وربما يظنُّ وجودَهُ ، هلذا مثالُ الظنِّ في نفسِ المعنى ، والأوَّلُ مثالُ الظنِّ في كونِ المعنى مراداً باللفظِ مع كونِ المعنى في نفسِهِ صحيحاً جائزاً ، وبينَهُما فرقانِ (۱) ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ الظنَّينِ إذا انقدحَ في النفسِ وحاكَ في الصدرِ . . فلا يدخلُ تحتَ الاختيارِ دفعُهُ عنِ النفسِ ، ولا يمكنُهُ ألا يظنَّ ؛ فإنَّ للظنِّ أسباباً ضرورية لا يمكنُ دفعُها ، ولا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وسعَها ؛ للكنْ عليهِ وظيفتانِ جديدتانِ :

إحداهُما: ألَّا يدعَ نفسَهُ تطمئنُ إليهِ جزماً مِنْ غيرِ شعورِ بإمكانِ الغلطِ فيهِ ، فلا ينبغي أن يحكُمَ معَ نفسِهِ بمُوجَبِ ظنِّهِ حُكْماً جازماً .

والثانية : أنّه إن ذكرَه . . لم يطلق القول بأنّ المراد ب (الاستواء) كذا ، أو المراد ب (الفوق) كذا ؛ لأنّه حُكْمٌ بما لا يعلم ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿ ﴾ ، للكنْ يقولُ : أنا أظنُ أنّه كذا ، فيكونُ صادقاً في خبره عن نفسِه وعن ضميره ، ولا يكونُ حُكْماً على صفة الله تعالى ، ولا على مراده بكلامِه ، بل حُكْما على نفسِه ، ونباً عن ضميره .

⁽١) في (ب ، ه) : (وبينهما تفاوت) .

فإن قيلَ: وهل يجوزُ ذكرُ هاذا الظنِّ معَ كافَّةِ الخَلقِ والتحدُّثُ بهِ كما اشتملَ عليهِ ضميرُهُ ؟ وكذلكَ لو كانَ قاطعاً.. فهل لهُ أن يتحدَّثَ بهِ ؟

قلنا: تحدُّثُهُ بهِ إِنَّما يكونُ على أربعةِ أوجهٍ: فإنَّهُ إمَّا أن يكونَ معَ نفسِهِ ، أو معَ مَنْ هوَ مُستعِدٌ للستبصارِ ، أو معَ مَنْ هوَ مُستعِدٌ للاستبصارِ بذكائِهِ وفطنتِهِ وتجرُّدِهِ لطلبِ معرفةِ اللهِ تعالىٰ ، أو معَ العامِّيّ.

فإن كانَ قاطعاً . . فلهُ أن يُحدِّثَ نفسَهُ بهِ ، ويُحدِّثَ مَنْ هوَ مثلُهُ في الاستبصارِ ، أو مَنْ هوَ مُتجرِّدٌ لطلبِ المعرفةِ مُستعِدٌّ لها ، خالٍ عن الميلِ إلى الدنيا والشهواتِ والتعصُّباتِ للمذاهبِ وطلبِ المباهاةِ بالمعارفِ والتظاهرِ بذكرِها معَ العوامّ .

فمَنِ اتَّصفَ بهاذهِ الصفاتِ . . فلا بأسَ بالتحدُّثِ معَهُ ؛ لأنَّ الفَطِنَ المُتعظِّشَ إلى المعرفةِ لللمعرفةِ لا لغرضٍ آخرَ ـ يحيكُ في صدرِهِ إشكالُ الظواهرِ ، وربَّما يلقيهِ في تأويلاتٍ فاسدةٍ ؛ لشدَّةِ شرهِهِ على الفرارِ عن مقتضى الظواهرِ ، ومنعُ العلمِ أهلَهُ ظلمٌ ؛ كبيَّهِ إلىٰ غيرِ أهلِهِ .

وأمَّا العامِّيُّ . . فلا ينبغي أن يُحدَّثَ بهِ ، وفي معنى العامِّيِّ كلُّ مَنْ لا يتصفُ بالصفاتِ المذكورةِ ، بل مثالُهُ ما ذكرناهُ مِنْ إطعامِ الرضيع الأطعمةَ القويَّةَ التي لا يطيقُها .

وأمًّا المظنونُ . . فيتحدَّثُ بهِ معَ نفسِهِ اضطراراً ؛ فإنَّ ما ينطوي

عليهِ الذِّهنُ ؛ مِنْ ظنِّ وشكِّ وقطعٍ لا تزالُ النفسُ تتحدَّثُ بهِ ، ولا قدرةَ على الخلاصِ منهُ ولا منعَ منهُ ، ولا شكَّ في منعِ التحدُّثِ بهِ معَ العوامِّ ، بل هوَ أُولَىٰ بالمنعِ مِنَ المقطوعِ .

أمَّا تحدُّثُهُ بهِ معَ مَنْ هوَ في مثلِ درجتِهِ في المعرفةِ ، أو معَ المُستعِدِّ لهُ . . فيهِ نظرٌ :

فيُحتمَلُ أَن يُقالَ : هوَ جائزٌ ؛ إذ لا يزيدُ علىٰ أَن يقولَ : (أَظَنُّ كَذَا) وهوَ صادقٌ .

ويُحتمَلُ المنعُ ؛ لأنّهُ قادرٌ على تركِهِ ، وهوَ بذكرِهِ مُتصرِّفٌ بالظنِّ في صفةِ اللهِ تعالىٰ أو في مرادِهِ مِنْ كلامِهِ ، وفيهِ خطرٌ (١) ، وإباحتُهُ تُعرَفُ بنصٍ أو إجماع أو قياسٍ على منصوصٍ ، ولم يَرِدْ شيءٌ مِنْ ذلكَ ، بل وردَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿ وَلَا تَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ .

فإن قيلَ : يدلُّ على الجوازِ ثلاثةُ أمورٍ :

الأَوَّلُ: الدليلُ الذي دلَّ على إباحةِ الصدقِ ، وهوَ صادقٌ ؛ فإنَّهُ ليسَ يخبرُ إلَّا عن ظنِّهِ وهوَ ظانٌّ .

والثاني: أقاويلُ المُفسِّرينَ في القرآنِ بالحَدْسِ والظنِّ ؛ إذ كلُّ ما قالوا غيرُ مسموع مِنَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، بل هوَ

⁽١) في (ب ، هـ) : (نظرٌ) .

مُستنبَطٌ بالاجتهادِ ؛ ولذلك كثرَتِ الأقاويلُ وتعارضَتْ .

والثالث: إجماعُ التابعينَ على نقلِ الأخبارِ المتشابهةِ التي نقلَ الأخبارِ المتشابهةِ التي نقلَها آحادُ الصحابةِ ولم تتواترْ (١)، وما اشتملَ على الصحاحِ الذي نقلَهُ العدلُ عنِ العدلِ ، فإنَّهُم جوَّزوا روايتَهُ ، ولا يحصلُ بقولِ العدلِ الواحدِ إلَّا الظنُّ .

والجوابُ عنِ الأوَّلِ: أنَّ المباحَ صدقٌ لا يُخشىٰ فيهِ ضررٌ ، وبثُ هاذهِ الظنونِ لا يخلو عن ضررٍ ؛ فقد يسمعُهُ مَنْ يسكنُ إليهِ ويعتقدُهُ جزماً ، فيحكمُ في صفاتِ اللهِ تعالىٰ بغيرِ علمٍ ، وهوَ خطرٌ .

والنفوسُ نافرةٌ عن إشكالِ الظواهرِ ، فإذا وجدَ مُستروَحاً مِنَ المعنىٰ ولو مظنوناً . . سكنَ إليهِ واعتقدَهُ جزماً ، وربَّما يكونُ غلطاً ، فيكونُ قدِ اعتقدَ في صفاتِ اللهِ ما هوَ باطلٌ ، أو حكمَ عليهِ في كلامِهِ بما لم يُرَدْ بهِ .

وأمَّا الثاني ؛ وهوَ أقاويلُ المُفسِّرينَ بالظنِّ : فلا نُسلِّمُ ذٰلكَ فيما هوَ مِنْ صفاتِ اللهِ تعالىٰ ؛ كالاستواءِ والفَوقِ وغيرِهِ ، بل لعلَّ ذٰلكَ في الأحكام الفقهيَّةِ ، أو في حكاياتِ أحوالِ الأنبياءِ أو

⁽۱) لا يرتضي الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ تسمية هذه الأخبار بالمتشابه ، وإنما سمّاها هنا بذلك علىٰ لسان المعترض ، قال في « الاقتصاد » (ص ١٢٣) عند حديثه عن هذه الأخبار : (فكيف يقال : إنه متشابه ؟! بل هو مُخيّلٌ معنى خطأً عند الجاهل ، ومُفهِمٌ معنى صحيحاً عند العالم) ، وقال في « المستصفىٰ » (١٠٧/١) ردّاً علىٰ من سمّاها بالمتشابه : (هيهات ! فإن هذه كنايات واستعارات يفهمها المؤمنون . . .) .

الكفَّار ، أو المواعظِ والأمثالِ وما لا يَعظُمُ خطرُ الخطأ فيهِ .

وأمَّا الثالثُ: فقد قالَ قائلونَ: لا يجوزُ أن يعتمدَ في هلذا البابِ إلَّا ما وردَ في القرآنِ ، أو تواترَ عنِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تواتراً يفيدُ العلمَ ، فأمَّا أخبارُ الآحادِ . . فلا يَقبلُ فيهِ ، ولا يستغلُ بتأويلِهِ عندَ مَنْ يميلُ إلى التأويلِ ، ولا بروايتِهِ عندَ مَنْ يقتصرُ على الروايةِ ؛ لأنَّ ذلكَ حكمٌ بالمظنونِ واعتمادٌ عليهِ .

وما ذكروهُ ليسَ ببعيدٍ ، للكنَّهُ مخالفٌ لظاهرِ ما درجَ عليهِ السلفُ ؛ فإنَّهُم قبلوا هاذهِ الأخبارَ مِنَ العدولِ وروَوْها وصحَّحُوها .

فالجوابُ مِنْ وجهينِ :

أحدُهُما: أنَّ التابعينَ كانوا قد عرفوا مِنْ أدلَّةِ الشرعِ أنَّهُ لا يجوزُ اتهامُ العدلِ بالكذبِ ، لا سيَّما في صفاتِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإذا روى الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ خبراً وقالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ كذا . . فردُّ روايتِهِ تكذيبٌ لهُ ، ونسبةٌ لهُ إلى الوضعِ أو إلى السهوِ ، فقبلوهُ وقالوا : قالَ أبو بكر : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ أنسٌ : قالَ رسولُ اللهِ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ أنسٌ : قالَ رسولُ اللهِ عليهِ وسلَّمَ ، وكذا مِنْ تابعي التابعينَ .

فالآنَ إذا ثبتَ عندَهُمْ بأدلَّةِ الشرعِ أنَّهُ لا سبيلَ إلى اتهامِ العدلِ التقيّ مِنَ الصحابةِ (١١) . . فمِنْ أينَ يجبُ ألَّا يُتهَمَ ظنونُ الآحادِ ،

⁽١) قوله: (العدل التقي من الصحابة) صفة لازمةٌ كما يفهم من عامة كتبه، ويُوهم أن يكون مذهبه كمذهب المازري القائل بالتحرّي عن عدالة من لم تطُلْ صحبته وتشتهر.

وأن يُنزَّلَ الظنُّ منزلةَ نقلِ العدلِ معَ أنَّ بعضَ الظنِّ إثمُّ ؟!

فإذا قالَ الشارعُ: ما أخبرَكُم بهِ العدلُ فصدِّقُوهُ واقبلوهُ ، وانقلوهُ وأظهروهُ . . فلا يلزمُ مِنْ هلذا أن يُقالَ: ما حدَّثَتْكُم بهِ نفوسُكُم مِنْ ظنونِكُم . . فاقبلوهُ وأظهروهُ ، وارووا عن ظنونِكُم وضمائرِكُم ونفوسِكُم ما قالَتْهُ ؛ فليسَ هلذا في معنى المنصوصِ .

ولهاذا نقولُ: ما رواهُ غيرُ العدلِ مِنْ هاذا الجنسِ . . ينبغي أن يُعرَضَ عنهُ ولا يُروى ، ويُحتاطَ فيهِ أكثرَ ممَّا يُحتاطُ في المواعظِ والأمثالِ وما يجرى مَجراها .

الجوابُ الثاني: أنَّ تلكَ الأخبارَ رواها الصحابةُ لأنَّهُم سمعوها يقيناً ، فما نقلوا إلَّا ما تيقَّنُوهُ ، والتابعونَ قبلوهُ وروَوْهُ ، وما قالوا: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كذا ، بل قالوا: قالَ فلانٌ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كذا ، فكانوا صادقينَ ، وما أهملوا روايتَهُ ؛ لاشتمالِ كلِّ حديثٍ على فوائدَ سوى اللفظِ المُوهِمِ ، ولإفادةِ اللفظِ المُوهِمِ عندَ العارفِ معنىً حقيقياً يفهمُهُ منهُ ، وليسَ ولإفادةِ اللفظِ المُوهِمِ عندَ العارفِ معنى حقيقياً يفهمُهُ منهُ ، وليسَ ذلكَ ظنيّاً في حقّهِ .

مثالُهُ: روايةُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قولَهُ: « يَنْزِلُ ٱللهُ تَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا ، فيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ . . . » فيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ . . . » الحديثَ (١).

⁽١) رواه مسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

فهاذا الحديثُ سيقَ لنهايةِ الترغيبِ في قيامِ الليلِ ، ولهُ تأثيرٌ عظيمٌ في تحريكِ الدواعي للتهجُّدِ الذي هوَ أفضلُ العباداتِ ، فلو تُرِكَ نقلُ هاذا الحديثِ . . لبطلَتْ هاذهِ الفائدةُ العظيمةُ ، ولا سبيلَ إلى إهمالِها .

وليسَ فيهِ إلَّا إيهامُ لفظِ النزولِ عندَ الصبيِّ أو عندَ العامِّيِّ البحاري مَجرى الصبيِّ ، وما أهونَ على البصيرِ أن يَغرِسَ في قلبِ البحامِّيِّ الننزية والتقديسَ عن صورةِ النزولِ ؛ بأن يقولَ لهُ : إن كانَ نزولُهُ إلى سماءِ الدنيا ليُسمِعَنا نداءَهُ وقولَهُ . . فما أسمعَنا !! فأيُّ فائدةٍ في نزولِهِ ؟! ولقد كانَ يمكنُهُ أن يناديَنا كذلكَ وهوَ على العرشِ أو السماءِ العليا !! فهاذا القَدْرُ يُعرِّفُ العامِّيَّ أنَّ ظاهرَ النزولِ باطلٌ .

بل مثالُهُ: أن يريدَ مَنْ في المشرقِ إسماعَ شخصٍ في المغربِ ومناداتَهُ ، فتَقدَّمَ إلىٰ جهةِ المغربِ بأقدامٍ معدودةٍ وأخذَ يناديهِ وهوَ يعلمُ أنَّهُ لا يسمعُهُ ، فيكونُ نقلُهُ الأقدامَ عملاً باطلاً ، وفعلاً كفعلِ المجانينِ ؛ فكيفَ يستقرُّ مثلُ هلذا في قلبِ عاقل ؟!

بل يُضطَرُّ بهاذا القَدْرِ كلُّ عامِّيٍ إلىٰ أن يتيقَّنَ نفيَ صورةِ النزولِ ، وكيف وقد علم استحالة الجسميَّةِ عليهِ ، واستحالة الانتقالِ علىٰ غيرِ الأجسامِ ، واستحالة النزولِ مِنْ غيرِ انتقالِ ؟! فإذاً ؛ الفائدةُ في نقلِ هاذهِ الأخبارِ عظيمةٌ ، والضررُ يسيرٌ ،

فأنَّىٰ يساوي هـٰذا حكاية الظنونِ المنقدحةِ في الأنفسِ ؟!

فهاذه سبيلُ تجاذبِ طرقِ الاجتهادِ في إباحةِ ذكرِ التأويلِ المظنونِ أوِ المنع .

ولا يَبعُدُ ذكرُ وجهٍ ثالثٍ ؛ وهوَ أن ينظرَ إلى قرائنِ حالِ السائلِ والمستمعِ ؛ فإن علمَ أنَّهُ ينتفعُ بهِ . . ذكرَهُ ، وإن علمَ أنَّهُ ينضرَّرُ بهِ . . تركَهُ ، وإن ظنَّ أحدَ الأمرينِ . . كانَ ظنَّهُ كالعلمِ في إباحةِ الذكر .

وكم مِنْ إنسانٍ لا تتحرَّكُ داعيتُهُ باطناً إلى معرفةِ هاذهِ المعاني ، ولا يحيكُ في نفسِهِ إشكالٌ مِنْ ظواهرِها ؛ فذكرُ التأويلِ معَهُ مُشوّشٌ.

وكم مِنْ إنسانٍ يحيكُ في نفسِهِ إشكالُ الظاهرِ ، حتى يكادُ أن يسوءَ اعتقادُهُ في الرسولِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ، وينكرُ قولَهُ المُوهِمَ (١) ؛ فمثلُ هاذا لو ذُكِرَ معَهُ الاحتمالُ المظنونُ ، بل مُجرَّدُ الاحتمالِ الذي لا ينبو عنهُ اللفظُ .. انتفعَ بهِ ، فلا بأس بذكرِهِ معَهُ ؛ فإنَّهُ دواءٌ لدائِهِ وإن كانَ داءً في حقِّ غيرِهِ ، ولاكنْ لا ينبغي أن يذكرَ على رؤوسِ المنابرِ ؛ لأنَّ ذلكَ يُحرِّكُ الدواعيَ الساكنةَ مِنْ أكثرِ المستمعينَ وقد كانوا عنهُ غافلينَ ، وعن إشكالِهِ مُنفكِينَ .

 ⁽١) فيه إشارة إلىٰ رأي المعتزلة الرادِّين لجملة هنذه الأخبار وإن صحَّت ، أو الإصرار علىٰ تأويلها بالظنِّ .

ولمَّا كانَ زمانُ السلفِ الأُولِ زمانَ سكونِ القلوبِ . . بالغوا في الكفِّ عنِ التأويلِ ؛ خيفةً مِنْ تحريكِ الدواعي وتشويشِ القلوبِ ، فمنْ خالفَهُم في ذلكَ (١) . . فهوَ الذي حَرَّكَ الفتنةَ ، وألقىٰ هاذهِ الشكوكَ في القلوبِ معَ الاستغناءِ عنهُ ، فباءَ بالإثم .

أمَّا الآنَ . . فقد فشا ذكرُهُ في بعضِ البلادِ ، فالعذرُ في إظهارِ شيءٍ مِنْ ذلكَ رجاءً لإماطةِ الأوهامِ الباطلةِ عنِ القلوبِ . . أظهرُ ، واللومُ على قائلِهِ أقلُ .

فإن قيلَ : فقد فرَّقتُم بينَ التأويلِ المقطوعِ والمظنونِ . . فبماذا يحصلُ القطعُ بصحَّةِ التأويلِ ؟

قلنا: بأمرينِ:

أحدُهُما: أن يكونَ المعنى مقطوعاً بثبوتِهِ لللهِ تعالى ؛ كفوقيةِ المرتبةِ .

والثاني: ألَّا يكونَ اللفظُ إلَّا مُحتمِلاً أمرينِ ، وقد بطلَ أحدُهُما وتعيَّنَ الثاني .

مثالُهُ: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوَقَ عِبَادِهِ ۞ ﴾ ، فإنَّهُ قد ظهرَ في وضعِ اللسانِ أنَّ (الفَوقَ) لا يحتملُ إلَّا فوقيةَ المكانِ ، أو فوقيةَ الرتبةِ ، وقد بطلَ فوقيةُ المكانِ لمعرفةِ التقديسِ ؛ فلم يبقَ إلَّا

⁽١) في (أ ، ج ، د ، و) : (في ذٰلك الزمان) .

فوقيةُ الرتبةِ ؛ كما يُقالُ: السيدُ فوقَ العبدِ ، والزوجُ فوقَ الزوجةِ ، والسلطانُ فوقَ الوزيرِ ، واللهُ تعالىٰ فوقَ عبادِهِ بهاذا المعنى ، وهاذا كالمقطوعِ بهِ في لفظِ (الفَوقِ) ، وأنَّهُ لا يُستعمَلُ في لسانِ العربِ إلَّا في هاذينِ المعنيينِ (١١).

أمَّا لفظُ الاستواءِ إلى السماءِ وعلى العرشِ . . فربَّما لا ينحصرُ مفهومُهُ في اللغةِ هذا الانحصارَ ، وإذا تردَّدَ بينَ ثلاثةِ معانٍ : معنيانِ جائزانِ على اللهِ سبحانَهُ ، ومعنى واحدٌ هوَ الباطلُ . . فتنزيلُهُ على أحدِ المعنيينِ الجائزينِ يكونُ بالظنِّ أو بالاحتمالِ المُجرَّدِ .

هلذا تمامُ النظرِ في الكفِّ عن التأويلِ والخوضِ فيهِ .

التَّصرِّفالثَّالثالَّذي يجب لإمساك عنه : التَّصريف

ومعناهُ: أنَّهُ إذا وردَ قولُهُ تعالى: ﴿ أَسْتَوَىٰ ﴿ ﴾ . . فلا ينبغي أن يُقالَ : مستو ويستوي ؛ لأنَّ المعنى يجوزُ أن يختلف ؛ لأنَّ دلالة قولِهِ: (هوَ مستو على العرشِ) على الاستقرارِ أظهرُ مِنْ قولِهِ: ﴿ وَفَعَ السَّمَوٰتِ بِغَيْرِعَمَدِ تَرْفَعَا أُثُرُ السَّوَىٰ عَلَى الْقَرْشِ ﴾ ، وكقولِهِ: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ السَّوَىٰ عَلَى السَّمَاةِ ﴿ ﴾ ، فإنَّ هلذا يدلُّ لكُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلى السَّمَاةِ ﴿ ﴾ ، فإنَّ هلذا يدلُّ

⁽١) ومثل لفظ (الفوق): لفظ (العلو)، وتأمل قوله تعالى: ﴿ رَأَن لَّا تَتَلُواْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْتِكُم يَسُلَمُكُون ثُينِ ۞ ﴾، وقد يقال: يأتي لفظ (الفوق) بمعنى الأكثر؛ كقوله تعالى: ﴿ وَان كُنْ يَسَلَّهُ وَقَ الْتَتَيْن ۞ ﴾، وبمعنى الدون؛ كقوله تعالى: ﴿ مَرُسَدَةَ فَمَا فَوَقَا ۞ ﴾، فالجواب: أن هذه المجازات ترجع عند التأمُّل لهذين المعنيين اللذين نصَّ عليهما الإمام الغزالي أرضاه الله تعالى.

على استواءٍ قدِ انقضىٰ ؛ مِنْ إقبالٍ علىٰ خلقِهِ (١) ، أو علىٰ تدبيرِ المملكةِ بواسطتِهِ (٢) .

ففي تغييرِ التصاريفِ ما يُؤثِّرُ في تغييرِ الدلالاتِ والاحتمالاتِ ، فليجتنبِ التصريفِ كما يجتنبُ الزيادة ؛ فإنَّ تحت التصريفِ نقصاناً أو زيادةً .

التَّصّرَف لرّابع ا تَذي يجب لإمساك عنه: القياس والتَّفريع

مثلُ أن يَرِدَ لفظُ (اليدِ)، فلا يجوزُ إثباتُ الساعدِ والإصبَعِ والكفِّ، مصيراً إلى أنَّ هذا مِنْ لوازمِ اليدِ (")، وإذا وردَ (الإصبَعُ). لم يجزُ ذكرُ الأَنْملةِ، كما لا يجوزُ ذكرُ الأَنْملةِ المشهورةُ لا تنفكُ الجسمِ واللحمِ والعصبِ وإن كانَتِ اليدُ المشهورةُ لا تنفكُ عنهُ (1).

وأبعدُ مِنْ هاذهِ الزيادةِ إثباتُ الرِّجْلِ عندَ ورودِ (الْيدِ) ، وإثباتُ الفمِ عندَ ورودِ (العينِ) أو عندَ ورودِ (الضحكِ) ، وإثباتُ الأذنِ والعينِ عندَ ورودِ (السمعِ والبصرِ) ، وكلُّ ذلكَ محالٌ وكذبٌ

⁽١) وقد سُمع عن العرب: (استوى عليَّ يشاتمني) بمعنى: (أقبلَ عليَّ يشاتمني) انظر «تفسير الطبرى» (٢٥١/١/١).

⁽٢) يعني : بواسطة العرش كما سبق بيانه (ص ٧٢ - ٧٣) .

⁽٣) فهو قولٌ باللازم ، وهو نوعُ قياس عند المتكلمين ، وهذا القياس من باب قياس الغائب على الشاهد ، وهو يفيد الظنَّ لا اليقين عموماً ، وإن كان ظاهر البطلان هنا ، وانظر « شرح المواقف » للجرجاني (٢٨/٢) .

⁽٤) ومنه تدركُ خطأ من يتصوَّر عند ذكر اليد والإصبع في حقِّ المولى جلَّ جلاله أنَّ الأصابع جزء من يده ؟ قياساً للغائب على الشاهد أيضاً .

وزيادةٌ ، وقد يتجاسرُ عليهِ بعضُ الحمقىٰ مِنَ الحَشْويةِ والمُشبِّهةِ ؟ فلذالكَ ذكرناهُ .

التُصرّف لخامس : الجمع بين المتفرّفات

ولقد بَعُدَ عنِ التوفيقِ مَنْ صنَّف كتاباً في جمعِ هاذهِ الأخبارِ خاصَّةً ، ورسمَ في كلِّ عضوِ باباً ؛ فقالَ : بابٌ في إثباتِ الرأسِ ، وبابٌ في إثباتِ اليدِ ، وبابٌ في إثباتِ العينِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ (١) ؛ فإنَّ هاذهِ كلماتٌ مُفرَّقةٌ صدرَتْ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أوقاتٍ مُتفرِّقةٍ متباعدةٍ ؛ اعتماداً علىٰ قرائنَ مختلفةٍ يفهمُ السامعونَ معَها معانيَ صحيحةً .

فإذا ذُكِرَتْ مجموعةً على مثالِ خَلْقِ الإنسانِ . . صارَ جمْعُ تلكَ المُتفرِقاتِ في السمعِ دَفعةً واحدةً قرينةً عظيمةً في تأكيدِ الظاهرِ وإيهامِ التشبيهِ ، وصارَ الإشكالُ في أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِمَ نطقَ بما يُوهِمُ خلافَ الحقِّ . . أعظمَ في النفسِ وأوقعَ .

بلِ الكلمةُ الواحدةُ الفردةُ يتطرَّقُ إليها الاحتمالُ ، فإذا انضمَّ اليها ثانيةٌ وثالثةٌ ورابعةٌ مِنْ جنسِها وصارَ متوالياً . . ضَعُفَ الاحتمالُ بالإضافةِ إلى الجملةِ .

ولذلك يحصلُ مِنَ الظنِّ بقولِ مخبرينِ وثلاثةٍ ما لا يحصلُ

⁽١) مثل كتاب : « التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل » لابن خزيمة .

بقولِ الواحدِ ، بل يحصلُ مِنَ العلمِ القطعيِّ بخبرِ التواترِ ما لا يحصلُ بالآحادِ ، ويحصلُ مِنَ العلمِ القطعيِّ باجتماعِ القرائنِ ما لا يحصلُ بالآحادِ ، وكلُّ ذلكَ نتيجةُ الاجتماعِ ؛ إذ يتطرَّقُ الاحتمالُ الى قولِ كلِّ عدلٍ وإلىٰ كلِّ واحدةٍ مِنَ القرائنِ ، فإذا اجتمع . . انقطعَ الاحتمالُ أو ضَعُفَ ؛ فلذلك لا يجوزُ جمعُ المُتفرّقاتِ .

التّصرّف لسّادس : التّفريق بين لمجتمعات

فكما لا يُجمَعُ بينَ مُتفرِّقِهِ . . لا يُفرَّقُ بينَ مجتمعِهِ ؛ فإنَّ كلَّ كلمةٍ سابقةٍ على كلمةٍ أو لاحقةٍ لهُ مُؤثِّرةٌ في تفهيمِ معناهُ ومُرجِّحةٌ الاحتمالَ الضعيفَ فيهِ ، فإذا فُرِّقَتْ وفُصِلَتْ . . سقطَتْ دلالتُها (۱) .

مثالُهُ: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۞ ﴾ لا يُسلَّطُ علىٰ أن يقولَ القائلُ: (هوَ فوقَ) مطلقاً ؛ لأنَّهُ إذا ذُكِرَ (القاهرُ) قبلَهُ . . ظهرَتْ دلالةُ الفوقِ على الفوقيَّةِ التي للقاهرِ معَ المقهورِ ؛ وهيَ فوقيَّةُ الرتبةِ ، ولفظُ (القاهرِ) يدلُّ عليهِ .

بل لا يجوزُ أن يقولَ : (وهوَ القاهرُ فوقَ غيرِهِ) ، بل ينبغي أن يقولَ : (فوقَ عبادِهِ) لأنَّ ذكرَ العبوديَّةِ في وصفِ مَنِ اللهُ تعالىٰ فوقَهُ يُؤكِّدُ احتمالَ فوقيَّةِ السيادةِ ؛ إذ يَحسُنُ أن تقولَ : (السيِّدُ فوقَ عبدِهِ) ، وإن كانَ لا يَحسُنُ أن تقولَ : (زيدٌ فوقَ عمرِو) قبلَ فوقَ عبدِهِ) ، وإن كانَ لا يَحسُنُ أن تقولَ : (زيدٌ فوقَ عمرِو) قبلَ

⁽١) فالعبرة في الفهم لمجمل السياق.

أَن تُبيِّنَ تَفَاوَتَهُما (١) في معنى السيادةِ والعبوديَّةِ ، أو غلبةِ القهرِ ، أو نفوذِ الأمرِ بالسلطنةِ ، أو بالأبوَّةِ ، أو بالزوجيَّةِ .

فهاذهِ دقائقُ يغفُلُ عنها العلماءُ فضلاً عنِ العوامِّ ؛ فكيفَ يُسلَّطُ العوامُّ في مثلِ ذلكَ على التصرُّفِ بالجمعِ والتفريقِ ، والتأويلِ والتفسيرِ ، وأنواع التغييرِ ؟!

ولأجلِ هذه الدقائقِ بالغَ السلفُ في الجمودِ والاقتصارِ على مواردِ التوقيفِ كما وردَ ، وعلى الوجهِ الذي وردَ ، وباللفظِ الذي وردَ ، والحقُ ما قالوهُ ، والصوابُ ما رأَوْهُ .

فأهمُّ المواضع بالاحتياطِ ما هوَ تصرُّفٌ في ذاتِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ ، وأحتُّ المواضعِ بإلجامِ اللسانِ وتقييدِهِ عن الجريان ما يعظمُ فيهِ الخطرُ ؛ وأيُّ خطرِ أعظمُ منَ الكفرِ ؟!

※ ※ ※

⁽١) وفي (ب) : (إذ يحسن أن يقول : السيد فوق العبد ، والأب فوق الابن ، والزوج فوق الروجة فوق الروجة ، ولا يحسن أن يقال : زيد فوق عمرو ؛ فقد تبين تفاوتهما) أي : في المنزلة والمكانة .

الوظيفة السّادسة في الكفّ بعب دا لإمساك

وأعني بالكفِّ: كفَّ الباطنِ عنِ التفكُّرِ في هاذهِ الأمورِ ؛ فذلكَ واجبٌ عليهِ ؛ كما وجبَ عليهِ إمساكُ اللسانِ عنِ السؤالِ والتصرُّفِ ، وهاذا أثقلُ الوظائفِ وأشدُّها .

وهو واجبٌ ؛ كما وجبَ على العاجزِ الزَّمِنِ ألَّا يخوضَ غمرةَ البحارِ وإن كانَ يتقاضاهُ طبعُهُ أن يغوصَ في البحارِ ويُخرِجَ دُرَرَها وجواهرَها ، وللكنْ لا ينبغي أن يغرَّهُ نفاسةُ جواهرِها معَ عجزِهِ عن نيلِها ، بل ينبغي أن ينظرَ إلى عجزِهِ وكثرةِ معاطبِها ومهالكِها ، ويتفكَّرَ أنَّهُ إن فاتهُ نفائسُ البحرِ . . فما فاتهُ إلَّا زياداتٌ وتوسُّعاتٌ في المعيشةِ هوَ مستغنِ عنها ، وإن غرقَ أو التقمَهُ تمساحٌ . . فاتهُ أصلُ الحياةِ (١) .

فإن قلتَ : إن لم ينصرفْ قلبُهُ عنِ التفكُّرِ والتشوُّفِ إلى البحثِ . . فما طريقُهُ ؟

قلتُ : طريقُهُ : أن يشغلَ نفسَهُ بعبادةِ اللهِ سبحانَهُ ، وبالصلاةِ

⁽١) فيه أن العلوم الناشئة عن قراءة هذه الآيات والأخبار إنما هي خِصِيصةٌ للعارفين بربِّ العالمين ، لم يكلِّف المولئ عامَّة المؤمنين من عباده بدَرْكها ، وهو الذي قد يعنيه الإمام في «الإحياء» (٣٦٦/١) بقوله : (إفشاء سرّ الربوبية كفر) .

وقراءةِ القرآنِ والذِّكرِ ، فإن لم يقدرْ . . فبعلم آخرَ لا يناسبُ هذا الجنسَ ؛ مِنْ لغةٍ أو نحوٍ ، أو حسابٍ أو طبٍ ، أو فقهٍ ، فإن لم يمكنهُ . . فبحِرفةٍ وصناعةٍ ولوِ الحراثةَ والحياكةَ ، فإن لم يقدرْ . . فبلعبٍ ولهوٍ ، فإن لم يقدرْ . . فيُحدِّثُ نفسَهُ بهولِ القيامةِ والحشرِ والنشر والحساب .

فكلُّ ذٰلكَ خيرٌ لهُ مِنَ الخوضِ في هذا البحرِ البعيدِ غورُهُ وعمقُهُ ، العظيم خطرُهُ وضررُهُ .

بل لو اشتغلَ العامِّيُّ بالمعاصي البدنيَّةِ . . ربَّما كانَ أسلمَ لهُ مِنْ أن يخوضَ في البحثِ عن معرفةِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ ذٰلكَ عاقبتُهُ الفسقُ ، وهذا عاقبتُهُ الشركُ ، وإنَّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشرَكَ بهِ ، ويغفرُ ما دونَ ذٰلكَ لمَنْ يشاءُ (۱) .

فإن قلتَ : العامِّيُّ إذا لم تسكنْ نفْسُهُ إلى الاعتقاداتِ الدينيَّةِ إلَّا بدليلِ . . فهل يجوزُ أن يُذكرَ لهُ الدليلُ ؟ فإن جوَّزْتَ ذلكَ . . فقد رخصتَ لهُ في التفكُّرِ والنظرِ ، وأيُّ فرقٍ بينَ هلذا النظرِ وبينَ غيرِهِ ؟ وإن منعتَ . . فكيفَ تمنعُهُ ولا يتمُّ إيمانُهُ إلَّا بهِ ؟

⁽١) قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في الإحياء » (٥٧٨/٥) : (والعاميُّ يفرح بالخوض في العلم ؛ إذ الشيطان يُخيِّلُ إليه : أنك من العلماء وأهل الفضل ، ولا يزال يُحبِّبُ إليه ذلك حتىٰ يتكلَّم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري ، وكل كبيرة يرتكبها العاميُّ فهي أسلمُ له من أن يتكلَّم في العلم ، لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته . . .) ، وليس المراد هنا : تقرير ارتكاب المعاصي ، بل المراد : تبيين أخف الضررين .

والجوابُ: أنِّي أُجوِّزُ لهُ أن يسمعَ الدليلَ على معرفةِ الخالقِ ووحدانيَّتِهِ ، وعلى صدقِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعلى اليوم الآخرِ ، وللكنْ بشرطينِ:

أحدُهُما : ألَّا يزادَ معَهُ على الأدلَّةِ التي في القرآنِ .

والآخرُ: ألَّا يمارىٰ فيهِ إلَّا مراءً ظاهراً (١) ، ولا يتفكَّر فيهِ إلَّا تفكُّراً سهلاً جليًا ، ولا يمعنَ في التفكُّرِ ، ولا يوغلَ غايةَ الإيغالِ في البحثِ .

وأدلَّةُ هاذهِ الأمورِ الأربعةِ : ما ذُكِرَ في القرآنِ .

أَمَّا الدليلُ على معرفةِ الخالقِ .. مثلُ قولِهِ تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِن ٱلسَّمَةِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمَّةَ وَٱلْأَبْصَلَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْمَرِّ فَسَيَقُولُونَ يُخْرِجُ ٱلْمَرِّ فَسَيَقُولُونَ فَهَن يُخْرِجُ ٱلْمَرِّ فَسَيَقُولُونَ الْحَقِ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرُ فَسَيَقُولُونَ اللَّهَ ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرُ فَسَيَقُولُونَ اللَّهَ ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرُ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿ وَهَن اللَّهُ ﴿ وَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ وَهَن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الللللِهُ الللللِهُ اللللللِهُ اللللللِهُ اللللللِهُ اللللللْمُ اللللللِهُ الللللْمُ اللللللِهُ اللللللِهُ اللللللِهُ الللللللللللللِهُ الللللللِهُ اللللللِهُ الللللللِهُ الللللللِهُ الللللللْمُ اللللللللللِهُ اللللللللْمُ اللللللللِهُ الللللللللللللِهُ الللللللللْمُ الللللللللْمُ اللللللِهُ اللللللللللِهُ الللللللللْمُ الللللْمُ الللللللِهُ الللللللْمُ الللللِهُ الللللللْمُ اللللللْمُ الللللللللْمُ اللللللْمُ اللللللللْمُ اللللللْمُ الللللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللللِمُ الللللللْمُ الللللللْمُ اللللللللْمُ الللللللللللْمُ الللللللْمُ الللللللللللْمُ الللللللللللْمُ الللللللللللْمُ اللللللللْمُ اللللللل

وقولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوَقَهُمْ كَيْفَ بَلَيْنَهَا وَزَيَّنَهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجِ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَهَا وَٱلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاتِيَ وَٱلْبَثْنَا فِيهَا مِن كُلِّ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجِ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَهَا وَٱلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاتِيَ وَأَنْبَثْنَا فِيهَا مِن كُلِّ عَبْدِ مُنِيبٍ ۞ وَنَزَلْنَا مِن ٱلسَّمَآءِ مَآءُ مُبْنَرَكًا فَأَنْبُتُنَا مِن ٱلسَّمَآءِ مَآءُ مُبُنرَكًا فَأَنْبُتُنَا مِنِ ٱلسَّمَآءِ وَوَبَّ ٱلْمُصِيدِ ۞ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَتِ لَهَا طَلَمٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقَا لِلْمَادِ ۞ ﴿ وَالنَّخْلُ بَاسِقَتِ لَهَا طَلَمٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقَا لِلْمَادِ ۞ ﴿ .

⁽١) المراء الظاهر: الجدل بطيب الكلام السهل الواضح القريب المأخذ من ذهن العامة.

وكقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلْيَظُرِ ٱلْإِنسَنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۚ ۞ أَنَا صَبَبْنَا ٱلۡمَآۃَ صَبَّا ۞ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ مَّنَكَا لَكُوۡ وَلِأَنْعَلِمُوۡ ۞ ﴾ .

وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَلَا ۞ وَلَلْجِبَالَ أَقَادًا ۞ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَنَّتٍ ٱلْفَافًا ۞ ﴾ .

وأمثالُ ذلك ، وهو قريبٌ مِنْ خمسِ مئة آية ، جمعناها في «جواهرِ القرآنِ » (۱) ، به ينبغي أن يَعرِفَ الخَلْقُ جلالَ اللهِ الخالقِ وعظمتَهُ ، لا بقولِ المُتكلِّمينَ : (إنَّ الأعراضَ حادثةٌ ، وإنَّ الجواهر لا تخلو عنِ الأعراضِ الحادثة ، وما لا يخلو عنِ الأعراضِ الحادثة ، وما لا يخلو عنِ الأعراضِ الحادثة فهوَ حادثٌ ، ثمَّ الحادث يفتقرُ إلى مُحدِثٍ) فإنَّ ذكرَ تلكَ التقسيماتِ والمقدماتِ وإثباتها بأدلتِها الرسميَّة . . تُشوِّشُ قلوبَ العوامِ ، والدلالاتُ الظاهرةُ القريبةُ مِنَ الأفهامِ على ما في القرآنِ . . تُقنعُهُم وتُسكِّنُ نفوسَهُم ، وتغرسُ في قلوبِهِمُ الاعتقاداتِ الجازمةَ (۱) .

6(9)

وأمَّا الدليلُ على الوحدانيَّةِ . . فيقنعُ فيهِ بما في القرآنِ ؛ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةُ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ۞ ﴾ ، وأنَّ اجتماعَ المُدَبِّرينِ سببُ إفسادِ التدبيرِ .

⁽١) انظر « جواهر القرآن » (ص ٨٦ _ ١٤٦) ، فإحالة المؤلف على كتابه « جواهر القرآن » بالغة الأهمية ؛ لأنه جمع المتفرق في علم الكلام كجمع من جمع آيات الأحكام ؛ إذ ذكر فيه رأيه من علم الكلام ، وذكر كتبه الكلامية التي ألفها فيه .

⁽٢) وهاذا هو الفرق بين غرس العقيدة للعوام ، ودرس العقيدة للعلماء ؛ فلكل مقام مقال .

وبمثلِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَوَ كَانَ مَعَهُ تَ الْهَةُ كَمَا يَقُولُونَ إِنَا لَابْنَعَوَاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلَا ۞ ﴾ .

وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدِ وَمَا كَانَ مَعَهُ. مِنْ إِلَهُ إِذَا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَيْمِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ۞ ﴾ .

وأمَّا صدقُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فيستدلُّ عليهِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُل لَيِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَالجِّنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُولُ بِمِثْلِ هَذَا ٱلْقُرَّانِ لَا يَأْتُونَ بِعِشْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا ۞ ﴾ .

وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةِ مِّن مِّثْلِهِ ۞ ﴾ .

وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَأَتُواْ بِعَشْرِ سُورِ مِثْلِهِۦ مُفَتَرَيْتِ ۞ ﴾ ، وأمثالِهِ .

وأَمَّا اليومُ الآخرُ . . فيستدلُّ عليهِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ الْمِظَاءَ وَهِىَ رَمِيهُ ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ خَلْقٍ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّذِيّ أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّوَّ وَهُو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيهُ ﴾ .

وبقولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَيَحَسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتَرَكَ سُدًى ۞ أَلَرَ يَكُ نُطْفَةً مِّن مِّنِي يُعْمَىٰ ۞ . . . ﴾ إلى قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَلَيْسَ ذَالِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْزَك ۞ ﴾ .

وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُم مِّن تُرَابٍ ۞ . . . ﴾ إلى قولِهِ : ﴿ قَدِيرٌ ۞ ﴾ .

وأمثالُ ذٰلكَ كثيرٌ في القرآنِ ، فلا ينبغي أن يُزادَ عليهِ .

فإن قيلَ: فهاذهِ هي الأدلَّةُ التي اعتمدَها المُتكلِّمونَ وقرَّروا وجهَ دلالتِها، فما بالُهُم يمنعونَ عن غيرِ هاذهِ الأدلَّةِ ولا يمنعونَ عنها، وكلُّ ذلكَ مُدرَكٌ بنظرِ العقلِ وتأمُّلِهِ ؟!

فإن فُتِحَ للعامِّيِ بابُ النظرِ . . فليُفتَحْ مطلقاً ، أو ليُسَدَّ عليهِ طريقُ النظرِ رأساً ، وليُكلَّفِ التقليدَ مِنْ غيرِ دليلِ !!

فالجوابُ: أنَّ الأدلَّةَ تنقسمُ إلى ما يُحتاجُ فيهِ إلى تفكُّرِ وتدقيقٍ خارجٍ عن طاقةِ العامِّيِ وقدرتِهِ ، وإلى ما هوَ جليٌّ سابقٌ إلى الأفهامِ ببادئ الرأْيِ وأوَّلِ النظرِ ، بل يشتركُ كافَّةُ الناسِ في دَرْكِهِ .

فما يدركُهُ كافَّةُ الناسِ بسهولةٍ .. لا خطرَ فيهِ ، وما يفتقرُ إلى التدقيقِ . . فليسَ على حدِّ وسْعِهِ ؛ فأدلَّةُ القرآنِ : مثلُ الغذاءِ ينتفعُ بهِ كلُّ إنسانٍ ، وأدلَّةُ المُتكلِّمينَ : مثلُ الدواءِ ينتفعُ بهِ الآحادُ ويستضرُّ بهِ الأكثرونَ ، بل أدلَّةُ القرآنِ كالماءِ الذي ينتفعُ بهِ الصبيُّ الرضيعُ والرجلُ القويُّ ، وسائرُ الأدلَّةِ كالأطعمةِ التي ينتفعُ بها الرضيعُ والرجلُ القويُّ ، وسائرُ الأدلَّةِ كالأطعمةِ التي ينتفعُ بها الأقوياءُ مرَّةً ويمرضونَ بها أخرىٰ ، ولا ينتفعُ بها الصبيانُ أصلاً .

ولهاذا قلنا: أدلَّةُ القرآنِ أيضاً ينبغي أن يصغيَ إليها إصغاءَهُ إلى كلامٍ جليٍّ ، ولا يماريَ فيهِ إلَّا مراءً ظاهراً ، ولا يُكلِّفَ نفسَهُ تدقيقَ الفكرِ وتحقيقَ النظرِ .

فمِنَ الجليِّ: أَنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداءِ.. فهوَ على الإعادةِ المحليِّ: أَنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداءِ.. فهوَ على الإعادةِ القدرُ ؛ كما قالَ تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ، وأنَّ التدبيرَ لا ينتظمُ في اللهِ ﴿ وَاحْدةٍ بمُدبِّرينِ ؛ فكيفَ ينتظمُ في كليَّةِ العالَمِ ؟! وأنَّ مَنْ خلقَ دارٍ واحدةٍ بمُدبِّرينِ ؛ فكيفَ ينتظمُ في كليَّةِ العالَمِ ؟! وأنَّ مَنْ خلقَ .. عَلِمَ ؛ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ أَلَا يَعَلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ .

فهاذهِ أَدلَّةُ تجري للعوامِّ مَجرى الماءِ الذي جعلَ اللهُ منهُ كلَّ شيءٍ حيّاً.

وما أحدثَهُ المُتكلِّمونَ وراءَ ذلكَ مِنْ تنقيرٍ وسؤالِ وتوجيهِ إشكالِ ، ثمَّ اشتغالِ بحلِّهِ . . فهوَ بدعةٌ ، وضررُهُ في حقِّ عمومِ الخَلْقِ ظاهرٌ ، فهوَ الذي ينبغي أن يُتوقَّىٰ .

والدليلُ على تضرُّرِ الخَلْقِ بهِ: المشاهدةُ والتجربةُ ، وما ثارَ مِنَ الفتنِ بينَ الخَلْقِ منذُ نبغَ المُتكلِّمونَ وفشتْ صناعةُ الكلامِ ، معَ سلامةِ العصرِ الأوَّلِ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم عن مثل ذلكَ .

ويدلُّ عليهِ أيضاً: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصحابة بأجمعِهِم ما سلكوا في المُحاجَّةِ مسلكَ المُتكلِّمينَ في تقسيماتِهِم وتدقيقاتِهِم ، لا لعجزٍ منهم عن ذلك ، فلو علموا أنَّ ذلك نافعٌ . . لأطنبوا فيهِ ، ولخاضوا في تحريرِ الأدلَّةِ خوضاً يزيدُ على خوضِهِم في مسائل الفرائض . فإن قيلَ : إنَّ ما أمسكوا عنهُ لعدمِ الحاجةِ ؛ فإنَّ البدعَ إنَّ ما نبغتْ بعدَهُم ، فعظُمَتْ حاجةُ المُتأخِّرينَ إليهِ ، وعِلمُ الكلامِ راجعٌ إلى عِلمِ معالجةِ المرضى بالبدعِ ، فلمَّا قَلَّتْ في زمانِهِم أمراضُ البدع . . قَلَّتْ عنايتُهُم بجمع طرقِ المعالجةِ .

فالجوابُ مِنْ وجهين :

أحدُهُما: أنَّهُم في مسائلِ الفرائضِ ما اقتصروا على بيانِ حكمِ الوقائعِ ، بل وضعوا المسائلَ وفرضوا فيها ما تنقضي الدهورُ ولا يقعُ مثلُهُ ؛ لأنَّ ذلكَ ممّا أمكنَ وقوعُهُ ، فصنَّفوا علمَهُ ورتَّبوهُ قبلَ وقوعِهِ ؛ إذ علموا أنَّهُ لا ضررَ في المخوضِ فيهِ ، وفي بيانِ حكمِ الواقعةِ قبلَ وقوعِها ، والعنايةُ بإزالةِ البدعِ ونزعِها عنِ النفوسِ المعمَّ ، فلم يتخذوا ذلكَ صناعةً لولا أنَّهُم عرفوا أنَّ الاستضرارَ بالمخوضِ فيهِ أكثرُ مِنَ الانتفاعِ ، ولولا أنَّهُم كانوا قد حَذِروا مِنْ بالخوضِ فيهِ أكثرُ مِنَ الانتفاعِ ، ولولا أنَّهُم كانوا قد حَذِروا مِنْ ذلكَ وفهموا تحريمَ الخوضِ فيهِ .

الجوابُ الثاني: أنَّهُم كانوا محتاجينَ إلى مُحاجَّةِ اليهودِ والنصارىٰ في إثباتِ نبوَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإلىٰ إثباتِ الإلهيَّةِ معَ عبدةِ الأصنامِ ، وإلىٰ إثباتِ البعثِ معَ منكريهِ ، وألىٰ إثباتِ البعثِ معَ منكريهِ ، ثمَّ ما زادوا في هلذهِ القواعدِ التي هيَ أمهاتُ العقائدِ علىٰ أدلَّةِ القرآن .

فَمَنْ أَقْنَعَهُ ذَلْكَ . . قبلوهُ ، ومَنْ لم يقنعْ بهِ . . قتلوهُ ، وعدلوا الله السيفِ والسِّنانِ بعدَ إفشاءِ أدلَّةِ القرآنِ ، وما ركبوا ظهرَ اللَّجاجِ

في وضع المقاييسِ العقليَّةِ (١) ، وترتيبِ المُقدِّماتِ واستنتاجِها ، وتحريرِ طرقِ المجادلةِ وتذليلِ طرقِها ومناهجِها ؛ كلُّ ذلك لعلمِهِم بأنَّ ذلك مثارُ الفتنِ ومنبعُ التشويشِ .

وأنَّ مَنْ لا تقنعُهُ أدلَّةُ القرآنِ . . فلا يقمعُهُ إلَّا السيفُ والسِّنانُ ، فما بعدَ بيانِ اللهِ تعالىٰ بيانٌ .

علىٰ أنّنا ننصفُ ولا ننكرُ أنّ حاجةَ المعالجةِ تزيدُ بزيادةِ المرضِ ، وأنّ لطولِ الزمانِ وبُعدِ العهدِ عن عصرِ النبوّةِ تأثيراً في إثارةِ الإشكالاتِ (٢٠) ، وأنّ للعلاج طريقينِ :

أحدُهُما: الخوضُ في البيانِ والبرهانِ ، وأنَّ ما يَصْلُحُ بهِ واحدٌ . . يفسدُ بهِ اثنانِ ؛ فإنَّ صلاحَهُ بالإضافةِ إلى الأكياسِ وفسادَهُ بالإضافةِ إلى البُلْهِ ، وما أقلَّ الأكياسَ !! وما أكثرَ البُلْهَ !! والعنايةُ بالأكثرينَ أولىٰ (٣) .

والطريقُ الثاني: طريقُ السلفِ في الكفِّ والسكوتِ ، والعدولِ

⁽١) اللَّجاج : التمادي في الخصومة .

⁽٢) قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » (٢٩١/١) : (وإنما فضل الصحابة ؟ لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن ، فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة ؟ إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ) .

⁽٣) فيكون الأمر كما يفهم من كلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « فيصل التفرقة » (ص ٩٧ - ٩٨) بأن علم الكلام الوعظي والقريب ، وشخص كامل العقل راسخ في الدين يتعلمه لصون العقائد من المبتدعين وأهل الزيغ والضلال ، وهذذان قليل بالنسبة للجمهور ؛ فعليه : لا ينبغي ذكره إلا في المجالس الخاصة بأحد هذين الشخصين .

إلى الدِّرَّةِ والسَّوْطِ والسيفِ ، وذلكَ ممَّا يُقنِعُ الأكثرينَ وإن كانَ لا يُقنِعُ الأقلِّينَ .

وآية إقناعِهِ: أنَّ مَنْ يُسترَقُّ مِنَ الكفَّارِ مِنَ الإماءِ والعبيدِ.. تراهُم يسلمونَ تحت ظلالِ السيوفِ، ثمَّ يستمرُّونَ عليهِ حتى يصيرَ طوعاً ما كانَ في البدايةِ كُرهاً، ويصيرَ اعتقاداً جَزْماً ما كانَ في الابتداءِ مراءً وشَكاً ؛ وذلكَ بمشاهدةِ أهلِ الدِّينِ والمؤانسةِ بهِم، وسماعِ كلامِ اللهِ تعالى، ورؤيةِ الصالحينَ، وقرائنَ مِنْ هاذا الجنسِ تناسبُ طباعَهُم مناسبةً أشدَّ مِنْ مناسبةِ الجَدَلِ والدليلِ.

وإذا كانَ كلُّ واحدٍ مِنَ العلاجينِ يناسبُ قوماً دونَ قومٍ . . وجبَ ترجيحُ الأنفعِ في الأكثرِ ؛ فالمعاصرونَ للطبيبِ الأوَّلِ المُوَيَّدِ بروحِ القُدُسِ ، المُكاشَفِ مِنَ الحضرةِ الإلهيَّةِ ، المُوحىٰ إليهِ مِنَ الخبيرِ البُعيرِ بأسرارِ عبادِهِ وبواطنِهِم . . أعرفُ بالأصوبِ والأصلحِ قطعاً ؛ فسلوكُ سبيلِهِم ـ لا محالةَ ـ أولىٰ .

الوظيفة التسابعة لتسبيم *لأهل لمعرفت*

وبيانُهُ: أنَّهُ يجبُ على العامِّيِّ أن يعتقدَ أنَّ ما انطوىٰ عنهُ مِنْ معاني هلذهِ الظواهرِ وأسرارِها . . ليسَ منطوياً عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعنِ الصِّدِيقِ ، وعن أكابرِ الصحابةِ ، وعنِ الأولياءِ والعلماءِ الراسخينَ ، وأنَّهُ إنَّما انطوىٰ عنهُ ؛ لعجزِهِ وقصورِ قُوتِهِ ، فلا ينبغي أن يقيسَ بنفسِهِ غيرَهُ ، فلا تُقاسُ الملائكةُ بالحدَّادينَ (۱) .

وليسَ ما يخلو عنه مَخادعُ العجائزِ يلزمُ أن يخلوَ عنهُ خزائنُ الملوكِ (٢)؛ فقد خُلِقَ الناسُ أشتاتاً متفاوتينَ كمعادنِ الذهبِ والفضةِ وسائرِ الجواهرِ ، فانظرْ إلىٰ تفاوتِها وتباعدِ ما بينَها صورة ولوناً ، وخاصِيَّة ونفاسةً ، فكذلكَ القلوبُ معادنُ لجواهرِ المعارفِ ؛ فبعضُها معدنٌ للنبوَّةِ والولايةِ والعلمِ ومعرفةِ اللهِ تعالىٰ ، وبعضُها معدنٌ للشهواتِ البهيميَّةِ والأخلاقِ الشيطانيَّةِ .

⁽١) مثلٌ جرئ على الألسنة ، وسببه: لمّا نزل قوله تعالىٰ : ﴿ عَيّهَا يِنتَهَ عَثَرُ ۞ ﴾ . . قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم ؟ محمدٌ يقول: إن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الجمع العظيم ؟ أيعجِز كلُّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟! فقال أبو الأشد بن أسيد الجمحي _ وكان شديد البطش _ : أنا أكفيكم سبعة عشر ، واكفوني أنتم اثنين! فقال الصحابة عندئذ: (ويحكم ؟ لا تقاس الملائكة بالحدّادين!) فجرى هذا مثلاً في كل شيئين لا مقارنة بينهما . والحدّاد: هو السجّان للنار في دكّانه ومحلِّه ؟ فلا يقاس هذا الحداد بالملائكة خَزَنة جهنم ؛ فالبون بينهما شاسع ، ولا وجه للمقارنة أصلاً ؟!

⁽٢) المَخادع _ جمع مخدع بضم الميم وكسرها _: الخزانة .

بل ترى الناسَ يتفاوتونَ في الحِرَفِ والصناعاتِ ؛ فقد يقدرُ الواحدُ _ لخفَّةِ يدِهِ وحذاقةِ صناعتِهِ _ على أمورٍ لا يطمعُ الآخرُ في بلوغِ أوائلِها فضلاً عن غايتِها ولوِ اشتغلَ بتعلُّمِها جميعَ عمرهِ ، فكذالكَ معرفةُ اللهِ تعالىٰ .

بل كما ينقسمُ الناسُ إلىٰ جبانٍ عاجزٍ لا يطيقُ النظرَ إلى التطامِ أمواجِ البحرِ وإن كانَ علىٰ ساحلِهِ ، وإلىٰ مَنْ يطيقُ ذلكَ للكنُ لا يمكنُهُ الخوضُ في أطرافِهِ وإن كانَ قائماً في الماءِ علىٰ رجلِهِ ، وإلىٰ مَنْ يطيقُ ذلكَ للكنُ لا يطيقُ رفعَ الرِّجْلِ عنِ الأرضِ اعتماداً على السباحةِ ، وإلىٰ مَنْ يطيقُ السباحةَ إلىٰ حدِّ قريبٍ مِنَ الشطِّ للكنْ لا يطيقُ خوضَ لُجَّةِ البحرِ والمواضعِ المُغرِقةِ المُخْطِرةِ ، وإلىٰ مَنْ يطيقُ ذلكَ للكنْ لا يطيقُ الغوصَ في عمقِ البحرِ إلىٰ وإلىٰ مَنْ يطيقُ ذلكَ للكنْ لا يطيقُ الغوصَ في عمقِ البحرِ إلىٰ مُستقرِّهِ الذي فيهِ نفائسُهُ وجواهرُهُ . . فهلكذا مثالُ بحرِ المعرفةِ وتفاوتِ الناسِ فيهِ حذوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ مِنْ غيرِ فَرْقٍ (١٠) .

فإن قيلَ : فالعارفونَ يحيطونَ بكمالِ معرفةِ اللهِ تعالىٰ ؛ حتىٰ لا ينطوي عنهُم شيءٌ ؟

قلنا: هيهاتَ! فقد بيَّنَا بالبرهانِ القطعيِّ في كتابِ «المقصدِ الأسنىٰ في معاني أسماءِ اللهِ الحسنىٰ » أنَّهُ لا يعرفُ اللهَ تعالىٰ كُنْهَ معرفتِهِ إلَّا اللهُ تعالىٰ ، وأنَّ الخلائقَ وإنِ اتسعَتْ معرفتُهُم وغزُرَ

⁽١) القُذَّة : الواحدة من ريش السهم ، وهو مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

علمُهُم ؛ فإذا أُضيفَ ذلكَ إلى علمِ اللهِ سبحانَهُ . . فما أُوتوا مِنَ العلم إلَّا قليلاً (١) .

للكنْ ينبغي أن يعلمَ أنَّ الحضرةَ الإللهيَّةَ محيطةٌ بكلِّ ما في الوجودِ ؛ إذ ليسَ في الوجودِ إلَّا اللهُ تعالىٰ وأفعالُهُ ، فالكلُّ مِنَ الحضرةِ الإللهيَّةِ ؛ كما أنَّ جميعَ أربابِ الولاياتِ في المعسكرِ مِنَ الحراسِ وغيرِهِم . . مِنْ جملةِ الحضرةِ السلطانيَّةِ .

وأنت لا تفهم الحضرة الإلهيّة إلّا بالتمثيل بالحضرة السلطانيّة ؛ فاعلم أنّ كلّ ما في الوجود داخلٌ في الحضرة الإللهيّة (٢) ، ولكنْ كما أنّ السلطان له في مملكته قصرٌ خاصٌ ، وفي فناء قصره ميدانٌ واسعٌ ، ولذلك الميدانِ عتبةٌ يجتمعُ عليها جميعُ الرعايا ، ولا يُمكّنونَ مِنْ مجاوزة العتبة ولا إلى طرفِ الميدانِ ، ثمّ يُؤذَنُ لخواصِ المملكة في مجاوزة العتبة ودخولِ الميدانِ والجلوسِ لخواصِ المملكة في مجاوزة العتبة ودخولِ الميدانِ والجلوسِ فيه ، على تفاوتٍ في القُربِ والبُعدِ بحسبِ مناصبِهم ، وربَّما لم يطرق إلى القصرِ الخاصِ إلّا الوزيرُ وحدَهُ ، ثمّ إنّ الملك يُطلِعُ ليطرق إلى القصرِ الخاصِ إلّا الوزيرُ وحدَهُ ، ثمّ إنّ الملك يُطلِعُ الوزيرَ مِنْ أسرارِ ملكِهِ على ما يريدُ ، ويستأثرُ عنهُ بأمورٍ لا يُطلِعُهُ على هلذا المثالِ تفاوت الخلقِ في القُرْبِ عن الحضرةِ الإللهيّة .

⁽١) يقول العارف بالله تعالى الشيخ على بن الهيتي رحمه الله تعالى: (الحقُ تعالى وراء كلِّ ما أدركه الخلق بأفهامهم ، أو أحاطوا به بعلومهم ، وأشرفوا عليه بمعارفهم) انظر « طبقات الشعرانى » (١٤٥/١) .

⁽٢) في (ب ، ه) : (المملكة الإلهية) .

فالعتبةُ التي هي آخرُ الميدانِ . . موقفُ جميعِ العوامِّ ومردُّهُم ، لا سبيلَ لهُم إلى مجاوزتِها ؛ فإن جاوزوا حدَّهُم . . استوجبوا الزجرَ والتنكيلَ .

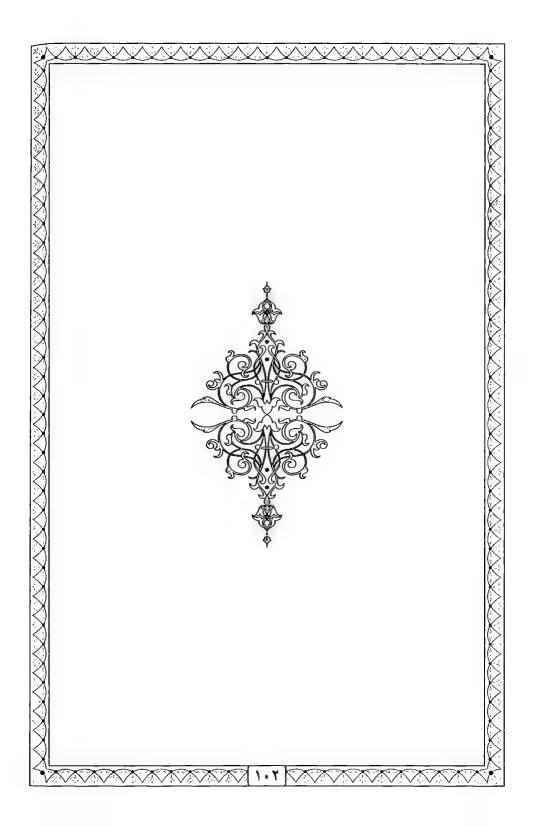
وأمَّا العارفونَ . . فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا في الميدانِ ، ولهُم فيهِ جَوَلانٌ على حدودٍ مختلفةٍ في القُرْبِ والبعدِ ، وتفاوتُ ما بينَهُم كثيرٌ وإنِ اشتركوا في مجاوزةِ العتبةِ وتقدَّموا على العوامِّ المحبوسينَ على الباب .

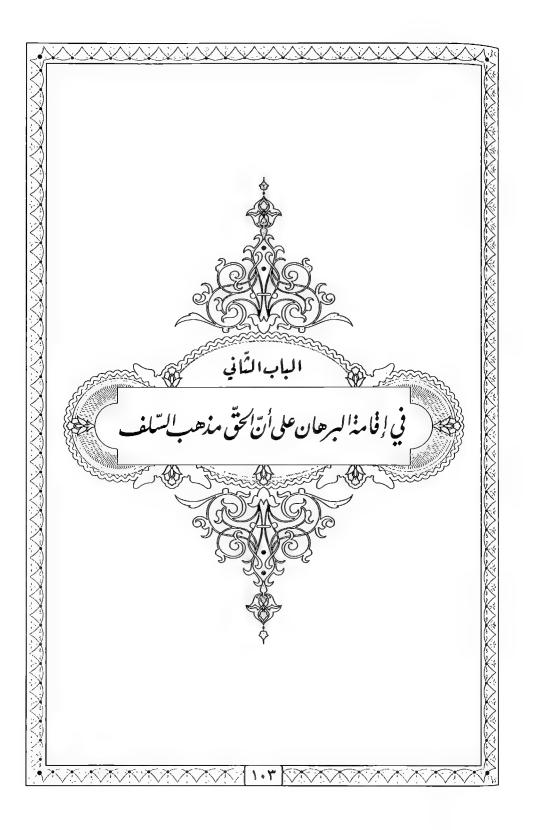
وأمَّا حظيرةُ القدسِ في صدرِ الميدانِ . . فهيَ أعلى مِنْ أن تطأها أقدامُ العارفينَ ، وأرفعُ مِنْ أن يمتدَّ إليها أبصارُ الناظرينَ ، بل لا يلمحُ ذلكَ الجنابَ الرفيعَ صغيرٌ ولا كبيرٌ إلَّا غضَّ الدهشةُ والحَيرةُ طَرْفَهُ ، فانقلبَ إليهِ البصرُ خاسئاً وهو حسيرٌ .

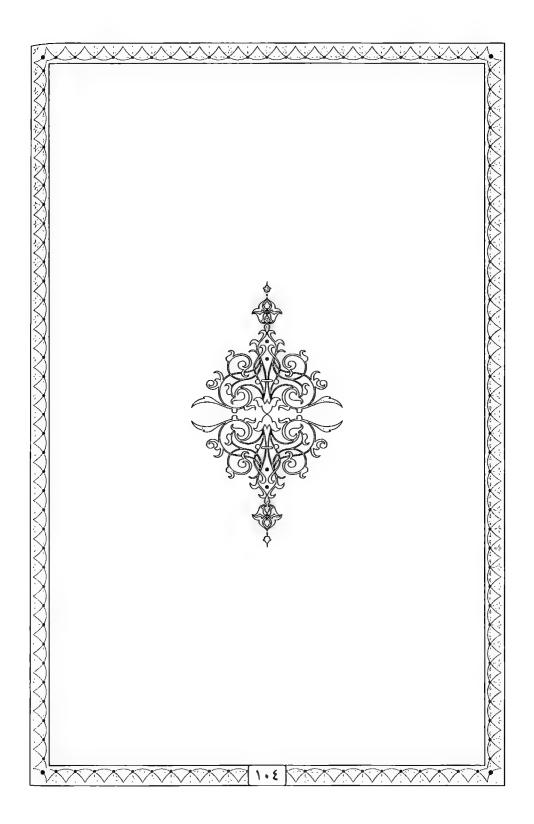
فهاذا ما يجبُ على العامِّيِّ أَن يؤمنَ بهِ جملةً وإن لم يُحِطُ بهِ تفصيلاً.

فهاذه هي الوظائفُ السبعُ الواجبةُ على عوامِّ الخَلقِ في هاذهِ الأخبارِ التي سألتَ عنها ، وهيَ حقيقةُ مذهبِ السلفِ .

والآنَ نشتغلُ بإقامةِ الدليلِ علىٰ أنَّ الحقُّ هوَ مذهبُ السلفِ.







الباب الثّاني في إفامة البرهان على أنّ الحقّ مزهب لسّلف

وعليهِ برهانانِ : عقليٌّ وسمعيٌّ .

أمَّا العقليُّ . . ففنَّانِ : كُلِّيٌّ وتفصيليٌّ .

* * *

أمَّا البرهانُ الكُلِّيُّ علىٰ أنَّ الحقَّ مذهبُ السلفِ . . فينكشِفُ بتسليم أربعةِ أصولٍ هي مُسلَّمَةٌ عندَ كلِّ عاقلِ :

الأوَّلُ: أنَّ أعرَفَ الخَلْقِ بصلاحِ أحوالِ العبادِ بالإضافةِ إلىٰ حُسْنِ المَعادِ . . هوَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّ ما يَنفعُ في الآخرةِ أو يَضرُّ لا سبيلَ إلىٰ معرفتِهِ بالتجربةِ كما عُرِفَ الطبُّ ؛ إذ لا مجالَ للعلومِ التجربيَّةِ (١) إلَّا فيما يُشاهَدُ علىٰ سبيلِ التكرُّرِ ، ومَنِ الذي رجعَ مِنْ ذلكَ العالَمِ فأدركَ بالمشاهدةِ ما نفعَ وضرَّ وأخبرَ عنهُ ؟!

ولا يُدرَكُ بقياسِ العقلِ ؛ فإنَّ العقولَ قاصرةٌ عن ذلك ، والعقلاءُ بأجمعِهِم معترفونَ بأنَّ العقلَ لا يَهتدي إلىٰ ما بعدَ الموتِ ، ولا يُرشِدُ إلىٰ وجهِ ضررِ المعاصي ونفعِ الطاعاتِ ، لا سيَّما علىٰ سبيلِ يرشِدُ إلىٰ وجهِ ضررِ المعاصي ونفعِ الطاعاتِ ، لا سيَّما علىٰ سبيلِ التفصيلِ والتحديدِ كما وردَتْ بهِ الشرائعُ ، فأقرُّوا بجملتِهِم أنَّ

⁽١) في (هـ) وحدها : (التجريبية) .

ذلك لا يُدرَكُ إلَّا بنورِ النبوَّةِ (١) ؛ وهي قُوَّةٌ وراءَ قُوَّةِ العقلِ ، يُدرَكُ بها مِنْ أمرِ الغيبِ في الماضي والمستقبلِ أمورٌ لا على سبيلِ التعرُّفِ بالأسبابِ العقليَّةِ .

وهذا ممَّا اتفقَ عليهِ الأوائلُ مِنَ الحكماءِ فضلاً عنِ الأولياءِ مِنَ العلماءِ الراسخينَ القاصرينَ نظرَهُم على الاقتباسِ مِنْ حضرةِ النبوَّةِ ، المُقرِينَ بقصورِ كلِّ قُوَّةٍ سوىٰ هاذهِ القُوَّةِ .

(A) (B)

الأصلُ الثاني : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أفاضَ إلى الخَلْقِ ما أُوحِيَ إليهِ مِنْ صلاحِ العبادِ في معادِهِم ومعاشِهِم ، وأنَّهُ ما كَتَمَ شيئاً مِنَ الوحيِ ولا أخفاهُ ولا طَواهُ عنِ الخَلْقِ ؛ فإنَّهُ لم يُبعَثْ إلَّا لذالكَ ، ولذلك كانَ رحمةً للعالَمينَ ، فلم يكُنْ مُتَّهماً فيهِ .

وعُرِفَ ذَلكَ عِلماً ضروريّاً مِنْ قرائنِ أحوالِهِ في حرصِهِ علىٰ إصلاحِ الخَلْقِ ، وشغفِهِ بإرشادِهِم إلى صلاحِ معاشِهِم ومعادِهِم ، فما تركَ شيئاً ممّا يُقرِّبُ الخَلْقَ إلى الجنَّةِ ورضا الخالقِ . . إلّا دلّهُم عليهِ وأمرَهُم بهِ وحثَّهُم عليهِ ، ولا شيئاً ممّا يُقرِّبُهُم إلى النارِ وإلىٰ سخطِ اللهِ تعالىٰ . . إلّا حَذَّرَهُم منهُ ونهاهُم عنهُ ، وذلكَ في العلم والعملِ جميعاً .

(B) (B) (B)

 ⁽١) فإن القائلين بحاكمية العقل في التحسين والتقبيح ولزوم الثواب والعقاب . . مقرُّون بعجز العقل عن مقادير هاذا الجزاء ، ففي كلامه تنزُّلٌ رحمه الله تعالىٰ .

الأصلُ الثالثُ: أنَّ أعرَفَ الناسِ بمعاني كلامِهِ عليهِ السلامُ وأحراهُم بالوقوفِ على كُنْهِهِ ودَرْكِ أسرارِهِ.. الذينَ شاهدوا الوحيَ والتنزيلَ ، وعاصروهُ وصحِبوهُ ، بل لازموهُ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ ، مُشمِّرينَ لفهمِ معاني كلامِهِ وتلقِّيهِ بالقَبُولِ للعملِ بهِ أولاً ، وللنقلِ إلى مَنْ بعدَهُم ثانياً ، وللتقرُّبِ إلى اللهِ سبحانَهُ بسماعِهِ وفهمِهِ ، وحفظِهِ ونشرِهِ ، وهمُ الذينَ حثَّهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على السماعِ والفهمِ والحفظِ والأداءِ ، فقالَ : « نَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا . . . » الحديثَ (1).

فليتَ شعري !! أَيُتَّهَمُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإخفائِهِ وكتمانِهِ عنهُم ؟! حاشا منصبَ النبوَّةِ عن ذلكَ ، أم يُتَّهَمُ أولئكَ الأكابرُ في فهم كلامِهِ وإدراكِ مقاصدِهِ ؟! أو يُتَّهمونَ في إخفائِهِ وسترِهِ بعدَ الفهم ؟! أو يُتَّهمونَ في معاندتِهِ مِنْ حيثُ العملُ ومخالفتِهِ على سبيلِ المكابرةِ معَ الاعترافِ بتفهيمِهِ وتكليفِهِ ؟! فهذه أمورٌ لا يتَّسعُ لتقديرِها عقلُ عاقل .

الأصلُ الرابعُ: أنَّهُم في طولِ عصرِهِم إلىٰ آخرِ أعمارِهِم ما دَعَوُا الخَلْقَ إلى البحثِ والتفتيشِ والتنقيرِ والتأويلِ والتعرُّضِ

⁽١) رواه أبو داوود (٣٦٥٢) ، والترمذي (٢٦٥٦) ، والنسائي في « الكبرئ » (٥٨١٦) ، وابن ماجه (٢٤١)) عن سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه .

لمثلِ هذه الأمورِ ، بل بالغوا في زجرِ مَنْ خاصَ فيهِ وسألَ عنهُ وتكلُّم به (۱) ، على ما سنحكيهِ عنهُ م (۱) .

فلو كانَ ذلكَ مِنَ الدِّينِ ، أو كانَ مِنْ مداركِ علمِ الدِّينِ . . لأقبلوا عليهِ ليلاً ونهاراً ، ودعَوْا إليهِ أولادَهُم وأهليهِم ، ولَشمَّروا عن ساقِ الجِدِّ في تأسيسِ أصولِهِ وشرحِ قوانينِهِ تشميراً أبلغَ مِنْ تشميرهِم في تمهيدِ قواعدِ الفرائضِ والمواريثِ.

وقالَ: « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي نَيِّفاً وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، ٱلنَّاجِيَةُ مِنْهُمْ وَالْحِدَةٌ » ، فقيلَ: « أَهْلُ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْجَمَاعَةِ » ، فقيلَ: وما أهلُ السنَّةِ والجماعةِ ؟ فقالَ: « مَا أَنَا عَلَيْهِ ٱلْآنَ وَأَصْحَابِي » (1).

(R) (R)

البرهانُ الثاني: وهوَ التفصيليُّ ، فنقولُ: ادعينا أنَّ الحقَّ هوَ

⁽١) انظر خبر سيدنا عمر رضي الله عنه مع صبيغ (ص ٦٤) .

⁽٢) سيأتي (ص ١١٤).

⁽٣) رواه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

⁽٤) رواه بنحوه أبو داوود (٤٥٨٧) عن سيدنا معاوية رضي الله عنه ، والترمذي (٢٦٤١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وابن ماجه (٤١٤٩) عن سيدنا عوف بن مالك رضى الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (180 / 4)) .

مذهبُ السلفِ ، وأنَّ مذهبَ السلفِ هوَ توظيفُ الوظائفِ السبعِ علىٰ عوامِّ الخَلْقِ في ظواهرِ الأخبارِ المتشابهةِ ، وقد ذكرنا برهانَ كلِّ وظيفةٍ معَها ؛ وهوَ برهانُ كونِهِ حقًاً .

فَمَنْ يَخَالَفُ _ لَيتَ شَعْرِي _ أَيْخَالَفُ فِي قُولِنَا الْأَوَّلِ : إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْعَامِّيِّ التقديسُ للحقِّ عنِ الجسميَّةِ ومشابهةِ الأجسام ؟!

أو في قولِنا الثاني : إنَّهُ يجبُ عليهِ التصديقُ والإيمانُ بما قالَهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمعنى الذي أرادَهُ ؟!

أو في قولِنا الثالثِ: إنَّهُ يجبُ عليهِ الاعترافُ بالعجزِ عن دَرْكِ حقيقةِ تلكَ المعاني ؟!

أو في قولِنا الرابع : إنَّهُ يجبُ عليهِ السكوتُ عنِ السؤالِ والخوض فيما هوَ وراءَ طاقتِهِ ؟!

أو في قولِنا الخامسِ: إنَّهُ يجبُ عليهِ إمساكُ اللسانِ عن تغييرِ الظواهرِ بالزيادةِ والنقصانِ والجمع والتفريقِ ؟!

أو في قولِنا السادسِ: إنَّهُ يجبُ عليهِ كفُّ القلبِ عنِ الفِكْرِ فيهِ معَ عجزِهِ عنهُ وقد قيلَ لهُم: « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ ٱللهِ ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ ٱللهِ ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ ٱللهِ » ؟! (١٠).

⁽۱) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (Υ) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وأبو نعيم في « الحلية » (Υ) عن سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، والخطيب في « Υ تاريخه » (Υ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء» (Υ) ، و« المقاصد الحسنة » (Υ) .

أو في قولِنا السابع: إنَّهُ يجبُ عليهِ التسليمُ لأهلِ المعرفةِ مِنَ الأنبياءِ والأولياءِ والعلماءِ الراسخينَ ؟!

فهاذهِ أمورٌ ذكرنا بيانَها وبرهانَها (١) ، ولا يَقدِرُ أحدٌ على جحدِها وإنكارِها إن كانَ مِنْ أهلِ التمييزِ فضلاً عنِ العقلاءِ والعلماءِ .

فهنذه هي البراهينُ العقليَّةُ .

* * *

النمطُ الثاني: البرهانُ السمعيُّ على ذلك .

وطريقُهُ أن نقولَ: الدليلُ على أنَّ الحقَّ مذهبُ السلفِ: أنَّ نقيضَهُ بدعةٌ ، والبدعةُ مذمومةٌ وضلالةٌ ، والخوضُ مِنْ جهةِ العوامِّ في التأويلِ والخوضُ بهِم فيهِ مِنْ جهةِ العلماءِ . . بدعةٌ ، فكانَ نقيضُهُ وهوَ الكفُّ عن ذلكَ . . سنَّةً محمودةً .

فها هنا ثلاثة أصولٍ:

أحدُها: أنَّ البحثَ والتفتيشَ والسؤالَ عن هانهِ الأمورِ . . بدعةٌ . والثاني : أنَّ كلَّ بدعةٍ فهيَ مذمومةٌ (٢) .

والثالث : أنَّ البدعة إذا كانَتْ مذمومة . . كانَ نقيضُها وهيَ السنةُ القديمةُ محموداً .

⁽١) في جميع النسخ عدا (ج): (فهلذه أمورٌ بيانُها برهانُها).

 ⁽٢) جعلُ الإمام الغزالي رحمه الله تعالى هنا القضية كليَّةً . . خاصٌّ بالبدعة المذمومة في الدِّين
 كما سنتيَّن .

ولا يمكنُ النزاعُ في شيءٍ مِنْ هلذهِ الأصولِ ، وإذا سُلِّمَتْ . . أنتجَتْ أنَّ الحقَّ مذهبُ السلفِ .

\$ \$ \$

فإن قيلَ: بمَ تنكرونَ على مَنْ يمنعُ كونَ البدعةِ مذمومةً ، أو يمنعُ كونَ البدعةِ مذمومةً ، أو يمنعُ كونَ البحثِ والتفتيشِ بدعةً ، فينازِعُ في الأصلينِ الأوَّلينِ والا ينازعُ في الثالثِ لظهورهِ ؟

فنقولُ: الدليلُ على إثباتِ الأصلِ الأوَّلِ مِنْ كونِ البدعةِ مذمومةً: اتفاقُ الأمَّةِ قاطبةً على ذمِّ البدعةِ وزجرِ المبتدعِ وتعييبِ مَنْ يُعرَفُ بالبدعةِ ، وهاذا مفهومٌ على الضرورةِ مِنَ الشرعِ ، وذلكَ غيرُ واقع في محلِّ الظنِّ (١).

وذمُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ البدعةَ عُلِمَ بالتواترِ بمجموعِ أخبارٍ يفيدُ العِلمَ القطعيَّ جملتُها وإن كانَ الاحتمالُ يتطرَّقُ إلىٰ آحادِها ؛ وذلكَ كعلمنا بشجاعةِ عليِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسخاوةِ حاتِمٍ ، وحبِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، وما جرىٰ مَجراها ؛ فإنَّهُ عُلِمَ قطعاً بأخبارِ آحادٍ ، بلغَتْ في الكثرةِ مبلغاً لا تحتملُ كذبَ ناقليها وإن لم تكنْ آحادُ بلكَ الأخبار متواترةً (٢).

⁽١) يعني : بعد الاتفاق على بدعية أمرٍ ما . . لا خلاف في ذمِّه ، وإنما خلاف الفرقاء عند التباحث في كونه بدعة أو أنه ليس ببدعة .

⁽٢) وهو المسمَّىٰ بالتواتر المعنوي ، لا اللفظي . انظر « فتح المغيث » ($\Upsilon 1/\xi$) .

وذلكَ مثلُ ما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنَّهُ قالَ: « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِٱلنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ ٱلْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثِ بِدْعَةٌ (١) ، وَكُلَّ بدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي ٱلنَّارِ » (١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « ٱتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَمَّا ٱبْتَدَعُوا فِي دِينِهِمْ ، وَتَرَكُوا سَنَنَ أَنْبِيَائِهِمْ ، وَقَالُوا بِآرَائِهِمْ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « إِذَا مَاتَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ . . فَقَدْ فُتِحَ عَلَى ٱلْإِسْلَام فَتْحٌ » ('') .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « مَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لِيُوقِرَهُ . . فَقَدْ أَعَانَ عَلَىٰ هَدْمِ ٱلْإِسْلَامِ » (°) .

وقى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « مَنْ أَعْرَضَ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بُغْضاً لَهُ فِي ٱللهِ تَعَالَىٰ . . مَلاَ ٱللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً ، وَمَن ٱنْتَهَرَ صَاحِب بِدْعَةٍ . . رَفَعَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، وَمَنْ

⁽١) كذا في جميع النسخ ، والرواية : « محدثة ، بدل « محدث » .

⁽٢) رواه بنحوه أبو داوود (٤٥٩٩) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٤) عن سيدنا العرباض بن سارية رضى الله عنه .

⁽٣) قوله : « اتبعوا ولا تبتدعوا » رواه الدارمي في « مسنده » (٢١١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٢٤) موقوفاً على سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وباقيه أورده بنحوه ابن عبد البر

في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٠٢٦) من كلام السُّعبي رحمه الله تعالىٰ .

⁽٤) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٨٠/٤) ، وهو عند الديلمي في « الفردوس » (١١١٨) عن سيدنا أنس رضى الله عنه .

⁽٥) رواه الطبراني في « الكبير » (٩٦/٢٠) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

سَلَّمَ عَلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ، أَوْ لَقِيَهُ بِٱلْبُشْرَىٰ ، أَوِ ٱسْتَقْبَلَهُ بِمَا يَسُرُّهُ . . فَقَدِ ٱسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ لِصَاحِبِ
بِدْعَةٍ صَوْماً وَلَا صَلَاةً ، وَلَا زَكَاةً وَلَا حَجَّا ، وَلَا عُمْرَةً وَلَا جِهَاداً ،
وَلَا صَرْفاً وَلَا عَدْلاً ، وَيَخْرُجُ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ كَمَا يَخْرُجُ ٱلسَّهُمُ مِنَ
ٱلرَّمِيَّةِ ، أَوْ كَمَا تَخْرُجُ ٱلشَّعْرَةُ مِنَ ٱلْعَجِينِ » (٢).

فهاذا وأمثالُهُ _ ممَّا يجاوزُ حدَّ الحصرِ _ أفادَ علماً ضروريّاً بكونِ البدعةِ مذمومةً .

فإن قيلَ: سلَّمْنا أنَّ البدعةَ مذمومةٌ ، وللكنْ ما دليلُ الأصلِ الناني ؛ وهوَ أنَّ هاذا بدعةٌ والبدعةُ عبارةٌ عن كلِّ مُحدَثِ ؟! فلِمَ قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ: الجماعةُ في التراويحِ بدعةٌ ؛ وهيَ بدعةٌ حسنةٌ ؟! وخوضُ الفقهاءِ في تفاريعِ الفقهِ ومناظرتُهُم فيها معَ ما أبدعوهُ مِنْ نقضٍ وكسرٍ (") ، وفسادِ وضعِ وتركيبٍ (1) ، وتعديةٍ ما أبدعوهُ مِنْ نقضٍ وكسرٍ (") ، وفسادِ وضعِ وتركيبٍ (1) ، وتعديةٍ

⁽١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٩٩/٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

⁽٢) رواه ابن ماجه (٥١) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

⁽٣) النقضُ والكسرُ: مصطلحان أصوليان في هدم دليل المُستدِلِّ ؛ وذلك بإثبات صورٍ وُجِدَتْ فيها العلَّة ولم يوجَد فيها الحكَّمُ. انظر « التعريفات » للجرجاني (ص ٣٣٦).

⁽٤) فساد الوضع: هو عبارة عن كون العلة معتبرة في نقيض الحكم بالنص أو الإجماع ؟ مثل تعليل أصحاب الشافعي لإيجاب الفرقة بسبب إسلام أحد الزوجين . انظر « التعريفات » (ص. ٧٤٥) .

وفنونِ مجادلةٍ وإلزامٍ . . كلُّ ذلكَ مُبدِّعٌ لم يُؤثَرْ عنِ الصحابةِ شيءٌ مِنْ ذلكَ .

فدلَّ أنَّ البدعةَ المذمومة : ما رفعَتْ سنَّةً مأثورةً ، ولا نسلِّمُ أنَّ هلذا رافعٌ لسنَّةٍ مأثورةٍ ثابتةٍ ، للكنَّهُ مُحدَثُ ما خاضَ فيهِ الأولونَ ؛ إمَّا لاشتغالِهِم بما هوَ أهمُّ منهُ ، وإمَّا لسلامةِ القلوبِ في العصرِ الأولِ عنِ الشكوكِ والتردُّداتِ ، فاستغنَوْا عنِ الخوضِ فيهِ ، وخاضَ الأولِ عنِ الشكوكِ والتردُّداتِ ، فاستغنَوْا عنِ الخوضِ فيهِ ، وخاضَ فيهِ مَنْ بعدَهُم لحدوثِ الأهواءِ والبدعِ ، ومسيسِ الحاجةِ إلىٰ إبطالِها ، وإفحام منتحليها .

والجوابُ: أنَّ ما ذكرتُمُوه مِنْ أنَّ البدعة المذمومة كلُّ مُحدَثٍ رفعَ سنَّة قديمة ؛ إذ رفعَ سنَّة قديمة .. هو الحقُّ ، وهاذه بدعةٌ رفعَتْ سنَّة قديمة ؛ إذ كانَتْ سنَّة الصحابة المنعَ مِن الخوضِ فيهِ ، وزجرَ مَنْ سألَ عنه ، والمبالغة في تأديبهِ ومنعهِ ، وفتحُ بابِ السؤالِ عن هاذهِ المسائلِ ، والخوضُ بالعوامِّ في غمرة هاذهِ المشكلاتِ .. على خلافِ ما تواترَ عنهُ م.

وقد صحَّ ذلكَ عنِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم بتواترِ النقلِ عندَ التابعينَ مِنْ نقلةِ الآثارِ وسيرِ السلفِ صحةً لا يتطرَّقُ إليها ريبٌ وشكٌ ؛ كما تواترَ خوضُهُم في مسائلِ الفرائضِ ومشاوراتُهُم في أحكامِ الوقائعِ الفقهيَّةِ ، وحصلَ العلمُ بهِ أيضاً بأخبارِ آحادٍ لا يتطرَّقُ الشكُ إلى مجموعِها وإن تَطرَّقَ الاحتمالُ إلى آحادِها كما ذكرناهُ في ذمّ البدعةِ ؛ كما نُقِلَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنّهُ كما ذكرناهُ في ذمّ البدعةِ ؛ كما نُقِلَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنّهُ

سألَهُ سائلٌ عن آيتينِ متشابهتينِ فعلاهُ بالدِّرَّةِ (١١).

وكما رُوِيَ أَنَّهُ سألَهُ سائلٌ عنِ القرآنِ: أهوَ مخلوقٌ أم لا ؟ قالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنه : (كنتُ جالساً عندَهُ لمَّا سُئِلَ عن ذلكَ وهوَ أميرُ المؤمنينَ يومَئذٍ ، فتعجَّبَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ قولِهِ ، فأخذَ بيدِهِ حتى جاء بهِ إلى عليّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : يا أبا الحسنِ ؛ اسمعْ ما يقولُ هاذا الرجلُ !!

قالَ : وما يقولُ يا أميرَ المؤمنينَ ؟

فقالَ الرجلُ : سألتُهُ عنِ القرآنِ : أمخلوقٌ هوَ أم غيرُ مخلوقٍ ؟ فوجمَ لها عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وطأطأَ رأسَهُ ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : سيكونُ لكلامِ هاذا نبأٌ في آخرِ الزمانِ ، ولو وُلِّيتُ مِنْ أمرِهِ ما وُلِّيتَ . . لضربتُ عنقَهُ) .

وقد روى أحمدُ ابنُ حنبلِ هـٰذا الحديثَ عن أبي هريرةَ (٢).

فهاذا قولُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ في هاذا السائلِ بحضورِ عمرَ وأبي هريرةَ رضوانُ اللهِ عليهِم أجمعينَ ، ولم يقولا لهُ ولا أحدٌ ممَّنْ بلغَهُ ذٰلكَ مِنَ الصحابةِ ولا عرفَهُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ في

⁽١) انظر خبره تعليقاً (ص ٦٤) .

⁽٢) رواه نصر بن إبراهيم المقدسي في « مختصر الحجة على تارك المحجة » (٢٥٩) ، ثم قال : (وهذا التشديد من الصحابة رضي الله عنهم ، والمنع من الكلام في هذه المسائل وأشباهها وإن كانت جواباتها عندهم معلومة ، وأحكامها مفهومة . . إرادة لحسم الباب وقطع السؤال ؛ لئلا يؤدي إلى ما لا يؤمر به في الشريعة ، ويتسع الأمر فيما يخالف ما أمر الله به ورسوله) ، والوجم : السكوت على غيظ ، وعبوس الوجه من شدة الحزن .

نفسِهِ: إِنَّ هَاذَا سَوَالٌ عَن مَسَأَلَةٍ دَينيَّةٍ ، وَتَعرُّفٌ لَحُكُم كلامِ اللهِ تَعالَىٰ ، وطلبُ معرفة لصفة القرآنِ الذي هو المعجزة الدالَّة على صدقِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، بل هو الدليلُ المُعرِّفُ لأحكامِ التكليفِ ، فلِمَ يستوجبُ طالبُ المعرفةِ والسائلُ عنها هاذا التشديد ؟!

فانظرْ إلىٰ فِراسةِ علي رضيَ اللهُ عنهُ وإشرافِهِ على أنَّ ذلكَ قرعٌ لبابِ الفتنةِ ، وأنَّ ذلكَ سينتشرُ في آخرِ الزمانِ الذي هوَ موسمُ الفتنِ ومَظِنَّتُها بوعدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وانظرْ إلىٰ تشديدِهِ وقولِهِ : (لو وُلِّيتُ مِنْ أمرِهِ ما وُلِّيتَ . . لضربتُ عنقَهُ) .

فمثلُ أولئكَ السادةِ الأكابرِ الذينَ شاهدوا الوحيَ والتنزيلَ ، واطَّلعوا على أسرارِ الدِّينِ وحقائقِهِ ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أحدِهِما: «لَوْ لَمْ أُبْعَثْ . . لَبُعِثْتَ يَا عُمَرُ » (1) ، وقالَ في الثاني : « أَنَا مَدِينَةُ ٱلْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا » (1) . . يزجرونَ السائلَ عن مثلِ هلذا السؤالِ ، ثمَّ يزعمُ مَنْ بعدَهُم مِنَ المشغوفينَ بالكلامِ والمجادلةِ ، وممَّنْ لو أنفقَ ما في الأرضِ جميعاً ما بلغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نصيفَهُ (2) . . أنَّ الحقَّ والصوابَ قَبُولُ هلذا السؤالِ ، والخوضُ ولا نصيفَهُ (2) . . أنَّ الحقَّ والصوابَ قَبُولُ هلذا السؤالِ ، والخوضُ

⁽١) رواه بنحوه أحمد في « فضائل الصحابة » (٦٧٦) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٧٢/٧) .

⁽٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (١٢٦/٣) ، والطبراني في « الكبير » (٥٥/١١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وانظر « كشف الخفاء » (٢٠٣/١ _ ٢٠٥) .

⁽٣) كما في الحديث الذي رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) عن سيدنا أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه .

في الجوابِ ، وفتحُ هلذا البابِ ، ثمَّ يعتقدُ فيهِ أنَّهُ مُحِقٌّ ، وفي عمرَ وعليّ رضي اللهُ عنهُما أنَّهُما مبطلانِ !!

هيهات هيهات! ما أبعدَ عنِ التحصيلِ وما أخلى عنِ الدِّينِ مَنْ قاسَ الملائكةَ بالحدَّادينَ (١) ، بل رَجَّحَ المجادلينَ على الأثمةِ الراشدينَ والسلفِ الصالحينَ!!

(\$) (\$) (\$)

فإذاً ؛ قد عُرِفَ على القطعِ أنَّ هاذه بدعةٌ مخالفةٌ لسنةِ السلفِ ، لا كخوضِ الفقهاءِ في التفاريعِ والتفاصيلِ ؛ فإنَّ ذلكَ وإن كانَ مُحدَثاً . . فليسَ مخالفاً سنَّةَ السلفِ ؛ فما نُقِلَ عنهُمْ زجرٌ عنِ الخوضِ فيه ، بل إمعانُهُم في الخوضِ في مسائلِ الفرائضِ عرَّف جوازَ الخوض .

وأمَّا ما أُبدِعَ مِنْ فنونِ المجادلاتِ . . فهيَ بدعةٌ مذمومةٌ عندَ أهلِ التحصيلِ ، ذكرنا وجهَ ذمِّها في كتابِ (قواعدِ العقائدِ) مِنْ كتبِ « إحياءِ علوم الدِّينِ » (٣) .

⁽۱) انظر (ص ۹۸).

⁽٢) ومع هذا فقد حدَّ الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ من التفاريع البعيدة في علم الكلام ، فقال في «الإحياء» (٢١٠/١): (فأما الخلاف المحض ، ومجادلة الكلام ، ومعرفة التفريعات الغريبة . . فلا يزيد التجرُّد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوةٌ في القلب ، وغفلة عن الله تعالىٰ ، وتمادياً في الضلال ، وطلباً للجاه ، إلا من تداركه الله تعالىٰ برحمته ، أو مزج غيره من العلوم الدينية) .

وأمَّا مناظراتُهُم إن كانَ القصدُ منها التعاونَ على البحثِ عن مآخذِ الشرعِ ومداركِ الأحكامِ . . فهي سنَّةُ السلفِ ؛ فلقد كانوا يتشاورونَ ويتناظرونَ في المسائلِ الفقهيَّةِ ؛ كما نُقِلَ في مسألةِ الجدِّ (۱) ، وميراثِ الأمِّ معَ الزوج والأبِ (۱) ، ومسائلَ سواها .

نعم ؛ إن أبدعوا ألفاظاً وعباراتٍ للتنبيهِ على مقاصدِهِمُ الصحيحةِ . فلا حرجَ فيها ، بل هي مباحةٌ لمَنْ يستعيرُها ويستعملُها (٣) ، وإن كانَ مقصدُهُمُ الإفحامَ دونَ الإعلامِ ، والإلزامَ دونَ الاستعلامِ . فذلك بدعةٌ مذمومةٌ على خلافِ السنّةِ المأثورةِ .

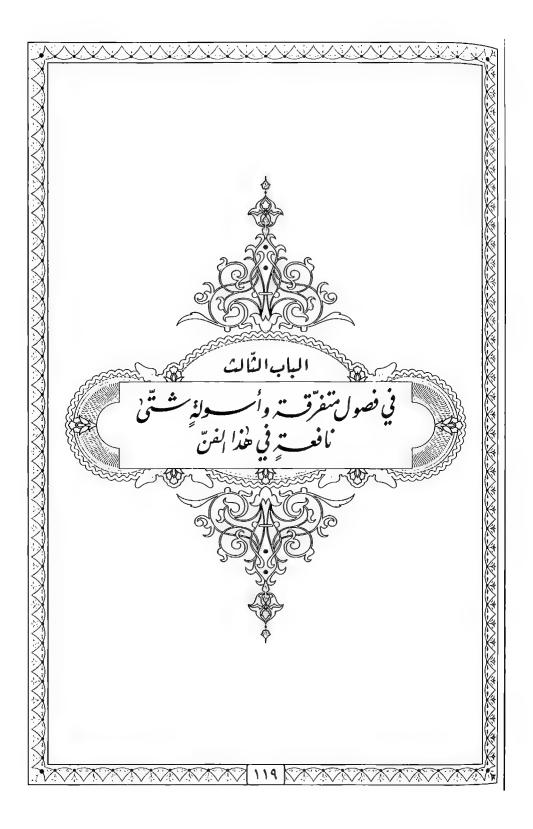
※ ※ ※

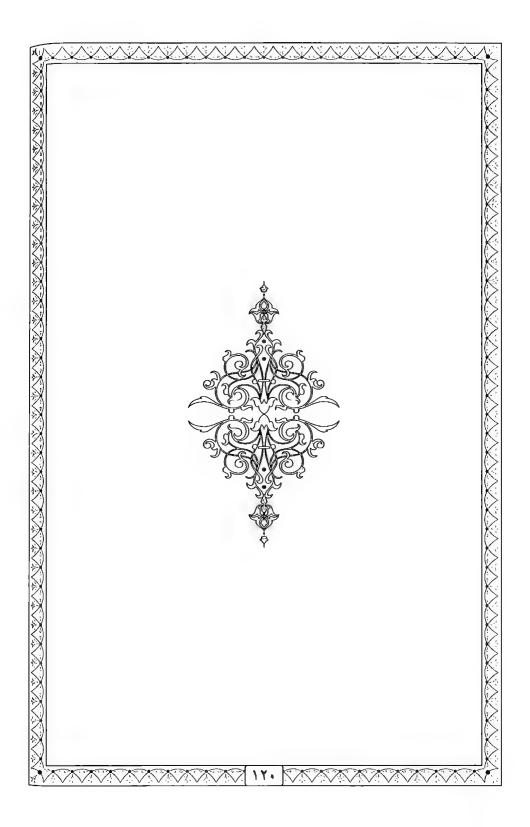
أكثر مما يمهِّده ، وما يفسده أكثر مما يصلحه ، بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمِدقّة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكتنز أجزاؤها ، وربما يفتِّتها ذلك ويفسدها ، وهو الأغلب ، والمشاهدة تكفيك في هذا بياناً ، فناهيك بالعِيان برهاناً . . .) .

⁽١) أهو كالأب فيحجب الإخوة ، أو أنه ذو حكم خاصّ فيأخذ أحسن الأحوال ؟

⁽٢) فلم يفرضوا لها الثلث مطلقاً ، بل ثلث ما يبقى بعد فرض الزوج .

⁽٣) يعني : وإن كانت من صناعة غير المتديِّنين ؛ كالجوهر والعرض اللذين أنكر استعمالهما في عهد السلف .





الباب النّالث في فصول منفرّقت وأسسولنٍ مشتىٰ نافعتٍ في هذا _الفنّ

إن قالَ قائلٌ: ما الذي دعا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ إطلاقِ هاذهِ الألفاظِ المُوهِمةِ معَ الاستغناءِ عنها ؟ أكانَ لا يدري أنَّهُ يُوهِمُ التشبية ، ويُغْلِطُ الخَلْق ، ويسوقُهُم إلى اعتقادِ الباطلِ في ذاتِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ ، وحاشا منصبَ النبوَّةِ أن يخفىٰ عليهِ ذلك ؟ أو عَرَفَ للكنْ لم يبالِ بجهلِ الجُهَّالِ وضلالةِ الضُّلَّالِ ؟ وهاذا أبعدُ وأشنعُ ؛ لأنَّهُ بُعِثَ شارعاً شارحاً ، لا مُبهِماً مُلَبِساً مُلْغِزاً.

فهاذا إشكالٌ لهُ وقعٌ في القلوبِ ؛ حتى جرَّ بعضَ الخَلْقِ إلىٰ سوءِ الاعتقادِ فيهِ ، فقالوا : لو كانَ نبيّاً . . لعَرَفَ اللهَ تعالىٰ ، ولو عرفَهُ . . لَمَا وصفَهُ بما يستحيلُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ !! (١١) .

ومالَتْ طائفةٌ أُخرى إلى اعتقادِ الظواهرِ ؛ فقالوا : لو لم يكُنْ حقّاً . . لَمَا ذكرَهُ كذلكَ مطلَقاً ، ولَعَدَلَ عن هذهِ الألفاظِ إلىٰ غيرها ، أو قَرنَها بما يزيلُ الإيهامَ عنها !! (٢٠) .

⁽١) وهاذا قول فلاسفة الزندقة ممَّن أظهر الإسلام وأخفى اعتقاده الخبيث . وكذَّلك الطاعنون في النبوات .

⁽٢) وهو قول عموم المشبِّهة الإسلاميين ؛ كالكرَّامية ومشبهة الحنابلة .

فما سبيلُ حلِّ هاذا الإشكالِ العظيمِ وقعُهُ في القلوبِ ، الذي تَحيكُ حَسِيكتُهُ في الصدورِ ؟ (١).

والجوابُ: أنَّ هاذا الإشكالَ منحَلٌّ عندَ أهل البصيرةِ.

وبيانُهُ: أنَّ هاذهِ الكلماتِ ما جمعَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وما ذكرَها دَفعة واحدة ، وإنَّما جمعَها المائلونَ إلى التشبيهِ ، وقد بيَّنا أنَّ لجمعِها مِنَ التأثيرِ في الإيهامِ ، والتلبيسِ على الأفهامِ . . ما ليسَ لآحادِها المُفرَّقةِ (٢) ، وإنَّما هيَ كلماتُ لَهِجَ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جميعِ عمرِهِ في أوقاتٍ متباعدةٍ .

وإذا اقتُصِرَ منها على ما في القرآنِ والأخبارِ المتواترةِ . . رجعَتْ إلى كلماتٍ يسيرةٍ معدودةٍ ، وإن أُضيفَتْ إليها الأخبارُ الصحيحةُ . . فهي أيضاً قليلةٌ ، وإنّما كثرَتْ بالرواياتِ الشاذّةِ البعيدةِ الضعيفةِ التي لا يجوزُ الالتفاتُ إليها .

ثم ما تواتر منها أو صحّ نقلُها عن العدول . فهي آحادُ كلمات ، وما ذَكر صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم كلمةً منها إلَّا معَ قرائنَ وإشاراتٍ ورموز تزيلُ عنها إيهامَ التشبيهِ ، أدركها الحاضرونَ المشاهدونَ ، فإذا نُقِلَتِ الألفاظُ مُجرَّدةً عن تلكَ القرائنِ . . ظهرَ الإيهامُ .

⁽١) الحَسيكة: العداوة والحقد.

⁽٢) تقدم (ص ٨٥) .

وأعظمُ القرائنِ في زوالِ الإيهامِ: المعرفةُ السابقةُ بتقديسِ اللهِ تعالىٰ عن قَبُولِ معاني هاذهِ الظواهرِ (١) ، ومَنْ سبقَتْ معرفتُهُ بذلك . . كانَتْ تلكَ المعرفةُ ذخيرةً لهُ ، راسخةً في نفسِهِ ، مقارنةً لكلِّ ما يسمعُ ، فينمحتُ بها الإيهامُ انمحاقاً لا يُشَكُّ فيهِ ، ويُعرَفُ هاذا بأمثلةِ :

الأوَّلُ: أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سمَّى الكعبةَ بيتَ اللهِ تعالىٰ (۲) ، وإطلاقُ هاذا يُوهِمُ عندَ الصبيانِ وعندَ مَنْ تقرُبُ درجتُهُ منهُم . . أنَّ الكعبةَ وطنهُ ومثواهُ ومُستقرُّهُ ، للكنِ العوامُّ الذينَ اعتقدوا أنَّهُ في السماءِ وأنَّ استقرارَهُ على العرشِ . . ينمحقُ في حقِّهِم هاذا الإيهامُ علىٰ وجهٍ لا يشكُّونَ فيهِ .

فلو قيل لهُم: ما الذي دعا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ اللهُ إلى إطلاقِ هاذا اللفظِ المُوهِمِ المُخيِّلِ إلى السامعِ أنَّ الكعبة مسكنهُ ووطنهُ . . لبادروا بأجمعِهِم وقالوا : إنَّما يُوهِمُ هاذا في حقِّ الصبيانِ والحمقى ، وأمَّا مَنْ تكرَّرَ علىٰ سمعِهِ أنَّ الله مُستقِرُّ على العرشِ . . فلا يَشُكُّ عندَ سماعِ هاذا اللفظِ أنَّهُ ليسَ المرادُ بهِ على العرشِ . . فلا يَشُكُُ عندَ سماعِ هاذا اللفظِ أنَّهُ ليسَ المرادُ بهِ أنَّ البيتَ مسكنهُ ومأواهُ ، بل يعلمُ على البديهةِ أنَّ المرادَ بهاذهِ الإضافةِ نوعٌ مِنَ التشريفِ ، أو معنى آخرُ سوىٰ ما وُضِعَ لهُ لفظُ البيتِ المضافِ إلى ربّهِ وساكنِهِ .

⁽١) مثل (سورة الإخلاص) ، ومثل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَنْهِدِ ثَنَهٌ ۞ ﴾ ، وهاذه الدلائل النقلية العقلية جمعها الإمام الرازي في « التأسيس » (ص ٥٩ - ٧٣) .

⁽٢) الإضافة هنا بقصد التشريف ، ومثله : ناقة الله .

أليسَ كانَ اعتقادُهُ (١) أنَّهُ على العرشِ قرينةً أفادَتْهُ علماً قطعياً بأنَّهُ ما أُريدَ بكونِ الكعبةِ بيتَهُ أنَّهُ مأواهُ ؟ وأنَّ هلذا إنَّما يُوهِمُ في حقّ مَنْ لم يَسبِقْ إلى هلذهِ العقيدةِ ؟!

فكذالكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم خاطبَ بهاذهِ الألفاظِ جماعةً سبقوا إلى علم التقديسِ ونفي التشبيهِ ، وأنَّهُ مُنزَّهٌ عنِ الجسميَّةِ وعوارضِها ، فكانَ ذلكَ قرينةً قطعيةً مزيلةً للإيهام ، لا يبقى معَها شكُّ وإن جازَ أن يبقى لبعضِهِم تردُّدٌ في تأويلِهِ وتعيينِ المرادِ بهِ مِنْ جملةِ ما يحتملُهُ اللفظُ ويليقُ بجلالِ اللهِ تعالىٰ (۱).

*

مثالٌ ثانٍ: إذا رَدَّدَ الفقيهُ في كلامِهِ لفظ (الصورةِ) بينَ يدي الصبيّ أو العامّيّ؛ فقالَ: صورةُ هاذهِ المسألةِ كذا، وصورةُ هاذهِ الواقعةِ كذا، ولقد صوَّرتُ المسألةَ صورةً في غايةِ الحسنِ.. ربَّما توهَّمَ الصبيُّ أو العامّيُّ الذي لا يفهمُ معنى المسألةِ أنَّ المسألةَ شيءٌ لهُ صورةٌ، وفي تلكَ الصورةِ أنف فهمُ وعينٌ؛ على ما عرفهُ واشتَهَرَ عندَهُ مِنْ معنى الصورةِ المعروفةِ.

أمَّا مَنْ عرف حقيقة المسألةِ ، وأنَّها عبارةٌ عن علوم مُرتَّبةٍ

⁽١) في (ب، ه): (فقد كان اعتقاد هذا العامي).

⁽٢) قال الإمام الرازي في « تأسيس التقديس » (ص ٢٣٦) : (إِنَّ العوامُّ يعسر عليهم إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيِّز ، فورد القرآن بكلام ظاهره هنذا ، حتى إذا مال العوامُّ إليه . . رأوه مخلوطاً بكلام آخر يفيد التنزيه ، فيعتقدونه ، والله أعلم) .

ترتيباً مخصوصاً . . فهل يُتصوَّرُ أن يتوهَّمَ للمسألةِ عيناً وأنفاً وفماً وصورةً مِنْ جنسِ صورِ الأجسام ؟!

هيهات !! بل يكفيته معرفتُهُ بأنَّ المسألة مُنزَّهةٌ عنِ الجسميةِ وعوارضِها .

فكذلك معرفة نفي الجسمية عن حقيقة الإللهيَّة وتقديسِها عنها يكونُ قرينةً في قلبِ كلِّ مستمع مفهمةً لمعنى الصورة في قولِهِ: « خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ » (١) ، ويتعجَّبُ العارفُ بتقدُّسِهِ عنِ الجسميَّةِ ممَّنْ يتوهَّمُ للهِ تعالى الصورة الجسمانيَّة كما يتعجَّبُ ممَّنْ يتوهَّمُ للمسألةِ والواقعةِ صورةً جسمانيَّةً!

* * *

مثالٌ ثالثٌ: إذا قالَ القائلُ بينَ يدي الصبيّ: بغدادُ في يدِ الخليفةِ ، وأنَّهُ قدِ الخليفةِ . ربَّما ظنَّ وتوهَّمَ أنَّ بغدادَ في أصابِعِ الخليفةِ ، وأنَّهُ قدِ احتوىٰ عليها ببراجِمِهِ كما يحتوي علىٰ حَجَرَةٍ ومَدَرَةٍ (٢) ، وكذلكَ كلُّ عامِّيّ لم يَفهَم المرادَ بلفظِ بغدادَ .

أمَّا مَنْ علمَ أَنَّ بغدادَ عبارةٌ عن بلدةٍ كبيرةٍ واسعةِ الأكنافِ . . فلا يُتصوَّرُ أن يخطُرَ لهُ ذلكَ بالبالِ أو يُتوهَّمَ ، وهل يُتصوَّرُ أن يعترِضَ على قائلِهِ ويقولَ لهُ : لِمَ قلتَ : (بغدادُ في يدِ الخليفةِ)

⁽١) تقدم تخريجه (ص ٥٣) ، وانظر تفسير (الصورة) في « تأسيس التقديس » (ص ١٢١) ، وكيف يكون له صورة حقيقية وهو المُصوّر سبحانه ؟!

 ⁽٢) البراجم: جمع بُرُجُمة ؛ وهي رؤوس السلاميات من ظهر الكف ، أو المفصل الظاهر من مفاصل اليد ، والمَدَرة : قطعة طين يابسة .

وهاذا يفضي إلى الجهلِ ، ويُوهِمُ خلافَ الحقِّ حتىٰ يُعتقدَ أنَّ بغدادَ بينَ أصابعِهِ ؟!

بل لوِ اعترضَ بهاذا . . لقيلَ لهُ : يا سليمَ القلبِ ؟ هاذا إنَّما يُوهِمُ الجهلَ عندَ مَنْ لا يعرفُ حقيقةَ بغدادَ ، أمَّا مَنْ يعلمُهُ . . فبالضرورةِ يعلمُ أنَّهُ ما أُريدَ بهاذهِ اليدِ العضوُ المُشتمِلُ على الكفِّ والأصابع ، بل معنى آخرُ ، ولا يُحتاجُ في فهمِهِ إلىٰ قرينةٍ سوىٰ هاذهِ المعرفةِ .

فكذلك جميع الألفاظ المُوهِمةِ في الأخبارِ تكفي في دفع إيهامِها قرينةٌ واحدةٌ ؛ وهي معرفةُ اللهِ تعالى ، ومعرفةُ أنّهُ ليسَ بجسمٍ ، وليسَ مِنْ جنسِ الأجسامِ ، وهاذا ممّا افتتحَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ ببيانِهِ في أوّلِ بعثتِهِ قبلَ النطقِ بهاذهِ الألفاظ .

مثالٌ رابعٌ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في نسائِهِ: « أَطُولُكُنَّ يَداً أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي » (١) ، فكانَ بعضُ نسائِهِ تتعرَّفُ الطُّولَ بالمِساحةِ ووضعِ اليدِ على اليدِ ، حتى ذُكِرَ لَهُنَّ أَنَّهُ أرادَ الطُّولَ بالمِساحةَ والجودَ دونَ طُولِ العضوِ ، وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ بذلكَ السماحةَ والجودَ دونَ طُولِ العضوِ ، وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذكرَ هاذهِ اللفظةَ معَ قرينةٍ أفهمَ بها إرادةَ الجودِ بالتعبيرِ عليهِ وسلَّمَ ذكرَ هاذهِ اللفظةَ معَ قرينةٍ أفهمَ بها إرادةَ الجودِ بالتعبيرِ

⁽١) رواه مسلم (٢٤٥٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، والمقصودة هي سيدتنا زينب رضي الله عنها ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق كما في تمام الرواية .

بطُولِ اليدِ عنهُ ، فلمَّا نُقِلَ اللفظُ مُجرَّداً عن قرينتِهِ . . حصلَ منهُ الإيهامُ .

فهل كانَ لأحدِ أن يَعترِضَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في إطلاقِهِ لفظاً جَهِلَ بعضُهُم معناهُ ؟! إنَّما ذٰلكَ لأنَّهُ أُطلِقَ إطلاقاً مُفهِماً في حقِّ الحاضرينَ مقروناً مثلاً بذكر السخاوةِ .

والناقلُ قد ينقلُ اللفظَ كما سمعَهُ ولا ينقلُ القرينةَ ، أو كانَ بحيثُ لا يمكنُ نقلُها ، أو ظنَّ أنَّهُ لا حاجةَ إلىٰ نقلِها وأنَّ مَنْ سمعَ ذلكَ يفهمُهُ كما فهمَهُ هوَ لمَّا سمعَهُ ، وربَّما لا يشعرُ أنَّ فهمَهُ إنَّما كانَ بسببِ القرينةِ ، فاقتصرَ علىٰ نقلِ اللفظِ .

فبمثلِ هاذهِ الأسبابِ بقيَتِ الألفاظُ مُجرَّدةً عن قرائنِها ، فقصرَتْ عنِ التفهيمِ ، معَ أنَّ قرينةَ معرفةِ التقديسِ بمُجرَّدِها كافيةٌ في نفي الإيهامِ وإن كانتُ ربَّما لا تكفي في تعيينِ المعنى المرادِ بهِ ، فهاذهِ الدقائقُ لا بدَّ مِنَ التنبُّهِ لها .

مثالٌ خامسٌ: إذا قالَ القائلُ بينَ يدي الصبيِّ ومَنْ يقربُ مِنْ درجتِهِ ممَّنْ لم يمارسِ الأحوالَ ولا عرفَ العاداتِ في المجالساتِ: فلانٌ دخلَ المجمعَ وجلسَ فوقَ فلانٍ . . يُوهِمُ السامعَ الغبيَّ أنَّهُ جلسَ علىٰ رأسِهِ ، أو علىٰ مكانٍ فوقَ رأسِهِ !!

ومَنْ عرفَ العاداتِ وعَلِمَ أنَّ ما هوَ أقربُ إلى الصدرِ أعلىٰ في

الرتبةِ ، وأنَّ الفوقَ عبارةٌ عنِ العلقِ . . يفهمُ منهُ أنَّهُ جلسَ بجنبِهِ لا فوقَ رأسِهِ ، وللكنَّهُ جلسَ أقربَ إلى الصدرِ .

فالاعتراضُ على مَنْ خاطبَ بهاذا الكلامِ أهلَ المعرفةِ بالعاداتِ مِنْ حيثُ إنَّهُ يجهلُ بهِ الصبيانُ أوِ الأغبياءُ . . اعتراضٌ باطلٌ لا أصلَ لهُ .

وأمثلةُ ذلك كثيرةٌ لا تتناهى ، ومَنْ لم يقنعْ باليسيرِ . . لا يزيدُهُ الكثيرُ إلَّا عِيّاً وجهلاً .

8

فقد فهمت على القطع بهاذه الأمثلة : أنَّ هاذه الألفاظ الصريحة انقلبَتْ مفهوماتُها عن أوضاعِها الصريحة بمُجرَّد قرينة ، ورجعَتْ تلكَ القرائنُ إلى معارف سابقة ومقترنة (١١) ، فكذلك هاذه الظواهر المُوهِمةُ انقلبَتْ عنِ الإيهامِ بسببِ تلكَ القرائنِ الكثيرة التي بعضُها هي المعارف ، والواحدُ منها معرفتُهُم بأنَّهُم لم يُؤمَروا بعبادةِ الأصنامِ ، وأنَّ مَنْ عَبَدَ جسماً . . فقد عبدَ صنماً ؛ سواءٌ كانَ الجسمُ صغيراً أو كبيراً ، قبيحاً أو جميلاً ، سافلاً أو عالياً ، على الأرض أو على العرش .

وكانَ نفيُ الجسميَّةِ ونفيُ لوازمِها معلوماً لكافَّتِهِم على الضرورةِ بإعلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والمبالغةِ في

⁽١) هالـٰذه القرينة تارة تكون عقلية ، وتارة تكون لغوية ، وهي شتَّىٰ ، وتارة عُرفية .

التنزيه ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيَّةٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿ ﴾ ، ولقولِهِ : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ صُعُفًا أَحَدُ ۞ ﴾ ، وقولِهِ سبحانَهُ : ﴿ فَلَا جَعَلُواْ بِلَهِ أَندَاذًا وَأَنتُمْ تَعَلَمُونَ ۞ ﴾ (١) ، وبألفاظ كثيرةٍ لا حصرَ لها معَ قرائنَ قاطعةٍ لا يمكنُ حكايتُها ، وعُلِمَ ذلكَ علماً لا ريبَ فيهِ .

فكانَ ذٰلكَ كافياً في تعريفِهِمُ استحالةً يدٍ هيَ عضوٌ مُركَّبٌ مِنْ لحمٍ وعظمٍ ، أو مِنْ جسمٍ آخرَ غيرِهِ ، وكذا في سائرِ الظواهرِ بأنّها لا تدلُّ إلَّا على الجسميَّةِ وعوارضِها لو أُطلِقَتْ على جسمٍ ، فإذا أُطلِقَتْ على جسمٍ ، فإذا أُطلِقَتْ على غيرِ الجسمِ . عُلِمَ ضرورةً أنّهُ ما أُريدَ بهِ ظاهرُهُ ، بل معنى آخرُ ممّا يجوزُ على اللهِ تعالىٰ ، ربّما يتعيّنُ ذٰلكَ المعنىٰ ، وربّما لا يتعيّنُ ذٰلكَ المعنىٰ ، وربّما لا يتعيّنُ ذٰلكَ المعنىٰ .

فإن قيلَ : فلِمَ لم يذكرُها بألفاظٍ ناصَّةٍ عليها ؛ بحيثُ لا يُوهِمُ ظاهرُها جهلاً ، لا في حقِّ العامِّيِّ ولا في حقِّ العامِّيِّ ولا في حقِّ الصبيِّ والغبيِّ ؟

قلنا: لأنَّهُ إنَّما كَلَّمَ الناسَ بلغةِ العربِ ، وليسَ في لغةِ العربِ ألفاظٌ ناصَّةٌ على تلكَ المعانى (٣).

⁽۱) وجه الاستدلال بالأوليين ظاهر ، وهما آيتان مكِيَّتان ، والثالثة مدنية ، فالاستدلال بها على ثبوت التنزيه ابتداءً بعيلًا ، ولكن على تأكيده ، ووجهه كما في « تأسيس التقديس » (∞ (∞) : أن الندَّ المثل ، فلو كان تعالىٰ جسماً . . لكان مِثلاً للأجسام ؛ لأنها كلَّها متشاركة في الماهية . (∞) تقدم الحديث على أنه متى يكون ذلك المعنى واجب التعيين أو جائزه (∞ ∞) .

⁽٣) وهي أثرى اللغات ، فكيف بغيرها ؟!

وكيفَ يكونُ في اللغةِ لها نصوصٌ وواضعُ اللغةِ لم يفهمْ تلكَ المعانى ؟!

وكيفَ وضعَ لها النصوصَ ؟!

بل هي معانٍ أُدرِكَتْ بنورِ النبوَّةِ خاصَّةً ، أو بنورِ العقلِ بعدَ طولِ النظرِ والبحثِ ، وذلكَ أيضاً في بعضِ تلكَ الأمورِ لا في كلِّها .

فلمّا لم يكُنْ لها عباراتُ موضوعةُ .. كانَتِ استعارةُ الألفاظِ مِنْ موضوعاتِ اللغةِ ضرورةً في حتِّ كلِّ ناطقِ بتلكَ اللغةِ ، كما أنّا لا نستغني عن أن نقولَ : صورةُ هلذهِ المسألةِ كذا ، وهيَ تخالفُ صورةَ المسألةِ الأخرىٰ ، وهيَ مستعارةٌ مِنَ الصورةِ الجسمانيَّةِ ، ولاكنْ واضعُ اللغةِ لم يضعْ لهيئةِ المسألةِ وخصوصِ ترتيبها اسمأ نضاً ؛ إمّا لأنّهُ لم يفهمِ المسألةَ وحقيقتَها ، أو فهمَها وللكنّهُ لم يحضرهُ ، أو حضرهُ للكنّهُ لم يضعْ لها لفظاً خاصاً ؛ اعتماداً علىٰ يحضرهُ ، أو حضرة ولأنّهُ عَلِمَ أنّهُ عاجزٌ عن أن يضعَ لكلِّ معنى إمكانِ الاستعارةِ ، ولأنّهُ عَلِمَ أنّهُ عاجزٌ عن أن يضعَ لكلِّ معنى لفظاً خاصاً ؛ لأنّ المعانيَ غيرُ متناهيةِ العددِ ، والموضوعاتِ الضرورةِ يجبُ أن تتناهىٰ ، فتبقىٰ معانٍ لا نهايةَ لها يجبُ أن بالضرورةِ يجبُ أن تتناهىٰ ، فتبقىٰ معانٍ لا نهايةَ لها يجبُ أن يُستعارَ اسمُها مِنَ الموضوعِ ، فاكتُفِيَ بوضعِ البعضِ ، وسائرُ اللغاتِ أشدٌ قصوراً مِنْ لغةِ العربِ .

فهاذا وأمثالُهُ مِنَ الضرورةِ يدعو إلى الاستعارةِ لِمَنْ يتكلَّمُ بلغةِ قوم ؛ إذ لا يمكنُهُ أن يخرجَ عن لغتِهِم ، كيفَ ونحنُ نُجوِّزُ

الاستعارة حيث لا ضرورة اعتماداً على القرائن ؟! فإنّا لا نُفرّقُ بينَ أن يقولَ : جلسَ أن يقولَ القائلُ : جلسَ زيدٌ فوقَ عمرو ، وبينَ أن يقولَ : جلسَ أقربَ منه إلى الصدرِ ، وأنّ بغدادَ في ولايةِ الخليفةِ ، أو في يدِهِ ، إذا كانَ الكلامُ معَ العقلاءِ ، وليسَ في الإمكانِ حفظُ الألفاظِ عن أوهامِ الصبيانِ والجُهّالِ ، والاشتغالُ بالاحترازِ عن ذلكَ ركاكةٌ في الكلام ، وسخافةٌ في العقلِ ، وثقلٌ في اللفظِ .

فإن قيلَ: فلِمَ لم يَكشِفِ الغطاءَ عن ذاتِ الإلهِ ولم يَقُلْ: إنّه موجودٌ ليسَ بجسمٍ ولا جوهرٍ ولا عَرَضٍ ، ولا هوَ داخلَ العالَمِ ولا خارجَهُ (١) ، ولا هوَ متصلٌ ولا منفصلٌ ، ولا هوَ في مكانِ ولا هوَ في جهةٍ ، بلِ الجهاتُ كلّها خاليةٌ عنهُ ؟! فهاذا هوَ الحقُّ عندَ قومٍ ، والإفصاحُ عنهُ كذلكَ كما أفصحَ عنهُ المُتكلّمونَ ممكنٌ ، ولم يكن في عبارتِهِ صلواتُ اللهِ عليهِ قصورٌ ، ولا في رغبتِهِ في كشفِ الحقِّ فتورٌ ، ولا في معرفتِهِ نقصانٌ ؟

قلنا: مَنْ رأى هاذا حقيقة الحقِّ . . اعتذرَ بأنَّ هاذا لو ذكرَهُ لنفرَ الناسُ عن قَبُولِهِ ، ولبادروا بالإنكارِ وقالوا: هاذا عينُ المحالِ !! ووقعوا في التعطيلِ ، ولا خيرَ في المبالغةِ في تنزيهِ ينتجُ التعطيلَ في حقِّ الكافَّةِ إلَّا الأقلِينَ ، وقد بُعِثَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

⁽۱) انظر « الإحياء » (٢٦٥/٩) ، و« الاقتصاد » (ص ١٦٤) ، و« مشكاة الأنوار » (ص ٨٩) حول هاذه العبارة .

وسلَّمَ داعياً للخَلْقِ إلى سعادةِ الآخرةِ رحمةً للعالَمينَ ، فكيفَ ينطِقُ بما فيهِ هلاكُ الأكثرينَ ؟! بل أُمِرَ ألَّا يُكلِّمَ الناسَ إلَّا علىٰ قَدْرِ عقولِهِم ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حَدَّثَ ٱلنَّاسَ بِحَدِيثٍ لَا يَفْهَمُونَهُ . . كَانَ فِتْنَةً عَلَىٰ بَعْضِهِمْ » (١) ، أو لفظاً هاذا معناهُ .

فإن قيل : إن كان في المبالغة في التنزيهِ خوفُ التعطيلِ بالإضافة إلى البعضِ . . ففي استعمالِ الألفاظِ المُوهِمةِ خوفُ التشبيهِ بالإضافةِ إلى البعض!!

قلنا: بينَهُما فرقٌ مِنْ وجهينِ:

أحدُهُما : أنَّ ذٰلكَ يدعو إلى التعطيلِ في حقِّ الأكثرينَ ، وهــٰذا يدعو إلى التشبيهِ في حقِّ الأقلِينَ .

وأهونُ الضررينِ أولى بالاحتمالِ ، وأعممُ الضررينِ أولىٰ بالاجتناب .

والثاني: أنَّ علاجَ وَهْمِ التشبيهِ أسهلُ مِنْ علاجِ التعطيلِ ؛ إذ يكفي أن يُقالَ معَ هاذهِ الظواهرِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَنَيْ اللهُ ﴾ ، وأنَّهُ ليسَ بجسم ولا هوَ مثلُ الأجسام .

⁽١) رواه العقيلي في « الضعفاء » (٩٣٧/٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو عند الديلمي في « الفردوس » (٥٦٤٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر « المقاصد الحسنة » (١٨٠) ، وفيه الأثر المشهور : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نُنزل الناس منازلهم ، ونكلمهم علىٰ قدر عقولهم » ، وروى البخاري (١٢٧) عن سيدنا على رضي الله عنه : (حدِّثوا الناس بما يعرفون ؛ أتحبُّون أن يُكَدَّب الله ورسوله ؟!) .

وأمَّا إثباتُ موجودٍ في الاعتقادِ على ما ذكرناهُ مِنَ المبالغةِ في التنزيهِ . . شديدٌ جدًا ، بل لا يقبلُهُ واحدٌ مِنَ الألفِ ؛ لا سيَّما الأمَّةِ الأميَّةِ العربيةِ .

فإن قيلَ: فعجزُ الناسِ عنِ الفهمِ هل يُمهِّدُ عذرَ الأنبياءِ في أن يثبتوا في عقائدِهِم أموراً على خلافِ ما هيَ عليها ؛ ليثبُتَ في اعتقادِهِم أصلُ الإلهيَّةِ حتى توهَّموا ـ عندَهُم مثلاً ـ أنَّ اللهَ تعالىٰ مُستقِرٌ على العرشِ ، وأنَّهُ ساكنٌ في السماءِ ، وأنَّهُ فوقَهُم فوقيَّة المكانِ لا فوقيَّة الرتبةِ ؟

قلنا: معاذَ اللهِ أَن يُظَنَّ ذَلكَ أَو يُتوهَمَ بنبيِّ صادقٍ أَن يصفَ اللهَ تعالىٰ بغيرِ ما هوَ مُتَّصِفٌ بهِ ، وأَن يلقيَ ذَلكَ في اعتقادِ الخَلْق.

لا؛ بل تأثيرُ قصورِ الخَلْقِ . . في أن يذكرَ لهُم ما يُطيقونَ فهمَهُ ، ويكفّ عنهُم ما لا يفهمونَهُ ، فلا يُعرِّفُهُم بل يُمسِكُ عنهُم ، وإنّما يَنطِقُ بهِ معَ مَنْ يُطيقُهُ ويفهمُهُ ، ويحصلُ في ذلكَ علاجُ عجزِ الخَلْقِ وقصورِهِم ، ولا ضرورة في تفهيمِ خلافِ الحقّ قصداً ، لا سيّما في صفاتِ اللهِ تعالىٰ .

نعم ؛ بهِ ضرورةٌ في استعمالِ ألفاظِ مستعارةٍ ربَّما يَعْلَطُ الأغبياءُ في فهمِها ؛ وذلكَ لقصورِ اللغاتِ وضرورةِ المحاوراتِ .

فأمًّا تفهيمُ خلافِ الحقِّ قصداً إلى التجهيلِ . . فمحالٌ ؛ سواءٌ فُرِضَ فيهِ مصلحةٌ أو لم يُفرَضْ .

فإن قيل : قد جَهِلَ أهلُ التشبيهِ جهلاً يستندُ إلى ألفاظِهِ ، وعَلِمَ أَنَّ أَلفاظَهُ في الظواهرِ تفضي إلى جهلِهِم ورضيَ بهِ ، فمهما جاءَ بلفظٍ مُجهِّلٍ مُلبِّسٍ ورضيَ بهِ . . لم يفترقِ الحالُ بينَ أن يكونَ مُجرِّداً قصدَهُ إلى التجهيلِ وبينَ ألَّا يقصدَ التجهيلَ مهما حصلَ التجهيلُ وهوَ عالمٌ بهِ وراضِ !!

قلنا: لا نُسلِّمُ أنَّ جهلَ أهلِ التشبيهِ حصلَ بألفاظِهِ ، بل بتقصيرِهِم في كسبِ معرفةِ التقديسِ وتقديمِهِ على النظرِ في الألفاظِ ، ولو حصَّلوا تلكَ العلومَ التي كُلِّفوا بها وقدَّموها على البحثِ عنِ الألفاظِ . . لَمَا جهلوا ؛ كما أنَّ مَنْ حَصَّلَ علمَ التقديسِ . . لم يَجهَلُ عندَ سماعِهِ أنَّ الكعبةَ بيتُ اللهِ ، ومَنْ حصَّل العلمَ بحقيقةِ المسألةِ . . لم يَجهَلُ عندَ سماعِهِ أنَّ صورةَ المسألةِ كذا .

بلِ الواجبُ عليهِم: تحصيلُ هنذا العلمِ ، ثمَّ مراجعةُ العلماءِ إذا شكُّوا في ذلكَ ، ثمَّ كفُّ النفسِ عنِ التأويلِ ، وإلزامُها التقديسَ إذا رسمَ لهُمُ العلماءُ ذلكَ ، فإذا لم يفعلوا . جَهِلوا .

وعلمُ الشارع بأنَّ الناسَ مِنْ طباعِهِمُ الكسلُ والتقصيرُ والفضولُ

بالخوضِ فيما ليسَ مِنْ شأنِهِم . ليسَ رضاً بذلك ، ولا سعياً في تحصيلِ الجهلِ ، ولكنَّهُ رضاً بقضاءِ اللهِ تعالىٰ في قسمتِهِ وتقديرهِ ؛ حيثُ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّم مِنَ اللَّهِ يَعَالَىٰ وَيَ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ لَا أَمْلَأَنَّ جَهَنَّم مِنَ اللَّهِ يَقَالَ عالىٰ على الله وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّم مِنَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

وقــالَ تـعـالــيٰ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَبَودَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ ﴿ وَلَوْ شَآءً رَبُكَ لَامَنَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن تَحِمَ رَبُكَ وَلِلَاكَ خَلَقَهُمْ ﴿ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ شَآءً رَبُكَ لَامَنَ مَنْ فِي اللَّارَضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَا صَانَ لِنَفْسٍ أَن ثُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّهِ ﴾ .

فهاذا هوَ القهرُ الإلهيُّ في فطرةِ الخَلْقِ ، ولا قدرةَ للأنبياءِ في تغيير سنَّتِهِ التي لا تبديلَ لها .

* * *

؋ۻٚڹڮٳڰۼ

[في التفويضِ في النصوصِ المتشابهةِ]

لعلَّكَ تقولُ: الكفُّ عنِ السؤالِ والإمساكُ عنِ الجوابِ مِنْ أينَ يُغني وقد شاعَ في البلادِ هاذهِ الاختلافاتُ وظهرَتِ التعصُّباتُ ؟

فكيف سبيلُ الجوابِ إذا سُئِلَ عن هلذهِ المسائل ؟

قلنا: الجوابُ ما قالَهُ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ في مسألةِ الاستواءِ ؟ إذ قالَ: (الاستواءُ معلومٌ ، والكيفيَّةُ مجهولةٌ ، والإيمانُ بهِ واجبٌ ، والسؤالُ عنهُ بدعةٌ) (١) ، فنذكرُ هنذا الجوابَ في كلِّ مسألةٍ يسألُ عنها العوامُّ ؛ لينحسمَ سبيلُ الفتنةِ ولا يَقتحِمَ العوامُّ ورطةَ الخطر.

فإن قيلَ : فإذا قالَ القائلُ : ما قولُكُم في الاستواءِ والفَوْقِ واليدِ والإصبَع . . فبماذا نجيبُ ؟

قلنا: سبيلُ الجوابِ أَن يُقالَ: الحقُّ فيهِ ما قالَهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وقالَهُ اللهُ تعالى، وقد صدقَ حيثُ قالَ: ﴿ ٱلرَّحْرَنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿ ﴾ ، ونعلَمُ قطعاً أنَّهُ ما أرادَ الجلوسَ

⁽١) تقدم (ص ٥٩).

والاستقرارَ الذي هوَ صفةُ الأجسامِ ، ولا ندري ما الذي أرادَهُ ، ولم نُكلَّفْ معرفتَهُ .

وقد صدقَ حيثُ قالَ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۞ ﴾ ، وفوقيةُ المكانِ مُحالٌ ؛ فإنَّهُ كانَ قبلَ المكانِ ، وهوَ الآنَ على ما عليهِ كانَ .

وإذ لم يُرِدْ هلذا . . فما الذي أرادَهُ ؟!

فلسنا نَعرِفُهُ ، وليسَ علينا ولا عليكَ أيُّها السائلُ مَعرِفتُهُ .

وكذلك نقول : لا يجوزُ إثباتُ اليدِ والإصبَعِ مطلقاً ، بل يجوزُ النطقُ بما نطقَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على الوجهِ الذي نطقَ بهِ مِنْ غيرِ زيادةٍ ونقصانٍ ، وجمعٍ وتفريقٍ ، وتأويلٍ وتفسير كما سبقَ (١).

فنقولُ: صدقَ حيثُ قالَ: « خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ » (` ` وحيثُ قالَ: « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَانِ » (") ، فنؤمنُ بذلكَ ولا نزيدُ ولا نَنقُصُ ، وننقُلُ كما رُوِيَ ، ونقطَعُ بنفي العضوِ المُركَّبِ مِنَ اللحم والعصبِ والدم وسائرِ الأجسام .

وإذا قيلَ : القرآنُ قديمٌ أو مخلوقٌ ؟

⁽۱) تقدم (ص ٦٦).

⁽٢) تقدم تخريجه (ص ٥١).

⁽٣) تقدم تخريجه (ص٥١).

قلنا : هوَ غيرُ مخلوقِ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْقُرْآنُ كَلَامُ ٱللهِ غَيْرُ مَخْلُوقِ » (١١) .

فإن قيلَ : الحروفُ قديمةٌ أم لا ؟

قلنا في الجوابِ: هاذهِ المسألةُ لم يذكرُها الصحابةُ ولم يخوضوا فيها ، فالخوضُ فيها بدعةٌ ، فلا تسألوا عنها .

فإن بُلِيَ الإنسانُ في بلدةٍ غلبَتِ الحَشْويةُ فيها وكفَّروا مَنْ لا يقولُ بقدمِ الحروفِ . . فيقولُ المُضطرُّ إلى الجوابِ : إن عنيتَ بالحروفِ نفسَ القرآنِ . . فالقرآنُ قديمٌ ، وإن أردتَ بهِ غيرَ القرآنِ وصفاتِ اللهِ تعالى وصفاتِهِ محدثٌ ، ولا يزيدُ عليهِ ؟ لأنَّ تفهيمَ العوامِّ حقيقةَ هاذهِ المسألةِ عَسِرٌ حدًا (٢) .

فإن قالوا: فقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنَ اللهُ عليهِ وسلَّمَ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنَ الْقُرْآنِ . . فَلَهُ كَذَا » (٣) ، فأثبتَ الحروفَ للقرآنِ ، ووصفَ القرآنَ بأنَّهُ غيرُ مخلوقِ ، فيلزمُ منهُ أنَّ الحروفَ قديمةٌ !!

⁽١) هو عند الديلمي في « الفردوس » (٢٦٦٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٧٦٧) .

⁽٢) لأنها مؤسسة على التفريق بين الكلام النفسي _ الذي هو صفة الحقّ تعالى _ وبين لفظ القرآن الذي هو حادث قطعاً ، وما قاله العضد رحمه الله تعالى بأن حروف القرآن حروف قديمة لا تقبل الترتُّب . . لم يعتمده جمهور أهل السنة .

⁽٣) كما روى الترمذي (٢٩١٠) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ حرفاً من كتاب الله . . فله به حسنة » .

قلنا: لا نزيدُ على ما قالَهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم؛ وهوَ أَنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ ، فهاذهِ مسألةٌ ، وأنَّ في القرآنِ حروفاً ، وهناذهِ مسألةٌ ثانيةٌ ، أمَّا أنَّ الحروف قديمةٌ . . فهاذهِ مسألةٌ ثالثةٌ ولم تَرِدْ ، فلا نقولُ بهِ ، ولا نزيدُ علىٰ ما قالَهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم .

فإن زعم : أنَّهُ يلزمُ مِنَ المسألتينِ السابقتينِ هاذهِ المسألةُ الثالثةُ .

قلنا: هاذا قياسٌ وتفريعٌ ، وقد بيَّنا أنَّهُ لا سبيلَ إلى القياسِ والتفريع (١) ، بل يجبُ الاقتصارُ على ما وردَ مِنْ غيرِ تفريع .

وكذلكَ إذا قالوا: عربيةُ القرآنِ قديمةٌ ؛ لأنَّهُ قالَ: القرآنُ قديمٌ ، وقالَ تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ۞ ﴾ فالعربيُّ قديمٌ !!

فنقولُ: أمَّا أنَّ القرآنَ عربيٌ . . فحتٌ ؛ إذ نطقَ بهِ القرآنُ ، وأمَّا القرآنُ تديمٌ . . فحتٌ ؛ نطقَ بهِ الرسولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، وأمَّا أنَّ عربيَّةَ القرآنِ قديمةٌ . . فهاذهِ مسألةٌ ثالثةٌ لم يردُ فيها أنَّها قديمةٌ ، فلا يلزَمُ القولُ بها .

فعلى هذا الوجهِ يُلْجِمُ العوامَّ والحَشْويةَ عنِ التصرُّفِ فيهِ ، ويزُمُّهُم عنِ القياسِ والقولِ باللوازم .

⁽١) لأن القول باللازم فرع عن قياس الغائب على الشاهد ، والعمدة أنه ظنيٌّ عند المحققين إلا أن تكون علته عقلية ، والظنى لا يجوز القول به في ذات الله تعالى وصفاته .

بل نزيدُ في التضييقِ على هاذا ونقولُ: إذا قالَ: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ . فهاذا لا يُرخِّصُ في أن نقولَ: (القرآنُ قديمٌ) ما لم يَرِدْ لفظُ (القديمِ) إذ فرقٌ بينَ غيرِ المخلوقِ والقديمِ ؛ إذ يُقالُ: كلامُ فلانٍ غيرُ مخلوقٍ ؛ أي : غيرُ موضوعٍ ، وقد يُقالُ: يُقالُ: كلامُ فلانٍ غيرُ مخلوقٍ ؛ أي : غيرُ موضوعٍ ، وقد يُقالُ: المخلوقُ بمعنى المُختلقِ ؛ فلفظُ : (غيرِ المخلوقِ) يتطرَّقُ إليهِ هاذا ، ولا يتطرَّقُ إلى لفظِ (القديمِ) ، فبينَهُما فرقٌ ، ونحنُ نعتقدُ قِدَمَ القرآنِ لا بمُجرَّدِ هاذا اللفظِ ؛ فإنَّ هاذا اللفظَ لا ينبغي أن يُحرَّفَ ويُبدَّلُ ويُفسَّرَ ويُصرَّفَ ، بل يَلزمُ أن نعتقدَ أنَّهُ حقٌّ بالمعنى الذي أرادَهُ .

وكلُّ مَنْ وصفَ الحرفَ بأنَّهُ غيرُ مخلوقٍ مِنْ غيرِ نقلِ نصٍّ فيهِ مقصودٍ . . فقد أبدعَ وزادَ ، ومالَ عن مذهبِ السلفِ وحادَ .



فَكُنِّي أَوْلَ

[في مراتب الوجود]

فإن قبلَ : مِنَ المسائلِ المعروفةِ قولُهُم : إنَّ الإيمانَ قديمٌ ، فإذا سُئِلْنا عنهُ . . فبمَ نجيبُ ؟

قلنا: إن مَلَكُنا زِمامَ الأمرِ واستولينا على السائلِ . . منعناهُ عن هاذا الكلام السخيفِ الذي لا جدوى له ، وقلنا: إنَّ هاذا بدعةٌ .

وإن كنَّا مغلوبينَ في بلادِهِم . . فنجيبُ ونقولُ : ما الذي أردتَ بالإيمانِ ؟

إِن أُردتَ بِهِ شيئاً مِنَ القرآنِ أَو مِنْ صفاتِ اللهِ تعالىٰ . . فجميعُ صفاتِ اللهِ تعالىٰ . . فجميعُ صفاتِ اللهِ تعالىٰ قديمةٌ .

وإن أردتَ شيئاً مِنْ معارفِ الخَلْقِ وصفاتِهِم . . فجميعُ صفاتِ الخَلْق مخلوقةٌ .

وإن أردتَ ما ليسَ صفةً للخَلْقِ ولا صفةً للخالقِ . . فهوَ غيرُ مفهومٍ ولا مُتصوَّر داتُهُ . . كيفَ يُفهَمُ حكمه في القِدَم والحدوثِ ؟!

والأصلُ زجرُ السائلِ والسكوتُ عنِ الجوابِ ، هلذا صَفْوُ مذهبِ السلفِ ، فلا عُدولَ عنهُ إلَّا لضرورةِ ، وسبيلُ المُضطرِّ ما ذكرناهُ .

فإن وجدنا ذكيًا مُستعِدًا لفهم الحقائق . . كشفنا الغطاء عنِ المسألةِ ، وخلَّصناهُ عنِ الإشكالِ في القرآنِ ، وقلنا له :

اعلمْ أنَّ كلَّ شيءٍ . . فلهُ في الوجودِ أربعُ مراتبَ :

- وجودٌ في الأعيانِ
- ـ ووجودٌ في الأذهانِ .
- ـ ووجودٌ في اللسانِ .
- ووجودٌ في البياض المكتوب عليهِ .
- ك (النار) مثلاً : فإنَّ لها وجوداً في التنُّور .

ولها وجودٌ في الخيالِ والذهنِ ؛ وأعني بهاذا الوجودِ : العلمَ بصورةِ النَّار وحقيقتِها .

ولها وجودٌ في اللسانِ ؛ وهيَ الكلمةُ الدالَّةُ عليها ؛ أعني : لفظَ (النَّار) .

ولها وجودٌ في البياضِ المكتوبِ عليهِ بالرُّقومِ .

والإحراقُ صفةٌ خاصَّةٌ للنارِ ؛ كالقِدَمِ للقرآنِ ولكلامِ اللهِ تعالىٰ ، والمُحرِقُ مِنْ هاذهِ الجملةِ : الذي في التنُّورِ ، دونَ الذي في الأذهانِ وفي اللسانِ وعلى البياضِ ؛ إذ لو كانَ المُحرِقُ هو الذي في البياضِ أو اللسانِ . . لاُحترقَ .

وللكنْ لو قيلَ لنا : النارُ مُحرقةٌ . . قلنا : نعم .

فإن قيلَ لنا : كلمةُ (النَّارِ) مُحرِقةٌ . . قلنا : لا .

فإن قيلَ : حروفُ كلمةِ (النارِ) مُحرِقةٌ ؛ وهيَ : النونُ ، والألفُ ، والراءُ . . قلنا : لا .

فإن قيل : فرقومُ هاذهِ الحروفِ على البياضِ مُحرِقةٌ . . قلنا : لا .

فإن قيلَ: المذكورُ بكلمةِ (النارِ)، والمكتوبُ بكلمةِ (النارِ) مُحرِقٌ . . قلنا: نعمْ ؛ لأنَّ المذكورَ والمكتوبَ بهاذهِ الكلمةِ ما في التنُّورِ ، وما في التنُّورِ مُحرِقٌ . . فكذلكَ القِدَمُ وصفُ كلامِ اللهِ تعالىٰ كالإحراقِ وصفُ النارِ .

وما يُطلَقُ عليهِ اسمُ القرآنِ . . وجودُهُ على أربع مراتبَ :

أَوَّلُها وهي الأصلُ: وجودُهُ قائماً بذاتِ اللهِ تعالى يضاهي وجودَ النارِ في التنُّورِ وللهِ المثلُ الأعلى ، للكنْ لا بدَّ مِنْ هلذهِ الأمثلةِ في تفهيم العَجَزَةِ ، والقِدَمُ وصفٌ خاصٌ لهلذا الوجودِ .

والثانية : وجودُهُ العِلْميُّ في أذهانِنا عندَ التعلُّمِ قبلَ أن ننطقَ بلسانِنا .

ثمَّ وجودُهُ في لسانِنا بتقطيعِ أصواتِنا .

ثمَّ وجودُهُ في الأوراقِ بالكَتْبةِ .

فإذا سُئلنا عمًّا في أذهانِنا مِنْ علمِ القرآنِ قبلَ النطقِ بهِ . . قلنا : عِلْمُنا صِفتُنا ، وهيَ مخلوقةٌ ، للكنِ المعلومُ بهِ قديمٌ ؛ كما أنَّ عِلْمُنا بالنارِ وثبوتَ صورتِها في خيالِنا غيرُ مُحرِقٍ ، للكنِ المعلومُ بهِ مُحرقٌ .

وإذا سُئلنا عن صوتِنا وحركةِ لسانِنا ونطقِنا . . قلنا : ذلك صفةُ لسانِنا ، ولسانُنا حادثٌ ، فصوتُهُ يُوجدُ بعدَهُ ، وما هوَ بعدَ الحادثِ حادثٌ بالضرورةِ ، للكنْ منطوقُنا ومذكورُنا ومقروءُنا ومتلوُّنا بهاذهِ الأصواتِ الحادثةِ . . قديمٌ ؛ كما إذا ذكرنا حروف النارِ بلسانِنا . . كانَ المذكورُ بهاذهِ الحروفِ مُحرِقاً ، وأصواتُنا وتقطيعُ أصواتِنا غيرَ مُحرِق .

إلّا أن يقولَ قائلٌ: حروفُ النارِ عبارةٌ عن نفسِ النارِ!! قلنا: إن كانَ كذلك . . فحروفُ النارِ مُحرِقةٌ ، وحروفُ القرآنِ إن كانَتْ عبارةً عن نفسِ المقروءِ . . فهيَ قديمةٌ ، وكذلكَ المخطوطُ برقومِ النارِ والمكتوبُ بهِ مُحرِقٌ ؛ لأنَّ المكتوبَ هوَ نفسُ النارِ ، أمَّا الرَّقْمُ الذي هوَ صورةُ النارِ . . غيرُ مُحرِقٍ ؛ فإنَّهُ في الأوراقِ مِنْ غيرِ إحراقِ واحتراقِ .

فهاذهِ أربعُ درجاتٍ في الوجودِ تشتبهُ على العوامِّ ، ولا يمكنُهُم إدراكُ فَهْمِ تفاصيلِها وخاصِّيَّةِ كلِّ واحدِ منها ؛ فلذلكَ

لا نخوضُ بهِم فيها ، لا لجهلِنا بحقيقةِ هاذهِ الأمورِ وكُنْهِ تفاصيلِها ؛ أنَّ النارَ مِنْ حيثُ إنَّها في التنُّورِ تُوصَفُ بأنَّها مُحرِقةٌ وخامدةٌ ومشتعلةٌ ، ومِنْ حيثُ إنَّها في اللسانِ يُوصَفُ بأنَّهُ عجميٌّ وتركيٌّ وعربيٌّ ، وكثيرُ الحروفِ وقليلُهُ ، وما في التنُّورِ لا يُنقسِمُ إلى العربيِّ والتركيِّ ، وما في اللسانِ لا يُوصَفُ بالخمودِ والاشتعالِ .

وإذا كانَ مكتوباً على البياضِ . . يُوصَفُ بأنَّهُ أحمرُ وأخضرُ وأخضرُ وأسودُ ، وأنَّهُ مُخطَّطٌ بقلمِ المُحقَّقِ أو الثُّلُثِ أو الرقاعِ أو النسخِ ، وهوَ في اللسانِ لا يمكنُ أن يُوصَفَ بذلكَ .

واسمُ النارِ مطلقٌ على ما في التنورِ ، وما في القلبِ ، وما في اللسانِ ، وما على القرطاسِ ، للكنْ باشتراكِ الاسمِ ؛ فأُطلِقَ على اللسانِ ، وما على القرطاسِ ، للكنْ باشتراكِ الاسمِ ؛ فأُطلِقَ على ما في النهنِ مِنَ العلمِ لا بالحقيقةِ ، للكنْ بمعنى أنّها صورةٌ محاكيةٌ للنارِ ؛ كما أنّ ما يُرىٰ في المرآةِ يُسمَّىٰ إنساناً وناراً لا بالحقيقةِ ، وللكنْ بمعنى أنّها صورةٌ محاكيةٌ للنارِ الحقيقيِّ والإنسانِ ، وما في اللسانِ مِنَ الكلمةِ يُسمَّىٰ باسمِهِ بمعنى ثالثٍ ؛ وهوَ أنّهُ دلالةٌ دالّةٌ علىٰ ما في الذهنِ ، وها في يختلفُ بالاصطلاحاتِ ، والأولُ والثاني لا اختلافَ فيهِما ، وما في يختلفُ بالاصطلاحاتِ ، والأولُ والثاني لا اختلافَ فيهِما ، وما في القرطاسِ يُسمَّىٰ ناراً بمعنى رابعٍ ؛ وهوَ أنّها رُقومٌ تدلُّ بالاصطلاحِ علىٰ ما في اللسانِ .

ومهما فُهِمَ اشتراكُ اسمِ القرآنِ والنارِ وكلِّ شيءٍ مِنْ هاذهِ

الأمورِ الأربعةِ ؛ فإذا وردَ في الخبرِ : أنَّ القرآنَ في قلبِ العبدِ ، وأنَّهُ في المُصحفِ ، وأنَّهُ في لسانِ القارئ ، وأنَّهُ صفةٌ في ذاتِ اللهِ تعالىٰ . . صَدَّقَ بالجميعِ ، وفُهِمَ معنى الجميعِ ، ولم تتناقضْ عندَهُ الأخبارُ ، وصَدَّقَ بالجميع معَ الإحاطةِ بحقيقةِ المرادِ .

وهاذهِ أمورٌ جليَّةٌ دقيقةٌ ؛ لا أجلى منها عندَ الفطنِ الذكيِّ ، ولا أدقَّ وأغمضَ منها عندَ البليدِ الغبيّ .

فحقُّ البليدِ أَن يُمنَعَ مِنَ الخوضِ فيهِ ، ويُقالُ لهُ : قُلْ : (القرآنُ غيرُ مخلوقٍ) واسكتْ ، ولا تزدْ عليهِ ولا تَنقُصْ ، ولا تُفتِّشْ عنهُ ولا تبحثْ .

وأمَّا الذكيُّ . . فيروَّحُ عن غُمَّةِ هاذا الإشكالِ في لحظةٍ (١١) ، ويُوصىٰ بألَّا يُحدِّثَ العامِّيَّ بهِ ، وألَّا يُكلِّفَهُ ما ليسَ في طاقتِهِ .

وهاكذا جميعُ مواضعِ الإشكالاتِ في الظواهرِ ؛ فيها حقائقُ جليّةٌ لأربابِ البصائرِ ، ملتبسةٌ على العميانِ مِنَ العوامّ.

ولا ينبغي أن يُظَنَّ بأكابرِ السلفِ عجزُهُم عن معرفةِ هاذهِ الحقيقةِ وإن لم يُحرِّروا ألفاظَها تحريرَ صنعةٍ ، وللكنَّهُم عرفوهُ وعرفوا عجزَ العوامِّ ، فسكتوا عنهُم وأسكتوهُم ، وذلكَ عينُ الحقِّ والصواب .

⁽١) الغُمَّة : الالتباس في الشيء ؛ قال تعالىٰ : ﴿ أَوْ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلِيْكُمْ غُمَّةُ ﴿ ﴾ .

ولا أعني بأكابر السلفِ الأكابرَ مِنْ حيثُ الجاهُ والاشتهارُ ، ولا أعني بأكابر السلفِ الأكابرَ مِنْ حيثُ الخوصُ على المعاني والاطِّلاعُ على الأسرارِ ، وعندَ هاذا ربَّما انقلبَ الأمرُ في حقِّ العوامِّ واعتقدوا في الأَشهَرِ أنَّهُ الأكبرُ ، وذلكَ سببٌ آخرُ مِنْ أسبابِ الضَّلالِ .

攀 攀 攀

فرين بالمرين بالمرين بالمرين

[في مراتبِ النصديقِ الجازم]

فإن قالَ قائلٌ: العامِّيُّ إذا مُنِعَ مِنَ البحثِ والنظرِ.. لم يعرفِ الدليلَ ، ومَنْ لم يعرفِ الدليلَ .. كانَ جاهلاً بالمدلولِ ، وقد أمرَ اللهُ تعالىٰ كافَّةَ عبادِهِ بمعرفتِهِ ؛ أي: بالإيمانِ بهِ والتصديقِ بوجودِهِ أوَّلاً ، وبتقديسِهِ عن سماتِ الحوادثِ ومشابهةِ غيرِهِ ثانياً ، وبوحدانيتِهِ ثالثاً ، وبصفاتِهِ مِنَ العلمِ والقدرةِ ونفوذِ المشيئةِ وغيرها رابعاً .

وهاذهِ الأمورُ ليسَتْ ضروريةً ، فهيَ إذاً مطلوبةٌ ، وكلُّ عِلم مطلوبٍ فلا سبيلَ إلى اقتناصِهِ وتحصيلِهِ إلَّا بشبكةِ الأدلَّةِ ، فلا بدَّ مِنَ النظرِ في الأدلَّةِ ، والتفطُّنِ لوجهِ دلالتِها على المطلوبِ ، وكيفيَّةِ إنتاجِها لهُ ، وذلكَ لا يتمُّ إلَّا بمعرفةِ شروطِ البراهينِ ، وكيفيةِ ترتيبِ المُقدِّماتِ واستنتاجِ النتائجِ ، ويستجرُّ ذلكَ بالضرورةِ شيئاً ترتيبِ المُقدِّماتِ واستيفاءِ علم الكلامِ إلىٰ آخرِ النظرِ في فشيئاً إلىٰ تمامِ البحثِ واستيفاءِ علم الكلامِ إلىٰ آخرِ النظرِ في المعقولاتِ .

وكذلك يجبُ على العامِّيِّ أن يُصدِّقَ الرسولَ في كلِّ ما جاءَ بهِ ، وصِدْقُهُ ليسَ بضروريٍّ ، بل هوَ بَشَرٌ كسائرِ الخَلْقِ ، فلا بدَّ مِنْ دليلٍ يُميِّزُهُ عن غيرِهِ ممَّنْ تحدَّىٰ بالنبوَّةِ كاذباً ، ولا يمكنُ ذلكَ إلَّا بالنظرِ في معجزتِهِ ، ومعرفةِ حقيقةِ المعجزةِ وشروطِها إلىٰ آخرِ النظرِ في النبوَّاتِ ، وهوَ ثلثُ علم الكلام .

قلنا : الواجبُ على الخلقِ : الإيمانُ بهاذهِ الأمور .

والإيمانُ: عبارةٌ عن تصديقٍ جازمٍ لا تردُّدَ فيهِ ، ولا يَشعُرُ صاحبُهُ بإمكانِ وقوع الخطأ فيهِ .

وهلذا التصديقُ الجازمُ يَحصُلُ على ستِّ مراتبَ :

الأُولى _ وهيَ أقصاها _ : ما يحصلُ بالبرهانِ المستقصى المُولى _ وهيَ أقصاها _ : ما يحصلُ بالبرهانِ المستقصى المستوفى شروطُهُ ، المُحرَّرِ أصولُهُ ومقدماتُهُ درجةً درجةً ، وكلمةً كلمةً ، حتى لا يبقى مجالُ احتمالِ وتمكُّنُ التباسِ ، وذلكَ هوَ الغايةُ القصوى .

وربَّما يتفِقُ ذٰلكَ في كلِّ عصرٍ لواحدٍ أوِ اثنينِ ممَّنْ ينتهي إلىٰ تلكَ الرتبةِ ، وقد يخلو العصرُ عنهُ ، ولو كانَتِ النجاةُ مقصورةً علىٰ مثل تلكَ المعرفةِ . . لقلَّتِ النجاةُ وقلَّ الناجونَ .

الثانية : أن يحصل بالأدلّة الرسميّة الكلاميّة ، المبنيّة على أمور مُسلّمة مُصدَّق بها ؛ لاشتهارها بينَ أكابر العلماء ، وشناعة إنكارها ، ونُفْرة النفوس عن إبداء المراء فيها ، وهذا الجنسُ أيضاً يُفِيدُ في بعضِ الأمور وفي حقّ بعضِ الناسِ تصديقاً جازماً ؛ بحيثُ لا يَشعُرُ صاحبُهُ بإمكانِ خلافِهِ أصلاً .

الثالثة : أن يحصل التصديق بالأدلّة الخطابيّة ؛ أعني : التي جرَتِ العادة باستعمالِها في المحاوراتِ والمخاطباتِ الجارية في العاداتِ ، وذلك يُفِيدُ في حقّ الأكثرين تصديقاً ببادئ الرأي وسابقِ العاداتِ ، وذلك يُفِيدُ في حقّ الأكثرين تصديقاً ببادئ الرأي وسابق الفهم إذا لم يكُنِ الناظِرُ (١) مشحوناً بتعصّبِ وبرسوخِ اعتقادِ على خلافِ مقتضى الدليلِ ، ولم يكُنِ المُستمِعُ مشغوفاً بتكلُّفِ المُماراةِ والتشكيكِ ، ومُتبجِّحاً بجدلِ المجادلينَ في العقائدِ ، وأكثرُ أدلَّة القرآنِ مِنْ هاذا الجنس .

فمِنَ الدليلِ الظاهرِ المفيدِ للتصديقِ: قولُنا: لا يَنتظِمُ تدبيرُ المنزلِ بمُدبِّرينِ ، و ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا عَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۞ ﴿ (٢) ، فكلُّ قلب باقٍ على الفطرةِ غيرِ مُشوَّشٍ بمماراةِ المجادلينَ . . يسبقُ مِنْ هاذا الدليلِ إلى فهمِهِ تصديقٌ جازمٌ بوحدانيَّةِ الخالقِ .

للكنْ لو شوَّشَهُ مُجادِلٌ وقالَ: لا يبعُدُ أن يكونَ العالَمُ بينَ اللهينِ يتوافقانِ ويتعاونانِ على التدبيرِ ولا يختلفانِ! فإسماعُهُ هلذا القدْرَ يُشوِّشُ عليهِ تصديقَهُ ، ثمَّ ربَّما يَعسُرُ حلُّ هلذا السؤالِ ودفعُهُ في حقِّ بعضِ الأفهامِ القاصرةِ ، فيستولي الشكُّ ويتعذَّرُ الدفعُ .

وكذلكَ مِنَ الجليِّ: أَنَّ مَنْ قَدَرَ على الخَلْقِ . . فهوَ على الإعادةِ المُعادةِ على الإعادةِ أَقدرُ ؟ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي ٓ أَنشَأَهَاۤ أَقَلَ مَرَّةِ ۞ ﴾ ، فهاذا

⁽١) في (أ، ج، و): (الباطن) بدل (الناظر).

⁽٢) انظر « حاشية الباجوري على الجوهرة » (ص ١١٥) .

لا يسمعُهُ أحدٌ مِنَ العوامِّ ذكيٌّ أو غبيٌّ إلَّا ويبادرُ إلى التصديقِ بهِ ، ويقولُ: نعمْ ؛ ليسَتِ الإعادةُ بأبدعَ مِنَ الابتداءِ ، بل هيَ أهونُ .

ويمكنُ أن يُشوَّشَ عليهِ بسؤالٍ ربَّما يَعسُرُ عليهِ فهمُ جوابِهِ ، والدليلُ المستوفى هوَ الذي يُفيدُ التصديقَ بعدَ تمامِ الأَسْوِلَةِ وجوابِها بحيثُ لا يبقى للسؤالِ مجالٌ ، والتصديقُ يحصلُ قبلَ ذلكَ (١).

الرابعة : التصديق بمُجرَّدِ السماعِ ممَّنْ حَسُنَ فيهِ الاعتقادُ بسببِ كثرةِ ثناءِ الخَلْقِ عليهِ ؛ فإنَّ مَنْ حَسُنَ اعتقادُهُ في أبيهِ وأستاذِهِ ، أو في رجلٍ مِنَ الأفاضلِ المشهورينَ . قد يخبرُهُ عن شيءٍ ؛ كموتِ شخصٍ ، وقدومِ غائبٍ وغيرِهِ ، فيسبقُ إليهِ اعتقادٌ جازمٌ وتصديقٌ بما أخبرَ عنه ؛ بحيثُ لا يبقى لغيرِهِ مجالٌ في قلبِهِ ، ومستنده حُسْنُ اعتقادِهِ فيهِ .

فالمُجرَّبُ بالصدقِ والورعِ والتقوىٰ مثلُ الصِّدِيقِ رضيَ اللهُ عنهُ إذا قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كذا . . فكم مِنْ مُصدِّقِ بهِ جزماً ، وقابلِ لهُ قَبُولاً مطلقاً ، لا مستندَ لقَبُولِهِ إلَّا حُسْنُ اعتقادِهِ فيهِ ، فمثلُهُ إذا ألقىٰ إلى العامِّيِ اعتقاداً وقالَ لهُ : اعلمُ أنَّ خالقَ العالمِ واحدٌ ، وأنَّهُ عالِمٌ قادرٌ ، وأنَّهُ بعثَ محمداً صلَّى اللهُ خالقَ العالمِ واحدٌ ، وأنَّهُ عالِمٌ قادرٌ ، وأنَّهُ بعثَ محمداً صلَّى اللهُ

 ⁽١) قال العلامة العطار في « حاشيته على المحلي على جمع الجوامع » (٤٤٨/٢) : (القرآن يحتوي على الأدلة الإقناعية والقطعية بحسب أحوال المخاطبين) .

عليهِ وسلَّمَ رسولاً . . بادرَ إلى التصديقِ ، ولم يخالجُهُ ريبٌ ولا شكُّ في قولِهِ ، وكذلكَ اعتقادُ الصبيانِ في آبائِهِم ومُعلِّميهِم ، فلا جرمَ يسمعونَ الاعتقاداتِ ويُصدِّقونَها ، ويستمرُّونَ عليها مِنْ غيرِ حاجةٍ إلىٰ دليلِ وحُجَّةٍ .

الرتبةُ الخامسةُ: التصديقُ الذي يَسبِقُ إليهِ العلمُ عندَ سماعِ الشيءِ معَ قرائنِ أحوالٍ لا تفيدُ القطعَ عندَ المُحقِّقِ، وللكنْ تُلقي في قلبِ العوامِ اعتقاداً جازماً ؛ كما إذا سُمِعَ بالتواترِ مرضُ رئيسِ البلدِ، ثمَّ ارتفعَ صراخٌ وعويلٌ مِنْ دارِهِ، ثمَّ سُمِعَ مِنْ أحدِ غِلمانِهِ أَنَّهُ قد ماتَ . . اعتقدَ العامِّيُّ جزماً أنَّهُ ماتَ ، ويبني عليهِ تدبيرَهُ .

ولا يَخطُرُ ببالِهِ أَنَّ الغلامَ ربَّما قالَ ذلكَ عن إرجافٍ سمعَهُ ، وأنَّ الصراخَ والعويلَ لعلَّهُ عن غشيةٍ أو شدَّةِ مرضٍ أو سببِ آخرَ ، لكنْ هلذهِ خواطرُ بعيدةٌ لا تَخطُرُ للعوامِّ ، فينطبعُ في قلوبِهِمُ الاعتقاداتُ الجازمةُ .

وكم مِنْ أعرابي نظرَ إلى أساريرِ وجهِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإلى حُسْنِ كلامِهِ ، ولُطفِ شمائلِهِ وأخلاقِهِ ، فآمنَ بهِ وصَدَّقَهُ تصديقاً جازماً ، لم يُخالجهُ ريبٌ ، مِنْ غيرِ أن طالبَهُ بمعجزة يقيمُها ويذكرُ وجهَ دلالتها (۱).

⁽١) ومن لطيف ذلك: ما وقع للصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه ؛ فقد روى ◄ الله

الرتبةُ السادسةُ: أن يسمعَ القولَ فيناسبَ طبعَهُ وأخلاقَهُ، فيبادرَ إلى التصديقِ لمُجرَّدِ موافقتِهِ لطبعِهِ، لا مِنْ حُسْنِ اعتقادِ في قائلِهِ، ولا مِنْ قرينةِ تشهدُ لهُ، للكنْ لمناسبتِهِ ما في طباعِهِ.

فالحريصُ على موتِ عدوِّهِ وقتلِهِ وعزلِهِ . . يُصدِّقُ بجميعِ ذلكَ بأدنى إرجافٍ ، ويستمرُّ على اعتقادِهِ جازماً ، ولو أُخبِرَ بذلكَ في حقِّ صديقِهِ أو بشيءٍ ممَّا يخالفُ شهوتَهُ وهواهُ . . توقَّفَ فيهِ وأباهُ كلَّ الإباءِ .

وهاذه أضعف التصديقاتِ وأدنى الدرجاتِ ؛ لأنَّ ما قبلَهُ استندَ إلىٰ دليلٍ ما وإن كانَ ضعيفاً ؛ مِنْ قرينةٍ ، أو حُسْنِ اعتقادٍ في المُخبِرِ ، أو نوعٍ مِنْ ذلك ، وهي أمارات يظنُّها العامِّيُّ أدلَّة ، فتعملُ في حقِّهِ عملَ الأدلَّةِ .

وإذا عرفتَ مراتبَ التصديقِ . . فاعلمْ أنَّ مستندَ إيمانِ العوامِّ هلذهِ الأسبابُ ، وأعلى الدرجاتِ في حقِّهِ أدلَّةُ القرآنِ وما يجري مجراهُ ممَّا يحرّكُ القلبَ إلى التصديقِ .

ولا ينبغي أن يجاوزَ بالعامِّيِّ إلى ما وراءَ أدلَّةِ القرآنِ وما في معناهُ مِنَ الجليَّاتِ المُستَجِرَّةِ

 [◄] الترمذي (٢٤٨٥) من حديثه أنه قال : (فلما استبنتُ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
 عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذَّاب) .

لها إلى الطُّمأنينةِ والتصديقِ ؛ فما وراءَ ذلكَ ليسَ علىٰ قدرِ طاقبهِ .

وأكثرُ الناسِ آمنوا في الصِّبا ، وكانَ سببُ تصديقِهِم : مُجرَّدَ التقليدِ للآباءِ والمُعلِّمينَ ؛ لحُسْنِ ظنِّهِم بهِم ، وكثرةِ ثنائِهِم على التقليدِ للآباءِ والمُعلِّمينَ ؛ لحُسْنِ ظنِّهِم بهِم ، وكثرةِ ثنائِهِم على أنفسِهِم ، وثناءِ غيرِهِم عليهِم ، وتشديدِهِمُ النكيرَ بينَ أيديهِم على مخالفيهِم ، وحكاياتِ أنواعِ النَّكالِ النازلِ بمَنْ لا يعتقدُ اعتقادَهُم ، وقولِهِم : إنَّ فلاناً اليهوديَّ مُسِخَ في قبرِهِ كلباً ، وفلاناً الرافضيَّ وقولِهِم : إنَّ فلاناً اليهوديُّ مُسِخَ في قبرِهِ كلباً ، وفلاناً الرافضيَّ انقلبَ خنزيراً (۱) ، وحكاياتٍ ومناماتٍ وأحوالٍ مِنْ هذا الجنسِ ينغرسُ بها في نفوسِ الصبيانِ النفرةُ عنهُ والميلُ إلىٰ ضدِّهِ ؛ حتىٰ ينغرسُ بها في نفوسِ الصبيانِ النفرةُ عنهُ والميلُ إلىٰ ضدِّهِ ؛ حتىٰ ينزعَ الشكُّ بالكليَّةِ عن قلبِهِ .

فالتعلَّمُ في الصِّغَرِ كالنقشِ في الحجرِ ، ثمَّ يقعُ نشؤُهُ عليهِ ، ولا يزالُ يُؤكَّدُ ذلكَ في نفسِهِ ، فإذا بلغَ . . استمرَّ على اعتقادِهِ الجازم وتصديقِهِ المُحكَم الذي لا يُخالجُهُ فيهِ ريبٌ .

ولذٰلكَ ترى أولادَ النصاری والمجوسِ والمسلمینَ كلَّهُم لا يبلغونَ إلَّا على عقائدِ آبائِهِم ، واعتقاداتُهُم في الحقِّ والباطلِ جازمةٌ ، ولو قُطِّعوا إِرْباً إِرْباً . لَمَا كاعوا عنها (١) ، وقطُّ لم يسمعوا عليهِ دليلاً لا حقيقياً ولا رسمياً .

وكذلك ترى العبيد والإماء يُسْبَونَ مِنَ المُعترَكِ ولا يعرفونَ

⁽١) في (ب ، ه) : (النصراني) بدل (الرافضي) .

⁽۲) ما كاع عنها : ما حاد عنها ولا تركها .

الإسلام ، فإذا وقعوا في أسرِ المسلمينَ وصحبوهُم مُدَّةً ورأَوا ميلَهُم إلى الإسلام . . مالوا معَهُم واعتقدوا اعتقادَهُم وتخلَّقوا بأخلاقِهِم ؛ كلُّ ذٰلكَ لمُجرَّدِ التقليدِ والتشبيهِ بالغيرِ ، والطباعُ مجبولةٌ على التشبُّهِ ، لا سيَّما طباع الصبيانِ والشبابِ .

فبهاذا يعرفُ أنَّ التصديقَ الجازمَ غيرُ موقوفٍ على البحثِ وتحريرِ الأدلَّةِ .



فَكُنَّ أَقَ

[حصولُ التصديقِ مِنَ الخلقِ . . سعادةٌ لهُم ولو مِنْ غيرِ دليلٍ]
لعلَّكَ تقولُ : لا أُنكِرُ حصولَ التصديقِ الجازمِ في قلوبِ العوامِ
بهاذهِ الأسبابِ ، وللكنْ ليسَ ذلكَ مِنَ المعرفةِ في شيءٍ ، وقد
كُلِّفَ الناسُ المعرفةَ الحقيقيةَ دونَ اعتقادٍ هوَ مِنْ جنسِ الجهلِ ؛ لا
يميزُ فيهِ الباطلُ عنِ الحقِّ .

فالجوابُ: أنَّ هاذا غلطٌ ممَّنْ ذهبَ إليهِ ، بل سعادةُ الخَلْقِ في أن يعتقدوا الشيءَ على ما هوَ عليهِ اعتقاداً جازماً ؛ لتنتقش قلوبُهُم بالصورةِ الموافقةِ لحقيقةِ الحقِّ ، حتى إذا ماتوا وانكشف لهُمُ الغطاءُ فشاهدوا الأمورَ على ما اعتقدوها . . لم يَفْتَضِحوا ولم يحترقوا بنارِ الخِزيِ والخَجْلةِ أولاً ، ولا بنارِ جهنَّمَ ثانياً .

وصورةُ الحقِّ إذا انتقشَ بهِ قلبُهُ . . فلا نظرَ إلى السببِ المفيدِ لهُ ؟ أهوَ دليلٌ حقيقيٌ ، أو رسميٌ ، أو إقناعيٌ ، أو قَبُولٌ مِنْ حُسْنِ الاعتقادِ في قائلِهِ ، أو قَبُولٌ بمُجرَّدِ التقليدِ مِنْ غيرِ سببٍ ؛ فليسَ المطلوبُ الدليلَ المفيدَ ، بلِ الفائدةُ ؛ وهيَ حقيقةُ الحقِّ على ما هوَ عليهِ .

فَمَنِ اعتقدَ حقيقةَ الحقِّ في اللهِ وفي صفاتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليوم الآخرِ على ما هوَ عليهِ . . فهوَ سعيدٌ ، وإن لم يكنْ ذلكَ

بدليلٍ مُحرَّرٍ كلاميِّ ، ولم يُكلِّفِ اللهُ تعالىٰ عبادَهُ إلَّا ذٰلكَ .

وذلك معلومٌ على الضرورة بجملة أخبارٍ متواترةٍ عن رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم في مواردِ الأغرابِ عليهِ ، وعرضِهِ الإيمانَ عليهِم ، وقَبُولِهِم ذلك ، وانصرافِهِم إلىٰ رعايةِ الإبلِ والمواشي مِنْ غيرِ تكليفِهِ إيّاهُمُ التفكُّرَ في المعجزةِ ووجهِ دلالتِها ، والتفكُّر في حدوثِ العالمِ وإثباتِ الصانعِ ، وفي أدلّةِ الوحدانيّةِ وسائرِ الصفاتِ .

بلِ الأكثرُ مِنْ أجلافِ العربِ لو كُلِّفوا ذلكَ . . لم يفهموهُ ولم يُدركوهُ بعدَ طولِ المُدَّةِ ، بل كانَ الواحدُ منهُم يُحلِّفُهُ ويقولُ : يُدركوهُ بعدَ طولِ المُدَّةِ ، بل كانَ الواحدُ منهُم يُحلِّفُهُ ويقولُ : « وَٱللهِ ؛ ٱللهُ أَرْسَلَنِي رَسُولاً » ، باللهِ ؛ آللهُ أَرْسَلَنِي رَسُولاً » ، وكانَ يُصدِّقُهُ بيمينِهِ وينصرفُ (١) .

ويقولُ الآخرُ إذا قَدِمَ عليهِ ونظرَ إليهِ : (واللهِ ؛ ما هـٰذا وجهَ كَذَّابِ) (٢٠) ، وأمثالُ ذٰلكَ ممَّا لا يُحصىٰ .

بل كانَ يُسْلِمُ في غزوةٍ واحدةٍ في عصرِهِ وعصرِ أصحابِهِ آلاف لا يفهم الأكثرون منهم أدلّة الكلام ، ومَنْ كانَ يفهمه أدل يحتاجُ إلى أن يترك صناعته ويختلف إلى مُعلِّمٍ مُدَّة مديدة ، ولم يُنقَلْ قط شيءٌ مِنْ ذلك .

⁽١) رواه البخاري (٦٣) ، ومسلم (١٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وصيغة القسم : (فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب الجبال ؛ آلله أرسلك ؟) .

⁽٢) وهو سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، وتقدم خبره تعليقاً (ص ١٥٢ ـ ١٥٣) .

فعُلِمَ علماً ضروريّاً أنَّ اللهَ تعالىٰ لم يُكلِّفِ الخَلْقَ إلَّا الإيمانَ والتصديقَ الجازمَ بما قالَهُ كيفَما حصلَ التصديقُ .

نعم ؛ لا ننكرُ أنَّ للعارفِ درجةً على المُقلِّدِ ، وللكنِ المُقلِّدُ في الحقِّ مؤمنٌ كما أنَّ العارفَ مؤمنٌ .

فإن قلت : فبم يميزُ المُقلِّدُ بينَ نفسِهِ وبينَ اليهوديِّ المُقلِّدِ ؟ قلنا : المُقلِّدُ لا يعرفُ التقليدَ ، ولا يعرفُ أنَّهُ مُقلِّدٌ ، بل يعتقدُ في نفسِهِ أنَّهُ مُحقِّقٌ عارفٌ ، فلا يَشُكُّ في معتقدِهِ ، ولا يحتاجُ معَ نفسِهِ إلى التمييزِ ؛ لقطعِهِ بأنَّ خصمَهُ مُبطِلٌ وهوَ مُحِقٌ ، ولعلَّهُ أيضاً مُستظهِرٌ بقرائنَ وأدلَّةٍ ظاهرةٍ _ وإن كانَتْ غيرَ قويَّةٍ _ يرئ نفسَهُ مخصوصاً بها ومتميِّزاً بسببها عن خصومِهِ .

فإن كانَ اليهوديُّ يعتقدُ في نفسِهِ مثلَ ذلكَ . . فلا يُشوِّشُ ذلكَ على المُحِقِّ اعتقادَهُ ؛ كما أنَّ العارف الناظرَ أيضاً يَزعُمُ أنَّهُ يُميِّزُ نفسَهُ عنِ اليهوديِّ بالدليلِ ، واليهوديُّ المُتكلِّمُ الناظرُ أيضاً يزعمُ أنَّهُ متميزٌ عنهُ بالدليلِ ، ودعواهُ ذلكَ لا تُشكِّكُ الناظرَ العارف . . فكذلكَ لا يُشكِّكُ المُقلِّدُ القاطعُ ، ويكفيهِ في الإيمانِ ألَّا يُشكِّكَهُ في اعتقادِهِ معارضةُ المُعلِّلِ كلامَهُ بكلامِهِ .

فهل رأيتَ عامِّيّاً قطُّ قدِ اغتمَّ وحزنَ مِنْ حيثُ يَعسُرُ عليهِ الفَرْقُ بينَ تقليدِهِ وتقليدِ اليهوديّ ؟! بل لا يَخطُرُ ذلكَ ببالِ العوامِ ، وإن أُخطِرَ ببالِهِم وشُوفِهوا بهِ . . ضحكوا مِنْ قائلِهِ وقالوا : ما هاذا الهَذَيانُ ؟! أوكانَ بينَ الحقّ والباطلِ مساواةٌ حتى يُحتاجَ إلى فارقٍ يفرقُ أنَّهُ على الباطلِ وأنِّي على الحقّ وأنا مُتيقِنٌ لذلكَ غيرُ شاكِّ فيهِ ؟!

فكيفَ أطلبُ الفَرْقَ حيثُ يكونُ الفَرْقُ معلوماً قطعاً مِنْ غيرِ طلبِ ؟! فهاذهِ حالةُ المُقلِّدينَ الموقنينَ .

وهاذا إشكالٌ لا يقعُ لليهوديِّ المُبطِلِ لقطعِهِ مذهبَهُ معَ نفسِهِ ، فكيفَ يقعُ للمُقلِّدِ المسلمِ الذي وافقَ اعتقادُهُ ما هوَ الحقُّ عندَ اللهِ تعالىٰ ؟!

فظهرَ بهاذا على القطعِ أنَّ اعتقاداتِهِم جازمةٌ ، وأنَّ الشرعَ لم يُكلِّفْهُم إلَّا ذٰلكَ .

فإن قيلَ : فإن فرضنا عامِّيّاً مجادلاً لَجوجاً ؛ ليسَ يُقلِّدُ وليسَ يقنعُهُ أُدلَّةُ القرآنِ والأقاويلُ الجليَّةُ المقنعةُ السابقةُ إلى الأفهامِ . . فماذا يُصنَعُ بهِ ؟

قلنا: هاذا مريضٌ مالَ طبعهُ عن صحَّةِ الفطرةِ وسلامةِ الخِلْقةِ الأصليَّةِ ، فننظرُ في شمائلِهِ ؛ فإن وجدنا اللَّجاجَ والجدلَ غالباً علىٰ طبعِهِ . . لم نجادلهُ ، وطهَّرنا وجهَ الأرضِ عنهُ إن كانَ يجاحدُنا في أصلِ مِنْ أصولِ الإيمانِ .

وإن تفرَّسنا فيهِ بالفِراسةِ مخايلَ الرشدِ والقَبُولِ لو جاوزنا بهِ مِنَ الكلامِ الظاهرِ إلى تدقيقٍ في الأدلَّةِ . . عالجْناهُ بما قَدَرنا عليهِ مِنْ ذلكَ ، وداويناهُ بالجدالِ المرِّ والبرهانِ الحلوِ (١) .

وبالجملة : فنجتهدُ أن نجادلَهُ بالأحسنِ كما أمرَ اللهُ تعالىٰ بهِ ، ورخصتُنا في هلذا القدرِ مِنَ المداواةِ لا تدلُّ علىٰ فتحِ بابِ الكلامِ معَ الكافَّةِ ؛ فإنَّ الأدويةَ تُستعمَلُ في حقِّ المرضىٰ وهم الأقلُّونَ ، وما يُعالَجُ بهِ المريضُ بحكمِ الضرورةِ يجبُ أن يُوقىٰ عنهُ الصحيحُ .

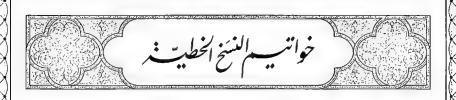
والفطرةُ الصحيحةُ الأصليَّةُ تُعَدُّ لقَبُولِ الإيمانِ دونَ المجادلةِ وتحريرِ حقائقِ الأدلَّةِ ، وليسَ الضررُ في استعمالِ الدواءِ معَ الأصحَّاءِ بأقلَّ مِنَ الضررِ في إهمالِ المداواةِ معَ المرضىٰ .

فليُوضَعْ كلُّ شيءٍ في موضعِهِ ؛ كما أمرَ اللهُ تعالى بهِ نبيّهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ قالَ : ﴿ آنَ عُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ٱلْمَسَنَةِ وَجَلاِلْهُم بِٱلَّتِي هِى أَحْسَرُ ﴾ ، والمدعوُّ بالحكمةِ الى الحقِّ قومٌ ، وبالموعظةِ الحسنةِ قومٌ أُخَرُ ، وبالمجادلةِ بالأحسنِ قومٌ أُخَرُ ، على ما فصَّلنا أقسامَهُم في كتابِ « القسطاسِ بالأحسنِ قومٌ أُخرُ ، على ما فصَّلنا أقسامَهُم في كتابِ « القسطاسِ المستقيم » ، فلا نُطوِّلُ بإعادتِهِ .

⁽١) مخابل: جمع مَخِيلة ؛ وهي المَظِنَّة .

وقد نجزَ كتابُ « إلجامِ العوامِّ عن علمِ الكلامِ » ، وهو آخرُ تصانيفِ الإمامِ المطلقِ حُجَّةِ الإسلامِ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ .

※ ※ ※



عاتمت النّسخة (1)()

فرغَ هوَ منهُ أوائلَ جُمادى الآخرةِ ، سنةَ خمسٍ وخمسِ مئةٍ . وفرغَ كاتبُهُ عن نسخِهِ : منتصفَ شعبانَ ، سنة سبعٍ وخمسِ عئةٍ .

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وصلواتُهُ على سيِّدِنا محمدِ وآلِهِ أَجمعينَ ، وحسبُنا اللهُ وحدَهُ وكفى .

غاتمت النّسخت (ب)

تم كتابُ « إلجامِ العوامِ عن علمِ الكلامِ » بحمدِ اللهِ وعونِهِ وحُسنِ توفيقِهِ ، عَلَّقَهُ لنفسِهِ بخطِّ يدِهِ الفانيةِ ، أفقرُ خلقِ اللهِ تعالىٰ اللهِ تعالىٰ إلى رحمتِهِ ، المُعترِفُ بتقصيرِهِ وزلَّتِهِ ، غفرَ اللهُ [لهُ] ولوالديهِ ولجميعِ المسلمينَ ، وذلكَ عشيَّةَ السبتِ سابعَ عشرَ صفرٍ ، سنة سبِّ [أو : ستينَ] وسبِّ مئةٍ .

وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً [...] إلىٰ يوم الدِّينِ .

⁽١) انظر وصف النسخ الخطية (ص ٢٢) في المقدمات.

حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ .

خاتمت النّسخت (ج)

وقد نجز كتابُ « إلجامِ العوامِّ عن علمِ الكلامِ » ، والحمدُ للهِ وحدَهُ .

ورأيتُ في الأصلِ المنقولِ عنهُ تلوُّمَ الإتمامِ مسطوراً: (وهوَ آخرُ تصانيفِ الشيخِ الإمامِ ، حُجَّةِ الإسلامِ رحمةُ اللهِ عليهِ)، ثمَّ قالَ: (كذا ذُكِرَ في الأصلِ).

غاتمت النّسخة (د)

وقع الفراغ : في الثاني مِنْ ذي القَعدة يومَ الاثنينِ وقتَ العصرِ ، سنة ستٍّ وثمانِ مئةٍ .

قُوبِلَ .

خاتمت النسخت (هـ)

تم كتابُ « إلجامِ العوامِّ عن علمِ الكلامِ » بعونِ اللهِ وحُسْنِ توفيقِهِ .

والحمدُ للهِ وحدَهُ .

فرغَ مِنْ نسخِهِ : يومَ الخميسِ ثانيَ شهرِ ربيعِ الأولِ مِنْ شهورِ

سنةِ ثمانٍ وثمانينَ وثمانِ مئةٍ ، أحسنَ اللهُ تَقَضِّيَها بخيرٍ .

وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ .

وفي هامشِها عندَ الخاتمةِ: (معَ مقابلةٍ على الأصلِ المُكْتَتبِ فيه بحسبِ الإمكانِ ، والحمدُ للهِ وحدَهُ).

غانمت النّسخة (و)

تمَّ الكتابُ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ على محمَّدٍ وآلِهِ أجمعينَ . طالعَهُ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالىٰ يحيى بنُ أحمدَ بنِ صبحٍ غفرَ اللهُ لهُ ولوالديهِ ولجميعِ المسلمينَ ، ولمَنْ دعا لهُ بالمغفرةِ . والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبهِ وسلَّمَ.

جاء في طرّهٔ انسخت (1)

كتابُ « إلجامِ العوامِّ عن علمِ الكلامِ »

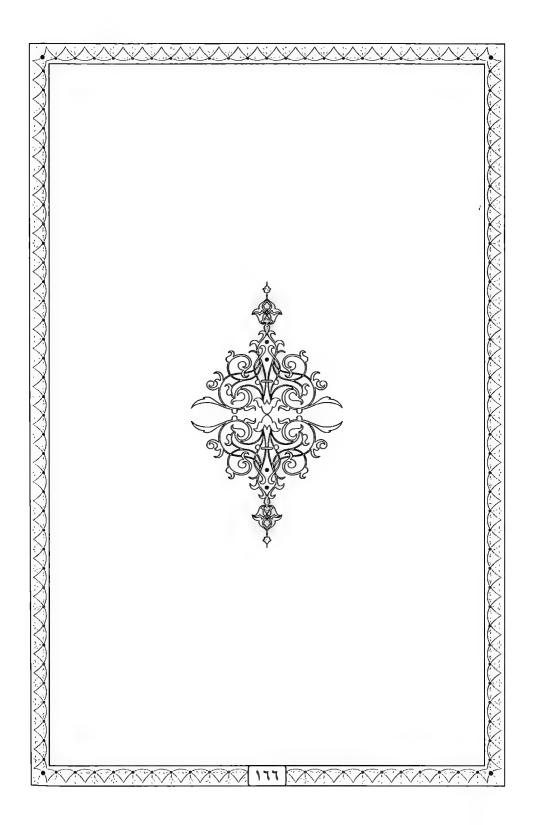
تصنيفُ الشيخِ الإمامِ الأجلِّ ، السيِّدِ الأوحدِ الزاهدِ ، صدرِ الدِّينِ ، حُجَّةِ الإسلامِ ، إمامِ الأئمةِ ، قدوةِ الأُمَّةِ ، مُقتدى الفِرَقِ : أبي حامدٍ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ الغزاليّ .

قدَّسَ اللَّهُ روحَهُ ، ونوَّرَ ضريحَهُ ، وهوَ آخرُ تصانيفِهِ .

مِنْ نِعَمِ اللهِ على عبدِهِ: عبدِ المجيدِ بنِ الفضلِ بنِ عليِّ الطبريِّ ، يثتُ باللهِ وحدَهُ .

اللهمَّ ؛ الطُفْ وامنُنْ علينا بتوبةٍ نصوحٍ يا أرحمَ الراحمينَ . اللهمَّ ؛ صلِّ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلِّمْ .

紫 攀 紫



اُهمّ مصادر ومراجع لتّحتٰ يق

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) ، طبعة مصورة لدئ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- إحياء علوم الدين ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت٥٠٥ه) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ه ، دار المنهاج ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- الأسماء والصفات ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ ه) ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، طبعة مصورة لدئ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام

⁽١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي: اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط ١، (١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.

- الإملاء على مشكل الإحياء ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت٥٠٥ه) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ الإصدار الثاني ، (١٤٣٢ه ، ٢٠٠١م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزركشي ؛ الإمام المحدث الأصولي الفقيه بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤ه) ، تحقيق العلامة الدكتور عبد القادر العاني (ت ١٤٣٠ه) والعلامة الدكتور عمر سليمان الأشقر (ت ١٤٣٣ه) والعلامة الدكتور عبد الستار أبو غدة ، ط٢ ، (١٤١٣ه، ١٩٩٢م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقى

الذهبي (ت ٧٤٨ه)، تحقيق الدكتور عمر بن عبد السلام تدمري، ط ٢، (١٤٠٩ه، ١٩٨٩ م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام)، للخطيب ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٣٦٤ هـ)، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، لابن عساكر ؟ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ه) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ه ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- تأسيس التقديس ، للرازي ؛ الإمام الحافظ المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر ابن الحسين البكري الرازي الشافعي (ت ٢٠٦ه) ، تحقيق أنس الشرفاوي وأحمد الخطيب ، ط ١ ، (١٤٣١ه ، ٢٠١١ م) ، دار نور الصباح ، دمشق ، سورية .
- التعريفات ، للجرجاني ؛ الإمام الفقيه الموسوعي النادرة الشريف

أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي (ت ٨١٦ه) ، تحقيق الدكتور محمد عبد الرحمان المرعشلي ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان .

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ،
 للطبري ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن
 جرير بن يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠ ه) ، عني به مكتب
 التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (١٤٢٣ ه ،
 ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، بيروت ، لبنان . عمان ،
 الأردن .
- تهذيب الأسرار ، للخركوشي ؛ الإمام الحافظ الفقيه العارف بالله عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت ٤٠٧ هـ) ، تحقيق بسام محمد بارود ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، إصدارات الساحة الخزرجية ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة .
- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٣٤١ هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .
- الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي

أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ه) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- جواهر القرآن ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت٥٠٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد رشيد رضا القباني ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان .
- حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) ، للباجوري ؛ الإمام المشارك وشيخ الإسلام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري المصري الشافعي (ت ١٢٧٦ه) ، تحقيق الدكتور علي جمعة محمد مفتي الديار المصرية ، ط ١ ، (١٤٢٢ ه) ، دار السلام ، القاهرة ، مصر .
- حاشية العطار على جمع الجوامع ، للعطار ؛ الإمام العلامة الفقيه الأصولي الأديب شيخ الجامع الأزهر حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٣ هـ ، ١٨٩٣ م) ، نسخة مصورة عن المطبعة العلمية القاهرة لدى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لينان .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للأصبهاني ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ)، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٤٠٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدئ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، لابن ماجه ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدى دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن أبي داوود ، لأبي داوود ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ،

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، للترمذي الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ه)، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٨٧ه) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ه)

والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- السنن الكبرئ ، للنسائي ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ه) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين)، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي (ت ٧٤٨ ه)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط ١١، (١٤١٧ ه، ١٩٩٦ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- شرح المواقف ، للجرجاني ؛ الإمام الفقيه الموسوعي النادرة الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ) ، عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ، ط ١ ، (١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة لدى منشورات الشريف الرضي ، القاهرة ، مصر .
- الشريعة ، للآجري ؛ الإمام الحافظ الفقيه الحجة أبي بكر

محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت ٣٨٧ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، ط ٣، (١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية.

- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه) (الطبعة السلطانية العثمانية)، للبخاري؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ه)، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، (١٤٣٦ه، ١٠١٥ م)، دار طوق النجاة ودار المنهاج، بيروت، لبنان. جدة، المملكة العربية السعودية.

- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، لمسلم ؟ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م)، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، المملكة العربية السعودية بيروت ، لينان .

- الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ومجهول روى

ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة ، للعقيلي ؛ الإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت ٣٢٢ه) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (٣٢٠ه ه) ، دار الصميعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- طبقات الشافعية الكبرئ ، للسبكي ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ه) ، تحقيق محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ه) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ه) ، ط ١ ، (١٣٩٦ه م ١٩٧٧م) ، طبعة مصورة لدئ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .
- الطبقات الكبرئ (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ، للشعراني ؟ الإمام المجدد المحقق القدوة أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشعراني الشافعي (ت ٩٧٣ هـ) ، بعناية الشيخ أحمد سعد علي ، ط ١ ، (١٩٧٤ هـ ، ١٩٥٤ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدى دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- العظمة ، لأبي الشيخ ؛ الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ بن حيان

الأصبهاني الأنصاري (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط ٢ ، (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي ، للسخاوي ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمان بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢هـ) ، تحقيق علي حسين علي ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٣٠٠٣ م) ، طبعة مصورة لدئ دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، للديلمي ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١، (١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لنان .

- فضائل الصحابة ، لابن حنبل ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ط ٤ ، (ت ١٤٣٠ هـ) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبى حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ه) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٨ ه ، ١٧٠٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلوني ؟ محدث الشام العلامة المفسر أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- اللمع ، للطوسي ؛ الإمام الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي بن محمد السراج الطوسي الصوفي (ت ٣٧٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود (ت ١٣٩٨ هـ) وطنه عبد الباقي سرور ، ط ١ ، (١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م) ، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ، القاهرة ، مصر . بغداد ، العراق .

مختصر الحجة على تارك المحجة ، للمقدسي ؛ الإمام العلامة الفقيه المحدث أبي الفتح ابن أبي الحافظ نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الشافعي (ت ٤٩٠هـ) ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن

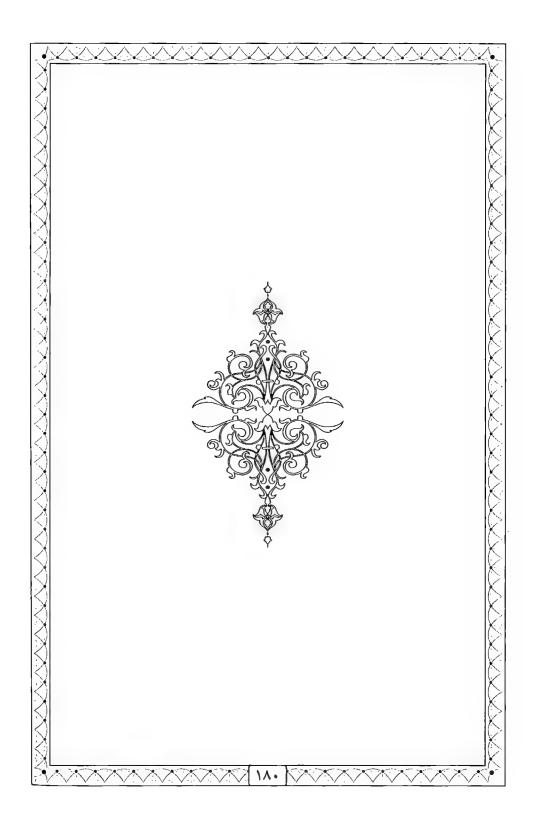
حمدويه الحاكم الطهماني النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ه)، وبهامشه تعليقات الأئمة: البيهقي والذهبي وابن الملقن وابن حجر العسقلاني، ط ١، (١٤٣٥ه، ٢٠١٤م)، دار الميمان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- المستصفى من علم الأصول ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت٥٠٥ه) ، تحقيق الدكتور حمزة بن زهير حافظ ، ط١، (بدون تاريخ) ، نشره محققه ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، لابن حنبل ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ه) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٢ ه ، بدة ، السعودية .
- مسند الدارمي (سنن الدارمي) ، للدارمي ؛ إمام أهل زمانه الحافظ الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل التميمي السمرقندي الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- _ مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة

الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ه) ، تحقيق عبد العزيز السيروان ، ط ١ ، (١٤١١ه ، ١٩٩٠ م) ، دار الإيمان ، دمشق ، سورية .

- المعجم الكبير ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ومعه : « الأحاديث الطوال » ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، (٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للسخاوي ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمان بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ه) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغُماري وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .





مختنوی الکنا ہے

٩	تقريظ
11	بين يدي الكتاب
١٥	ترجمة الإمام الغزالي
19	لمحة عن كتاب « إلجام العوام »
77	وصف النسخ الخطية
77	منهج العمل في الكتاب
44	صور من المخطوطات المعتمدة
٤١	« إلجام العوام عن علم الكلام »
٤٣	سبب تصنيف الرسالة
٤٥	خطبة المؤلف
£0 £0	خطبة المؤلف _ ديباجة رسالة « إلجام العوام »
-	
٤.٥	- ديباجة رسالة « إلجام العوام »
£0 £0	_ ديباجة رسالة « إلجام العوام » الحديثُ عن سببِ تأليفِ هاذه الرسالةِ
£0 £0	- ديباجة رسالة « إلجام العوام » - الحديثُ عن سببِ تأليفِ هاذه الرسالةِ - تلبيةُ الإمامِ لطَلِبةِ السائلِ
٤٥ ٤٥ ٤٦	ديباجة رسالة « إلجام العوام » د الحديثُ عن سببِ تأليفِ هاذه الرسالةِ د تلبيةُ الإمامِ لطَلِبةِ السائلِ الباب الأول
£0 £0 £7	ديباجة رسالة « إلجام العوام » د الحديث عن سببِ تأليفِ هاذه الرسالةِ د تلبيةُ الإمامِ لطَلِبةِ السائلِ الباب الأول في بيان حقيقة اعتقاد السلف في هاذه الأخبار

٥١	ـ اليد في اللغة تُطلق لمعنيين
٥٢	ـ وجوب تنزيه الحق تعالىٰ عن الجسمية
٥٢	_ من ظنَّ الجسميَّة في حقِّه تعالىٰ فهو عابد صنم
۰۳	ـ ما يجب اعتقاده بعد تنزيهه تعالى عن الجسمية
٥٣	- في بيان معنى الصورة في حقِّ الله سبحانه
٥٤	- لا يجب على المكلَّف بعد التفويض تحديدُ معنى
٥٤	ـ معاني النزول
00	ـ أقبل علىٰ شأنك ، واحرص علىٰ ما ينفعك
٥٦	ـ في بيان معنى الفوقية في حقِّ الله تعالىٰ
٥٧	الوظيفة الثانية: الإيمان والتصديق
٥٧	_ تحريجة : كيف يجوز إيقاع تصديق من غير تصوُّر ؟
٥٨	ـ تحريجة : ما الفائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون ؟ .
٥٨	ـ مراعاة أحوال المخاطبين
٥٩	ـ التفويض عند مالك رحمه الله تعالى
٥٩	ـ التقديس ينبغي أن يكون مفصلاً
71	الوظيفة الثالثة: الاعتراف بالعجز
17	ـ معنىٰ قوله : (الكيفية مجهولة)
٦١	- سيد الوجود يقرُّ بالعجز عن إدراك كنْهِ جلال الله تعالىٰ
۲۳	الوظيفة الرابعة: السكوت عن السؤال
٦٣	ـ تباين عقول الخلق قد يكون مانعاً عن التفهيم
۲۳	_ شُغُل القلب بغير الربِّ حجابٌ عن معرفة تلك الأسرار

	X (-
ـ زجر العامي عن السؤال لما لا يفهمه ويتصوره ٦٤	X
 وظيفة مَنْ شُئِلَ من قبل العوامِّ عمَّا لا تبلغه عقولهم 	() X ()
الوظيفة الخامسة: الإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة ٦٦	
ـ الإمساك عن التصرف فيها من أوجهِ ستةٍ	
الأول: التفسير	
ـ مثال اللفظ الذي لا مطابق له في الفارسية	×
ـ جواز تبديل اللفظ بمرادفه من كل وجهٍ ٧٧	X
_ مثال اللفظ الذي له مطابق ، وللكنه لا يُستعار لمعانٍ جرت	
استعارتها في العربية	X
_ مثال اللفظ الذي هو مشتركٌ في العربية ، غير مشترك في	
غيرها	
- تحريجة: لِمَ منعتم التبديلَ في الألفاظ المتماثلةِ التي لا	X
تفاوتَ فيها ؟	
ـ الاحتياطُ في ذات الباري تعالىٰ وصفاته أوجبُ من الاحتياط	X
في الأنساب	X
 حكمنا بمنع التبديل هو حكم شرعي ثابتٌ بالاجتهاد 	(a)
التصرف الثاني: التأويل	X orx
_ ما المقصود بالتأويل ؟	×
_ حكم تأويل العاميّ لنفسه	
_ حكم تأويل العالم للعامي٧٠	
_ بيان مَنْ هم العوامُّ ومَنْ هم الخواصُّ	

۸۲	- تحريجة : بيِّنْ لنا سبيل معرفة القطعي من التأوير
بف ۸۳	التصرف الثالث: الذي يجب الإمساك عنه: التصري
والتفريع ٨٤	التصرف الرابع: الذي يجب الإمساك عنه: القياس
۸٤ م	- بطلان قياس الغائب على الشاهد على وجه العمو
۸۰	التصرف الخامس: الجمع بين المتفرقات
۸۵	- أثر الاجتماع في تحصيل العلم
۸٦	التصرف السادس: التفريق بين المجتمعات
٨٧	ـ لماذا بالغ السلف في التفويض ؟
۸۸	الوظيفة السادسة: في الكف بعد الإمساك
اذا يفعل ؟ ٨٨	_ تحريجة: مَنْ لم يستطع صرْفَ قلبه عن التفكُّرِ ف
ه الكبائر ٨٩	_ حوض العامي في العقائد بجهل أعظمُ من ارتكاب
۸۹	ـ سكون النفس بالدليل ، والدليل هو التفكُّر!
۹.	_ شرطان لسماع العامي دليلَ العقائد
۹.	ـ خير الأدلَّة ما كان منتزعاً من كلام ربِّ العالمين
۹۱	ـ دليل التمانع والتوارد
91	ـ الغالب يعود إليه المفتقر إليه
97	ـ التحدي بالقرآن من أدلة صدق النبي علي الله الله الله الله الله الله الله ال
٩٢	ـ أدلة إثبات اليوم الآخر للعامي
٩٢	ـ التكليف دليل الحساب ووجود يوم آخر
مرىٰ والكلُّ	_ تحريجة : لِمَ منعتم تقريرَ بعض الأدلة وجوَّزتم أخ
94	مشترك في النظر ؟

		-1 1-
97	_ الأدلة قسمان : قريب المأخذ وخفيُّه	
9.8		X to to X
9.5		TO NO.
90	- تحريجة: لعلَّهم أمسكوا لعدم الحاجة إليه ؟	
٩٥	من لم تقنعه أدلة القرآن عُدل به إلى السيف والسنان	
٩.	_ لُبابُ رأي الإمام في علم الكلام	
91	ـ الصحابة أعلم وأعرف بالصواب لقرب عهدهم بالنبوة	
٩/	الوظيفة السابعة: التسليم لأهل المعرفة	
٩/	ـ تفاوت قلوب العباد في التهيُّؤ لمعرفة الله تعالى	0
٩/	ـ تمثيل لتفاوتِ الناسِ في بحرِ معرفتِهِ سبحانه وتعالى .	(1)
	_ تحريجة : فهل هاؤلاء السابقون ممن أحاط علماً بمعرفة الله	()
90	تعالیٰ ؟	
1	 تمثيل الحضرة الإلاهية بالحضرة السلطانية لتقريب الفهم 	()
	الباب الثاني	(1)
1 • 1	في إقامة البرهان على أن الحق مذهب السلف	
1 . 4	ـ أربعة أصول مُسلّمة للبرهان الكلي	
1 • 6	ـ الأول: النبيُّ على أعلم الخلق بما يصلحهم ويضرُّهم	(3)
1 • 6	5 33 33 3.	
	- الثاني : النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق ، لم يكتم شيئاً	
1.	1	
1 • 1	- الثالث : الصحابة وزراء منصب النبوة لم يكتموا علماً	

- الرابع: مع هذا أعرضوا عن الخوض في قانون الكلام ١٠٧
ـ الحقُّ ما نَزَعَ إليه السابقون من هلذه الأمة
_ البرهان التفصيلي بأن الوظائف السبعة مذهب السلف ، ففي
أيِّها المخالفة ؟
_ البرهان السمعي بأن مخالفة طريق السلف بدعة
ـ ثلاثة أصول للبرهان السمعي
ـ تحريجة: لِمَ لا تكون البدعةُ محمودةً ؟
ـ ذمه ﷺ للبدعة معلوم بالتواتر
ـ تحريجة: لا نسلِّمُ كون الكلام من البدع المذمومة ١١٣
_ البدعة ما رفعت سنة مأثورة ، والكلام رافع لسنة السكوت
وعدم الخوض في هاذه المسائل
_ إدراك الصحابة للفتنة المختبئة خلف أمثال هاذه الأسئلة ١١٦
_ عمرُ وعليٌّ يزجران عن مثل هاذه الأسئلة ، والمولعون بعلم
الكلام يصوِّبون قبولها!
ـ لا تقس علم الكلام على تفاريع الفقه١١٧
ـ جواز تدقيق النظر لإدراك مأخذ الخبر
ـ لا مشاحّة في الاصطلاحات
الباب الثالث
في فصول متفرقة وأسولة شتى نافعة في هـُـذا الفن ١١٩
ـ تحريجة : لِمَ وقع المُوهِمُ في القرآن والسنة ؟
_ هاذه الكلمات الموهمة ذُكرت متفرقة متباعدة

11	۲۲	ـ ولو جُمعت لتبيَّن أنها يسيرة العدد
		- الوارد عنه ﷺ آحاد كلمات مقرونة بالصارف عن المعنى
11	۲۲	
		- المعرفةُ بتنزيه الله تعالىٰ أعظمُ قرينة أنها ليست على
11	۲۳	ظواهرها ولهاذا أمثلة
		- الأول: مثال في المجاز المرسل واستعماله في لغة العرب
		 كان المخاطبون بهاذه الألفاظ منزِّهين للحقِّ تعالىٰ
	. •	- الثاني : مثال في الاستعارة ومعنى الصورة وأساليب استعمالها
11	۲٤	في لغة العرب
	70	عي عد .عرب - الثالث : مثال في المجاز العقلي الساري في كلام العرب
	77	- الرابع: مثال في الكناية واستعمالها في كلام العرب
11	77	ـ قد يُنقل المجاز منفكًا عن قرينته لأسباب
11	۲٧	ـ الخامس: مثال آخر في المجاز اللغوي
11	۲٧	ـ يراعىٰ في الكلام أعراف الناس فيه ؛ فاللغة وضُعٌ
11	۲۸	ـ تقرير الإمام للمجاز الساري في اللغات
11	۲۸	- نهيهم عن عبادة الأصنام قرينة على نفي الجسمية
11	۲۸	_ مطلب: في سبق التنزيه للنصوص الموهمة للتشبيه
11	79	ـ الاعتبار في التشارك بحقيقة الماهية لا بعوارضها
		- تحريجة : فلِمَ لم تأتِ تلك المعاني بألفاظِ ناصَّةِ لا تحتمل
١١	4	غير المعنى المراد ؟
۱۲	۳.	- استحالة حصر المعانى في الألفاظ

۱۳.	سباب الإعراض عن الوضع
141	· · · ، و رق ق ق و بري لاحترازُ مراعاةً للجهَّال لا داعيَ له
171	
	حريجة: لِمَ لم يذكر الشارع التنزيه تصريحاً ؟
171	لمبالغة في التنزيه قد تؤدي لهلاك الأكثرين
۱۳۲	حريجة : لِمَ لم يخف على أمته التشبيه إذاً ؟
۲۳۱	ينَ التشبيه والتعطيل فرقٌ من وجهينِ
	حريجة: هذا يقضي بأن الأنبياء أثبتوا في العقائد أموراً
۱۳۳	لى خلاف ما هي عليه!
١٣٣	يان واجب النبوة في حقِّ القاصرين الإمساك عنهم
	حريجة: أما علم الأنبياء أن الألفاظ تفضي إلى جهل
١٣٤	وام ؟
١٣٤	لسبب الحقيقي لوقوع المشبّهة في التشبيه
١٣٦	مل: في التفويض في النصوص المتشابهة
	حريجة : ما فائدة الكف والإمساك عن السؤال وقد عمَّ هــٰذا
١٣٦	ري. د
177	ر حريجة : فإن ضُيّق السؤال فما الجواب ؟
١٣٧	
۱۳۸	حريجة: وهل الحروف قديمة أو حادثة ؟
۱۳۸	حريجة: إذا كان القرآن قديماً فحروفه قديمة !
	حريجة: وللكن قِدمُ الحروف لازم عن ثبوت قِدَم القرآن
	جود الحروف !

757 P

ـ تحريجة : ويلزم أيضاً أن اللغة العربية قديمة !
ـ سبيل إلجام العوام والحشوية عن مثل هاذا
_ التضييقُ في هـٰذا الباب على العامة محمودٌ ١٣٩
فصل: في مراتب الوجود
_ تحريجة : بمَ نجيب من سأل : هل الإيمان قديمٌ ؟
ـ الجواب التفصيلي يذكر لمن يستحقه١٤٢
ـ مراتب الوجود الأربعة
_ الوجود الحقيقي في عالمنا وجود الأعيان
_ تحقيق الوجود الحقيقي للقرآن العظيم على أربع مراتب
ـ الأولىٰ : وجوده قائماً بذات الله تعالىٰ الله عالىٰ
ـ الثانية : وجوده العلمي في أذهاننا
ـ الثالثة والرابعة: وجوده على اللسان ثم على الورق
ـ ليس كلُّ معلوم يبتذل للعامة
ـ متىٰ يكون إطلاق اللفظ حقيقة في هـٰذا الموطن ؟
ـ تفاوت التعامل في هاذه النصوص بين الذكي والغبي ١٤٦
_ مطلب : من هم السلفُ المعنيُّون ؟
فصل: في مراتب التصديق الجازم
- تحريجة : كيف تمنعون من التقليد في الأصول ثم تنهون
عن طلب الدليل ؟!
ـ تحريجة أخرى : لا تمكن معرفة النبوة إلا بالنظر وقد منعتم
منه ا

- ست مراتب للتصديق الجازم الأولى: درجة البرهان القاطع المورِثِ لليقين		
الشانية: درجة الجدل والأدلة الكلامية المؤسسة على المسلّمات	ـ ست مراتب للتصديق الجازم	189
المسلَّمات الراسخة على المالية والهاب العاطفة بالمألوفات الراسخة ١٥٠ - الثالثة : درجة الخطابة وإلهاب العاطفة بالمألوفات الراسخة ١٥٠ - الإعادة أيسر من الإنشاء - الرابعة : درجة التصديق بسماع كلام من حسنِ السيرة طاهرِ السريرة السريرة الخامسة : درجة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة على وقوعه عند غير المحقّق	- الأولى : درجة البرهان القاطع المورِثِ لليقين ٩	1 2 9
الثالثة: درجة الخطابة وإلهاب العاطفة بالمألوفات الراسخة ١٥٠ الإعادة أيسر من الإنشاء الرابعة: درجة التصديق بسماع كلام من حسنِ السيرة طاهرِ السريرة السريرة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة علىٰ وقوعه عند غير المحقّق الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة علىٰ وقوعه عند غير المحقّق المعامية درجة القبول لموافقته لهوى السامع المعامية عليه المعامية المنافقة على المنافقة المنافة المنافقة ال	ـ الثانية : درجة الجدل والأدلة الكلامية المؤسسة على	
الإعادة أيسر من الإنشاء الرابعة: درجة التصديق بسماع كلام من حسنِ السيرة طاهرِ السريرة السريرة السريرة السريرة المحتفِّ بالقرائن الدالَّة علىٰ وقوعه السريرة عبر المحقّق الخير المحتفِّ بالقرائن الدالَّة علىٰ وقوعه عند غير المحقّق المعامية : درجة القبول لموافقته لهوى السامع المعتب قلبه المعتب وجود الدليل المعتب والدليل المعتب المعتب والدليل المعتب والمعتب والدليل المعتب والمعتب والدليل المعتب وا	, المسلَّمات	1 2 9
- الإعادة أيسر من الإنشاء - الرابعة: درجة التصديق بسماع كلام من حسنِ السيرة طاهرِ السريرة السريرة - الخامسة: درجة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة علىٰ وقوعه عند غير المحقِّق	ـ الثالثة : درجة الخطابة وإلهاب العاطفة بالمألوفات الراسخة ٠٠	10.
الرابعة: درجة التصديق بسماع كلام من حسنِ السيرة طاهرِ السريرة السريرة الخامسة: درجة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة على وقوعه عند غير المحقّق	ـ إثارة احتمال التوارد	١٥.
السريرة الخامسة: درجة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة على وقوعه عند غير المحقّق	ـ الإعادة أيسر من الإنشاء	10.
- الخامسة: درجة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة على وقوعه عند غير المحقّق	ـ الرابعة : درجة التصديق بسماع كلام من حسنِ السيرة طاهرِ	
عند غير المحقّق	السريرة	101
- السادسة: درجة القبول لموافقته لهوى السامع	ـ الخامسة : درجة الخبر المحتفِّ بالقرائن الدالَّة على وقوعه	
- أفضل الرُّتب في حقِّ العامي أدلة القرآن وما يثبِّت قلبه ١٥٤ - لا يتوقف التصديق الجازم على وجود الدليل ١٥٤ فصل : حصول التصديق من الخلق سعادة لهم ولو من غير دليل	عند غير المحقِّق٧٠	107
- لا يتوقف التصديق الجازم على وجود الدليل	- السادسة : درجة القبول لموافقته لهوى السامع ٣٠	104
فصل: حصول التصديق من الخلق سعادة لهم ولو من غير دليل	ـ أفضل الرُّتب في حقِّ العامي أدلة القرآن وما يثبِّت قلبه ٣٠	١٥٣
دليل	ـ لا يتوقف التصديق الجازم على وجود الدليل ١٤	108
- تحريجة: إنما كلِّفنا بالمعرفة الحقيقية ؛ وهي متوقفة على البحث والدليل البحث والدليل التقليد إن أصاب الحقَّ فهو من أسباب سعادة الأبد ١٥٦ - من وصل إلى الحقِّ فاعتقده لا يُسأل عن السبب الموصل إلى الحقِّ فاعتقده لا يُسأل عن السبب الموصل إلى الحقِّ فاعتقده	فصل : حصول التصديق من الخلق سعادة لهم ولو من غير	
البحث والدليل - التقليد إن أصاب الحقّ فهو من أسباب سعادة الأبد ١٥٦ - ١٥٦ - من وصل إلى الحقّ فاعتقده لا يُسأل عن السبب الموصل إليه	دلیل ۲۰	107
- التقليد إن أصاب الحقّ فهو من أسباب سعادة الأبد - ١٥٦ - من وصل إلى الحقّ فاعتقده لا يُسأل عن السبب الموصل إليه	ـ تحريجة : إنما كلِّفنا بالمعرفة الحقيقية ؛ وهي متوقفة على	
- من وصل إلى الحقِّ فاعتقده لا يُسأل عن السبب الموصل إليه	البحث والدليل	101
إليهأ	- التقليد إن أصاب الحقّ فهو من أسباب سعادة الأبد ٢٥	107
	ـ من وصل إلى الحقِّ فاعتقده لا يُسأل عن السبب الموصل	
	إليه ٦٠	107
**************************************	XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX	****

107	- قبل ﷺ إيمان الأعراب دون مطالبتهم بالبحث والتنقير
101.	 قبول إيمان المُقلِّد لا يعني تسويته بالعارف
۱۵۸.	ـ تحريجة: فلِمَ أنكرتم علىٰ مخالفيكم التقليد ؟
109	ـ تحريجة : فالعاميُّ المجادل اللجوج ما سبيل إقناعه ؟
109	ـ السنان دواء مريض اللسان
17.	ـ الترفُّقُ بمن ينفعه دواء الجدل
17.	- وجادلهم بالتي هي أحسن
177	خواتيم النسخ الخطية
١٦٧	أهم مصادر ومراجع التحقيق
١٨١ .	محتوى الكتاب



كتاب نفيس سطّرته أنامل الإمام الغزالي، لأمور مهمة تتعلق بما يتصل بالآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه، وعما يجب على عموم الخلق أن يعتقدوه فيها.

فبيَّن رحمه الله تعالىٰ ذلك دون تعصَّبِ لرأي من الآراء ؛ فالحق أحق أن يُتَبع ، ويَّن أيضاً مذهب السلف ، وأشار إلىٰ مذهب الخَلَف وبيَّن ما يجب الأخذ به مما هو مطابق لنصوص الشرع .

ووضّح أنه يجب على من بلغه حديث من هاذه الأحاديث سبعة أمور: التقديس، ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الإمساك، ثم الكفّ، ثم التسليم لأهل المعرفة مع مزيد بيان وتمثيل وشرح وتفصيل.

والله هو الفتاح العليم

SBN: 978 - 9953 - 541 - 57 - 0